

علم التوحيد في ثوب جديد

الجزء الثاني

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن إهتدى بهديه إلى يوم يبعثون .

وبعد

فهذه خواطر فى العقيدة الإسلامية رجوت بتقديمهـــا إلى الفكر الإنسانى النزيه الإسهام بجهد المقل فى إلقاء الضوء على العقيدة التى جاء بها الدين الإسلامى الخاتم ليبصر الباحث الرشيد ما جاء به الإسلام من هدى مستقيم هو وجاء الحياة وعصامها فى عصر تقدمها ورقيها .

وليرى الفكر الواعى المستنير العقيدة الحقة فى الله ذاتا وصفاتا وفى النبوة وفى القضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره وفى البعث مسلما كان هذا الفكر أو غير مسلم . فالعقيدة واحدة حملها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ما أختلفت من آدم صاحب أول قضية فيهـــا حتى ختمت بمحمد صلى الله عليه وسلم . صاحب آخر كلمات السماء للأرض .

فهذه الخواطر إذن هى العقيدة الحقة لجميع الأديان وهى التى تاه الفكر غير المسلم فى بحثه عنها وتنكب الطريق إليها . فمن لم يؤمن بما نادت به فهو ضال فى عقيدته بعيد عن دينه هو لقد قالها الرسل جميعاً ماتخلف عن قولتها مرسل منهم صلوات الله وسلام عليهم أجمعين . « أن أعبدوا الله مالكم من إله غيره » .

وهذه الخواطر هي عرض أمين للفكر الإسلامي العتيد العتيق بالقلم الحفيد فهي قطرة من هـــذا التراث الضخم الفخم الذي تركه المتكلمون أولئك الذين أدوا أدوارهم أعصرهم الخوالي الممتده من نشأة علم الكلام حتى يومنا هذا وكانوا لأجيالهم القاصية والدانية نعم الموجه والمعلم والمرشد.

وعلينا أن نكون الجيل الفضاء وهذا التقدم العلمي الرهيب في كل ناحية من نواحي الحياة نعم الموجه والمعلم والمرشد إلى العقيدة الحقة كما كانوا لأجيالهم.

حقق الله .. تعالى آمالنا وهيأنا لما يحب ويرضى.

مصر الجديدة ١٤ / ١٢ / ١٩٦٠ • عبد السلام

الإهداء

إلى الأوفياء الأجلاء ..

أساتذة الجيلـين ..

فضيلة الأستاذ الشيخ / صالح موسى شرف

« « « / عبد الحميد على معتز

« « « / محمد شمس الدين إبراهيم

أهدى هذه الثمرة مما غرست عقولهم الذكية ونفوسهم الزاكية

تلميذكم
عبد السلام

قل هـــذه سبيلي أدعـــو إلى الله
عـلى بصيرة أنا ومن اتبعن
وسبحان الله وما أنا من
المشركين

صدق الله العظيم

الباب الأول

أفعال العباد بين الجبر والاختيار

بين الجبر والاختيار عاشت الإنسانية حائرة مضطربة قلقة . تقول بالاختيار وحرية الإرادة وتزعمها لنفسها فيفجعها الواقع بما يزيل قرارتها هذه ويلغى اختيارها الذى ظنته لنفسها ويعطل وجوده وإذا بها مبهورة ترى نفسها ريشة فى مهب الرياح تسيرها الأقدار أنى تشاء .

وتقول بالجبر فلا يصدقها الواقع الذى تعيش فيه والذى ترى على صفحته الهادئة أو الثائرة آثار فكرها وعملها وثمار كدحها ونصبها .

فلا هى بالحرة الطليقة التى تفعل ما تشاء وتدع ما تريد . ولا هى بالمقهورة المجبورة التى لا يد لها فيما يفعل بها .

إنها تعيش متأرجحة بين الجبر والاختيار .

مسألة أفعال العباد من المسائل التي تضاربت فيها الآراء واختلفت فيها المذاهب وتحيرت دونها العقول ووجدت فيها ميداناً فسيحاً للجدل والمناقشة

ولم تكن مسألة أفعال العباد وليدة الفكر الإسلامي الخالصة فلقد بحثها فلاسفة اليونان ومفكرو السريان وحكماء الزرادشتيين وأحبار اليهود وقساوسة النصارى . فلقد تساءل الجميع دون أن تتحد الإجابة لدى رجال الفكر الواحد على هذا التساؤل : هل الإنسان فاعل مختار فيما يأتي وما يذر من أعمال أم أنه كالريشة المعلقة في الهواء تحركها الرياح أنى تشاء ؟ أو بتعبير معاصر : هل الإنسان مخير أم مسير .. ؟

وكانت بداية ظهور مسألة أفعال العباد في الفكر الإسلامي مع بداية العصر الأموي حين اختلط المسلمون بغيرهم من فرس ويونان ورومان وانتشرت الآراء الفلسفية بين المسلمين ودار جدل طويل في العقيدة الإسلامية وتعدد الكلام في القدر واتجاه إرادة الإنسان حيث تشعبت الأفكار والآراء كما تطاحنت المذاهب والاتجاهات وكثرت الفرق الكلامية التي تحمل كل فرقة منها — في قضيتنا هذه — مذهباً مخالفاً للآخر كما تناثرت آراء فردية ندت عن هذه المذاهب الثلاثة ولم ترق إلى مستوى المذهب .

وبذلك نشأت مشكلة أفعال العباد في الفكر الإسلامي وهي مشكلة لها مكانها في الفكر الإسلامي . ذلك لأنها مشكلة خطيرة ذات اتصال وثيق بوحدانية الإله وأحديته وانفراده بالخلق والرزق والإيجاد والتصوير بقدر صلتها بتكاليف العباد وثوابهم وعقابهم .

وموطن الحيرة في أفعال العباد أن المتأمل المدقق يجد نفسه تتردد بين عاملين متنازعين . فبقدر اعتقادها في تفرد الله بالخلق والإيجاد فهو مالك هذا الكون ومليكه حيث لا يقاسمه في ملكه أو ملكيته مقاسم أو ينازعه في أيهما منازع إذ بها تجد أن العبد مثاب على طاعته معاقب على عصيانه .

ومن هذا المنطلق وجدت المذاهب سبيلها إلى التعدد والتشقق بقدر ما وجدت هذه المذاهب المتعددة المتنافر أدلتها التي تؤيد به سمتها التي أعتقدته سبيلا قويما لها .

فقال قوم بأن العبد خالق لأفعاله الاختيارية أتفاقا مع التكاليف وما يترتب عليه من ثواب وعقاب وذكر لمذهبه هذا ما يعضده من أدلة عقلية ونقلية .

وقال آخرون بأن العبد مجبور لا سلطان له فى شىء أو عليه . موافقة منهم لمبدأ انفراد الله بالخلق والإيجاد .

وتوسط غير هؤلاء وأولئك نذهب إلى أن الخلق لله وللعبد كسب .

لكن هذه المذاهب والآراء رغم تشققها فقد اتفقت فيما يلى .

١ — أن الله واحـــد لا شريك له فى ملكه أو ملكيته لهذا الكون اللاحب الجنبات .

٢ — أنه الخالق المستقل بالخلق المعبود بحق .

٣ — أنه الخالق لذات الإنسان فما قال أحد من أرباب المذاهب أنه خلق نفسه . كما أنه الخالق لأفعال العباد الإضطرارية .

وسبيلنا الآن أن نوضح مذاهب العلماء فى قضيتنا هذه وأدلتهم ووجه الصواب فى مشكلتنا هذه . ثم نعرج على القضاء والقدر نتعرف معناهما : وهل الإيمان بهما ينافى الأخذ بالأسباب ؟ . . . ومتى يجوز الإحتجاج بهما ومتى لا يجوز . . ؟

فعلى بركة الله تعالى

الفصل الأول

أفعال العباد وأشهر المذاهب فيها

(ا) مذهب الجبرية .

(ب) مذهب المعتزلة .

(ج) مذهب الأشاعرة .

(د) رأى ابن رشد .

(هـ) رأى الإمام محمد عبده .

(و) رأى الفيلسوف إقبال .

(ز) تعقيب .

كل الكائنات من فعله تعالى :

فلا خالق غيره ولا رازق سواه . ولا مصير لهذا الكون وما فيه من أجرام إلا هو ولا مردها إلا إليه .

ولا محاسب لها ولا مثيب ولا معاقب غيره .

ولهذا فإن أفعال العباد تشمل .

أفعال العباد :

التوفيق والخذلان ، الوعد والوعيد ، الثواب والعقاب والسعادة والشقاء وغير ذلك وسنتناول كل هذه المباحث بالتفصيل .

أفعال العباد :

أتفق المتكلمون فيما عدا الجبرية على أن أفعال العباد تنقسم إلى قسمين :

(ا) أضطرارية :

وهى التى لا يشعر معها الإنسان بأن له عليها قدرة وأختياراً مثل ارتعاش اليد من البرد وإحمرار الوجه من الخجل وإصفراره من الوجل وما إلى ذلك .

(ب) أختيارية :

وهى التى يشعر الإنسان معها بأن له عليها قدرة وأختياراً مثل تصرفات الإنسان الأختيارية التى يمارس بها نشاطه فى الحياة كذهابه إلى مكان ما أو بقائه فى مكانه الذى كان به كذاكرته الآن أو تركها .

ولا شك أن الفرق بين الحركتين واضح .

وإنه لمن البداهة أن يفرق الإنسان بين حركة الإرتعاش وحركة البطش فيدرك أن الأولى أضطرارية والثانية أختيارية .

أما الجبرية فإنهم لا يفرقون بين الأفعال الاختيارية والإضطرارية ويرون أن أفعال العباد كلها أضطرارية .

مذاهب المتكلمين :

يتفق المتكلمون جميعاً على أن الفعل الإضطرارى مخلوق لله وليس للعبد دخل فيه أصلا .

أما الفعل الاختيارى فهو محل الخلاف .

لقد تعددت مذاهب المتكلمين فى الأفعال الاختيارية وسنذكر آراء كل مقرونة بأدلته .

(ا) مذهب الجبرية :

أفعال العباد كلها مخلوقة لله ـ تعالى ـ وليس للعبد فيها كسب ولا أختيار بل هو مجبور كالحجر الملقى فى البحر تحركه الأمواج كما تشاء أو كالريشة المعلقة فى الهواء تحركها الرياح كما تريد .

دليلهم النقلى : قوله تعالى : (والله خلقكم وما تعملون) .

وقوله تعالى : (الله خالق كل شىء) .

الدليل العقلى :

فعل العبد سبق به علم الله ، وكل ما سبق به علم الله لابد من وقوعه .

∴ فعل العبد لابد من وقوعه .

ردت أدلة الجبرية :

يرد الدليل النقلى . بأن هذه الآيات معارضة بالآيات التى تثبت للعبد عملا . مثل قوله تعالى : (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها) وقوله تعالى : (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) .

كما رد الدليل العقلي ، بأن العلم صفة إنكشاف لا صفة تأثير ، وبذلك نرفض المقدمة الثانية (وكل ما سبق به علم الله لابد من وقوعه) فيسقط الدليل وهذا المذهب باطل لوجوه :

الوجه الأول :

لو كان العبد مجبوراً لما أثيب وعوقب على العمل لكنه يثاب ويعاقب فهو إذن غير مجبور .

الوجه الثاني :

لو كان العبد مجبوراً للزم أحد أمرين أما نسبة الظلم إلى الله أو نسبة الكذب إلى الرسل وكلاهما محال . فما أدى إليه وهو كون العبد مجبوراً محال.

الحكم على الجبرية :

هم غير كافرين لأمرين :

(أ) لأنهم يقصدون التوحيد باسناد الأفعال كلها إلى الله تعالى :

(ب) ولأن نسبة الظلم إلى الله - تعالى - والكذب إلى الرسل ليس نص مذهبهم وإنما ذلك لازم المذهب : ولازم المذهب ليس بمذهب حتى يؤديه إلى الكفر

(ب) مذهب المعتزلة :

العبد خالق لأفعاله الاختيارية بقدرة خلقها الله فيه .

أدلتهم :

للمعتزلة على مذهبهم أدلة عقلية ونقلية :

النقلي : قوله تعالى : (من عمل صالحاً فلنفسه) .

وقوله تعالى : (أن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) .

العقلي : لو لم يكن العبد موجداً لعمله لما أثيب وعوقب لكنه يثاب ويعاقب عليه فهو إذن موجد لعمله .

ردت أدلة المعتزلة :

رد الدليل النقلي : بالآيات التي تسند العمل إلى الله تعالى: فدفعا للتعارض يجب تأويل الآيات فنقول : أسند العمل إلى العبد لأنه الكاسب له ولأنه محل العمل كما أسند إلى الله لأنه الخالق المؤثر .

ورد الدليل العقلي : بأن الثواب والعقاب والمدح والذم على الكسب لا على الإيجاد .

الحكم على المعتزلة :

هم غير كفار : لأنهم يهدفون بمذهبهم هذا إلى إثبات العدالة المطلقة لله تعالى: ولأنهم يرون أن خلق العبد لفعله مستند لقدرة خلقها الله فيه .

(ج) مذهب أهل السنة :

أفعال العباد الاختيارية مخلوقة لله وللعبد فيها كسب فليس مجبوراً في جميع أفعاله ولا خالقاً لها كلها .

أدلة أهل السنة :

لأهل السنة على مذهبهم أدلة عقلية ونقلية :

العقـــل :

١ — فعل العبد ممكن وكل ممكن مقدور لله .

∴ فعل العبد مقدور لله .

٢ — لو كان العبد موجداً لأفعاله لكان عالماً بتفاصيلها لكنه غير عالم بالتفصيل .

∴ هو غير موجد لهما .

النقـــل :

قوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) .

اعتراضات على مذهب أهل السنة :

وقد اعترض على مذهب أهل السنة بهذين الاعتراضين :

١ — من حجة العبد أن يقول لله لم تعذبني والكل فعلك .

ويرد هذا الاعتراض بأنه — سبحان وتعالى — لا يتوجه عليه سؤال من غيره . قال تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) .

وكيف يكون للعبد حجة ولله الحجة البالغة فلا يسعنا إلا التسليم المحض فى أن الفعل كله لله .

٢ — قام البرهان على وجـــوب استقلاله تعالى بالأفعال . فى إثبات الكسب للعبد تجويز بدخول المقدور الواحد تحت قدرتين مع أن المقدور الواحد لا يدخل تحت قدرتين .

ويرد هذا الاعتراض ، بأنه ثبت بالبرهان أن الخالق هو الله كما ثبت بالضرورة أن لقدرة العبد مدخلا فى بعض الأفعال كحركة البطش دون البعض الآخر كحركة الارتعاش .

وللتوفيق بين الثابت بالبرهان والثابت بالضرورة تقول .

الله هو الخالق لفعل العبد وللعبد فى الفعل الاختيارى منه كسب والمقدور الواحد يدخل تحت قدرتين بجهتين مختلفتين فيدخل تحت قدرة الله بجهة الخلق وتحت قدرة العبد بجهة الكسب :

المختار من المذاهب فى أفعال العباد :

المذهب المختار فى أفعال العباد هو مذهب أهل السنة : لأن الجبرية

أفرطوا حيث نسبوا الأعمال كلها لله والمعتزلة فرطوا حيث نسبوا الأعمال كلها للعبد وتوسط أهل السنة حيث جعلوا الأفعال لله وللعبد فيها كسب وخير الأمور الوسط .

فالله ـ تعالى ـ هو الخالق للعباد ولأعمالهم فالأعمال كلها مرجعها إلى واحد وهو الله . وهذا مايعرف باسم « وحدة الأفعال » .

وعليه فالقول بأن شيئاً يؤثر بطبيعة كما تقول الفلاسفة أو بقوة مودعة فيه كما تقول المعتزلة قول باطل .

(د) رأى ابن رشد :

لقد انتهى ابن رشد فى قضيتنا هذه إلى أن أفعال العباد قائمة بعلتين .

الأولى : العلة الفاعلة :

وهى العلة التى توجد لدى الإنسان ولها القدرة على الفعل أو الترك فهى علة فاعلة كاملة الفعل والترك لكنها ليست كافية لوقوع الفعل الإنسانى بل لابد لوقوع الفعل بجوار هذه العلة من تهيئة المناخ الصالح ووجود الظروف المناسبة .

إذن فالقدرة الإنسانية وحدها ليست قادرة على إبراز وإيجـــاد فعل الإنسان .

الثانية : العلة الظرفية :

والعلة الظرفية هى مجموعة الظروف والملابسات التى تحيط بالإنسان وقت الفعل أو الترك وهذه هى العلة الظرفية .

إذن ففعل الإنسان لا يوجد بقدرة الإنسان وحده بل لابد من مشارك معه فى إيجاده إذ كثيراً ما تتوفر للإنسان إحدى العلتين ولا يؤدى ذلك لوجود الفعل فقد توجد لدى الإنسان العلة الفاعلة ثم لا توجد الظروف المناسبة وحينئذ لايوجد الفعل .

ثم يتخذ ابن رشد من الفرق بين هاتين العلتين مايوفق به بين مايتعارض ظاهراً من نصوص الشرع الحنيف فحين تذكر النصوص للانسان مطلق الإرادة والاختيار يرى ابن رشد أن المقصود هنا هو كمال العلة الفاعلة ولاشك أنها كذلك كما يرى ابن رشد وحين تصوره النصوص مجبراً مسيراً كالريشة فى مهب الريح يرى ابن رشد أن المراد هو خضوع قدرته فى إيجاد فعله لسلطان الأسباب الخارجية الذى وضحناها سلفاً .

وعلى هذا فليس الإنسان مجبراً مطلقا كما أنه ليس مخيراً مطلقا . وليس قصد القرآن وصفه بأحد هذين الوصفين دون الآخر وإنما قصده الجمع بينهما إذ بهما يوجد فعل الإنسان .

(هـ) رأى الإمام محمد عبده :

يرى الإمام محمد عبده أن للانسان أختياراً مع قوله بالسلطان الإلهى وأن لكل من الاختيار الإنسانى والسلطان الإلهى فلك خاص به .

ذلك لأنه رأى كثيراً من الناس قد حلا لهم أن يربطوا سلوك الإنسان بعجلة قدر يجب تسير فى طريقه اللانهائى ورآى أن هذا الفكر جر للحقيقة من ذيلها إذ أن الانسان - فى نظر الامام - لو ابتعد عن المهاترات الكلامية لأدرك أن حرية الانسان مساوية تماماً لوجوده فلا يحتاج ثبوتها إلى دليل أو برهان .

ولكننا مع التسليم الكامل بأن اجتهاد العقل أو تقدير الارادة لا يعطينا دائماً الآثار الناشئة عن العمل فقد يريد المرء إرضاء صديق فيغضبه وقد يسعى لجلب خير فإذا به يسعى لجلب مضره وذلك راجع - فى نظر الامام - كذلك إلى قصور الوسيلة أو خطأ فى تقدير الوصول إلى الغاية .

ولكن كثيراً ما يرجع أخفاق سعيه إلى تلك القوة الغيبية التى هى أقوى من تدبيره وأحكم من تقديره بل هى أقوى من كل تدبير وأحكم من كل تقدير

وذلك كما لو هبت ريح فأغرقت بضاعته أو نزلت صاعقة فأحرقت ما شيته فهنا يظهر كيف يتغلب أمر القضاء .

وهكذا يتسنى القول بالاختيار الإنسانى مع القول بالسلطان الإلهى وتتحقق مقومات كليهما و فلكه الخاص .

لكن الجبريين يزعمون أن فى القول بكسب العبد لأفعاله الاختيارية وتوجيهه إياه بعلمه و إرادته إشراكا بالله وأستعانة بغيره وجهلوا أن الشرك إنما هو فى الإستعانة بغير ما وجه الله إليه من الوسائل والأسباب كالإستعانة فى الحروب بغير قوة الجيوش والاستشفاء من الأمراض بغير الطب والدواء .

وأما الاستشكال بما سبق فى علم الله على حرية الإرادة الإنسانية ومحاولة التوفيق بين علمه تعالى وبين القول بحرية العبد فى أفعاله فهو من سر القدر الذى نهينا عن الخوض فيه على أنه قد يقال إن من المعروف أن العلم صفة كشف للواقــــع وليس صفة إلزام بالفعل فقد يعلم أحد المعاندين أن عملا ما يغضب أميره عليه ويستوجب عقابه يعلم هذا علم اليقين ولكنه مع ذلك يعصى أميره دون أن يزجره علمه عن عصيانه .

فانكشاف الواقع لايصلح فى نظر العقل مانعاً ملزماً (١) .

(و) رأى الفيلسوف محمد إقبال :

وللدكتور محمد إقبال فى قضيتنا قولا رأيت إتماماً للفائدة أن أذيل بحثى به ـ فهو يقول :

[ولا شك أن ظهور ذوات لها القدرة على الفعل التلقائى ومن ثم يكون فعلها غير متنبأ به ـ يتضمن تحديداً لحرية الذات المحيطة بكل شيء] .

---

(١) من كتاب أضواء على العقيدة الإسلامية والأخلاق تأليف لجنة من أساتذة كلية أصول الدين ص ٧٤ .

ثم يقول :

[ولكن هذا التحديد لم يفرض على الذات الأولى ـ ذات الله ـ من الخارج بل نشأ عن حريتها الخالقة التى شاءت أن تصطفى بعض الذوات المتناهية ـ ذوات البشر ـ لتقاسمه فى الحياة والقوة والاختيار !] .

ثم يقول :

[ورب سائل يقول ولكن كيف يكون فى الإمكان التوفيق بين التحديد وبين القدرة المطلقة . ؟] .

ثم يقول :

[وكل فعل سواء أكان متصلا بالخلق أم غير متصل به هو نوع من التحديد يستحيل بغيره أن نتصور الله ذاتاً فعالة متحققة الوجود فى الخارج ولو أننا تصورنا القدرة المطلقة تصوراً مجرداً لكانت مجرد نوع من القوة عمياء متقلبة الأهواء ولا حد لها والقرآن الكريم يصور الطبيعة تصويراً واضحاً محدداً بوصفها عالما يتألف من قوى يتعلق بعضها ببعض وعلى هذا فهو ـ أى القرآن الكريم ـ يعتبر قدرة الله المطلقة وثيقة الصلة بحكمته الإلهية ويرى أن قدرة الله غير المتناهية تتجلى لا فيما هو متعسف صادر عن الهوى وإنما فى المتواتر المطرد المنتظم .

ثم يقول :

[فالمعصية الأولى للانسان ـ معصية آدم ـ كانت أول فعل له تتمثل فيه حرية الاختيار ، ولهذا تاب الله على آدم وغفر له وعمل الخير لا يمكن أن يكون قسراً بل هو خضوع عن طواعية للمثل الأخلاقى الأعلى خضوع

ينشأ عن تعاون الذوات الحرة المختارة عن رغبة ورضى ، والكائن الذى قدرت عليه حركاته كلها كما قدرت حركات الآلة لا يقدر على فعل الخير ، وعلى هذا فإن الحرية شرط فى عمل الخير !] .

ثم يقول :

[وكون المشيئة الالهية اقتضت ذلك دليل على ماالله من ثقة فى الانسان !]
ولقد بقى على الانسان أن يبرهن على أنه أهل لهذه الثقة ! [1]
ماذا يريد الدكتور / إقبال أن يقول :

إن إرادة الانسان التى تخلق من تلقاء نفسها فيها تحديد لإرادة الله المطلقة إذ كانت هناك إرادات تعمل مستقلة عن تلك الارادة الشاملة .

ولا تعارض هنا فإن الله سبحانه وتعالى بإرادته الشاملة ـ خلق إرادات تعمل حرة فى حدود معينة هى حدود الامكان البشرى .

إن الحوادث الواقعة فى الوجود هى فى الواقع تحديد لقدرة الله لأن القدرة تجرى بما أقتضته الحكمة الالهية التى أودعت فى الوجود نظاما مطرداً والنظام فى ذاته قيد من غير شك ، فهناك إذن صلة محكمة بين الله والانسان هى صلة القدرة المطلقة بالقدرة العاملة داخل قدرتها فقدرة الله هى قدرة مطلقة وقدرة العبد تعمل فى داخلها؟

---

(١) هذه نقول متفرقة من كتاب تجديد الفكر الدينى للدكتور / محمد إقبال من ص ٩٤ إلى ص ١٠٠ .

(ز) تعقيب :

هذه لمحات خاطفة من كثير من آراء القوم فى قضيتنا هذه تلك التى طال الجدل وأمتد حتى أستنكره القرآن الكريم . فقال :

[سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا . قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون][2] .

كما أنكرته السنة المطهرة .

فمن على بن أبي طالب كرم الله وجهه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلا فقال ألا تصليان فقال على أنفسنا بيد الله ولو شاء ليعثنا فأعرض الرسول ـ صلى الله عليه وسلم عنه مستنكراً ثم إنصرف وهو يردد (وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) .

فالجدل فى قضيتنا هذه بغيض أنكره القرآن الكريم والسنة المطهره وخير ما يقال فى قضيتنا هذه ما قاله الإمام جعفر الصادق . .

(إن الله أراد بنا شيئاً وأراد منا شيئاً فما أراده بنا طواه عنا وما أراده منا أظهره لنا فينبغى ألا ننشغل بما طواه عنا عما أظهره لنا) .

لقد أمرنا ربنا بالصلاة والصوم والزكاة بل وفعل الخير ونهانا عن الشر والإثم فعلينا أن نعمل بما أمر وننتهى عما نهى : أما صحيفة الغيب المطوية عنا فليس لنا أن نناقش فيها لأن الذى قدرها علينا حجبها عنا لأن الغيب لله وحده .

(٢) الأنعام : ١٤٧ .

ولما كانت الأوامر واضحة والنواهى واضحة حملها نبى كريم قال عنها (الحلال بين والحرام بين) والغيب محجوب عنا فإن الإنسان حين يترك الأمر ويفعل النواهى يكون مخالفاً لتعاليم ربه فيستحق العقاب وحين يفعل الأوامر ويجتنب النواهى يكون فاعلا للخير فيستحق الثواب وكأنه فى كلتا الحالتين ينشىء ذلك من تلقاء نفسه إنشاء .

بقى علينا أن نعرف ماهو القضاء ؟ وما هو القدر ؟ وما يدور حولهما من تساؤلات بعد أن عرفنا آراء بعض العلماء فى فعل العبد هل مخلوق لله وحده أم للعبد وحده أم لهما معاً : ثم ألقينا بعض الأضواء على هذه المشكلة .

والفصل التالى يوضح بعض جوانب القضاء والقدر فى إيجاز وجيز : فإلى هناك .

اختبـــار :

س ١ :

قسمي أفعال العباد إلى اضطرارية واختيارية ثم عرفي مع التمثيل والتوضيح كل قسم منهما .

ثم وضحي مع التعليل مذاهب العلماء في أفعال الاختيارية .

س ٢ :

وضحي مذهب الجبرية في أفعال العباد الإختيارية ، ثم بيني أدلتهم على ماذهبوا إليه عقلا ونقلا .

ثم وضحي الرد على أدلتهم ، ثم اذكري الحكم عليهم ، ولماذا ؟

س ٣ :

بيني مذهب المعتزلة في أفعال العباد الاختيارية ، وأدلتهم العقلية والنقلية على ماذهبوا إليه .

ثم اذكري ماذكر المعارضون لهذا المذهب من رد على أدلتهم العقلية والنقلية ، وبماذا تحكمين عليهم ، ولماذا ؟

س ٤ :

بيني مذهب أهل السنة في أفعال العباد الاختيارية ، ثم وضحي أدلتهم على ماذهبوا إليه عقلا ونقلا ، ثم اذكري ماذكر المعارضون لمذهبهم من اعتراضات عليه ، ثم وضحي كيف تردين عليها .. ثم ماهو المذهب المختار لديك ؟ ولماذا ؟

س ٥ :

لابن رشد والإمام محمد عبده ومحمد اقبال آراء في قضيتنا هـذه أشيري بإيجاز إلى كل منها .

الفصل الثاني

القضاء والقدر

(ا) معنى القضاء والقدر

(ب) حكم الإيمان بالقضاء والقدر

(ج) الايمان بالقضاء والقدر
لا ينافي الأخذ بالأسباب

(د) متى يجوز الاحتجاج بالقدر
ومتى لا يجوز ؟

بعد أن بينا مذاهب العلماء في مذاهب العلماء في هذا التساؤل
« إلى من ينتسب عمل الإنسان ؟ » .

أ إلى الله - تعالى - خالصاً - ؟ كما هو مذهب الجبرية أم للعبد بقدرة خلقها الله - تعالى - فيه كما هو مذهب المعتزلة أم لله - تعالى - وللعبد فيه كسب كما هو مذهب أهل السنة .

فإنه يجدر بنا إتماما للمراد أن نعرف شيئاً عن القضاء والقدر كقضية من قضايا العقيدة الاسلامية كثر الجدل حولها بصورة رآها الإسلام مضيعة للوقت فحرم الخوض فيها .

وأحسب أن الإسلام يوم حرم الخوض فيها حرمه بين المسلم والمسلم لكنه - في تقديرى - لم يحرمه حين يجادل غير المسلم ، المسلم في عقيدته في القضاء والقدر بهدف النيل من الإسلام .

فهب أن معاديا للإسلام حاول أن يتخذ من نظرة الإسلام

القضاء والقدر مكاناً للبز الاسلام وغمزه ، هل يقول الاسلام لفتاه المستهدفة عقيدته الحقة فى القضاء والقدر قل له لقد نهينا عن الخوض فى القضاء والقدر لا

إن القرآن الكريم يوضح منهج الاسلام فى ذلك فيقول :

[ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون][1] .

وعملا بما دعانا إليه ديننا فإننا سنلقى بعض الضوء على عقيدة الاسلام فى القضاء والقدر بعد أن نعرفهما على اختلاف مذاهب العلماء فى ذلك .

---

(١) العنكبوت - ٤٦

تعريف القضاء والقدر

القضاء : لغة :

لقد وردت مادة القضاء في اللسان العربي مستعملة في عدة معان .

١ - الحكم : قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) فقضيت هنا بمعنى حكمت .

٢ - الامر : قال تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) فقضى بمعنى أمر .

الاعلام : قال تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً) فقضينا بمعنى أعلمنا .

٤ - الإرادة : قال تعالى (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) فقضى هنا بمعنى أراد .

٥ - الإيجاد على وجه الإبداع والاحكام والإتقان قال تعـــالى : (فقضاهن سبع سموات في يومين) أي خلق السموات والارض على وجه الإبداع والاحكام والإتقان حسبما اقتضت الحكمة في وقتين معينين .

وأما اصطلاحا :

فللعلماء فيه مذاهب ..

١ - الاشاعرة : هو إرادة الله بالاشياء في الازل على ماهي عليه فيما لا يزال .

٢ - مذهب الماتريدية : هو إيجاد الاشـــياء مع زيادة الاحكام والاتقان .

٣ - مذهب الحكماء : هو أن القضاء عبارة عن علمه تعالى بما ينبغى أن يكون عليه حتى يكون على أحسن نظام ويعبرون عنه بالعناية .

والقدر : لغة :

لقد وردت مادة القدر فى اللغة العربية مستعملة كذلك فى عدة معان :

١ - العلم المحيط بمقادير الأشياء وجميع أحوالها التى تكون عليها كقوله تعالى (إنا كل شىء خلقناه بقدر) .

٢ - القدر الصادر عن فاعله كما علمه .

٣ - الترتيب والحد الذى ينتهى إليه الشىء قال تعالى : (وقدر فيها أقواتها) أى رتب أقواتها .

واصطلاحا :

للعلماء فيه مذاهب .

١ - الأشاعرة : هو إيجاد الأشياء على قدر مخصوص ووجه معين أراده الله تعالى : فهو حادث .

٢ - الماتريدية : هو علمه تعالى أزلا بصفات المخلوقات من حسن وقبح ونفع وضرر وغير ذلك فهو قديم .

٣ - الحكماء : هو خروجها إلى الوجود لعين بأسبابها على الوجه الذى تقرر فى القضاء .

حكم الإيمان بالقضاء والقدر ودليله :

الايمان بالقضاء والقدر واجب بالدليل السمعى فقـــد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة : يشهد أن لا إله إلا الله

وأنى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره

الإيمان بالقضاء والقدر يستلزم الرضا بهما :

وقد اعترض على هذا الاستلزام بأنه يلزمه الرضا بالكفر والمعاصى لأن الله قضى بهما وقدرهما على الشخص والرضا بالكفر كفر وبالمعاصى معصية .

وقد رد هذا الاعتراض بجوابين :

١ - الكفر والمعاصى مقضى ومقدر لاقضاء ولاقدر والواجب الرضا به هو القضاء والقدر لاالمقضى والمقدر .

٢ - أن الكفر والمعاصى لهما جهتان :

(أ) جهة كونهما مقضين ومقدرين لله ومن هذه الجهة يجب الرضا بهما .

(ب) جهة كونهما منتسبين للعبد ومن هذه الجهة لايجب الرضا بهما .

لايمان بالقضاء والقدر لاينافى الأخذ بالأسباب :

معنى الإيمان بالقضاء والقدر التصديق بأن ماأوجده الله من الأشياء سواء أكان ذاتا أم صفة فإن إيجاده بغاية الإحكام والإتقان على الوجه الأكمل وبأنه علم فى الأزل ماتكون عليه المخلوقات فيما لايزال .

لكن هذا لاينافى الأخذ بالأسباب فإن الله تعالى عالم أزلا بالمسببات وأسبابها وارتباط كل مسبب بسببه وترتبه عليه وعالم بأن العبد مختار فى مباشرة الأسباب فيعلم أزلا أن فلاناً يأكل باختياره فيشبع .

فالله : سبحانه وتعالى : عالم بترتب المسببات على الأسباب التى يباشرها العبد وعلم الله : سبحانه وتعالى : بالأسباب والمسببات لا يجعل العبد مضطراً أو مجبراً أو غير مختار فالإيمان بالقضاء والقدر إذن لا ينافى الأخذ بالأسباب ولا مؤاخذة العبد بما نسب إليه من خـــير أو شر لأن الإيمان بهما لم يتعد التصديق بأن الله تعالى علم الأشياء وعلى ماهى عليه فيما لا يزال : وقد علم أزلا أنى أباشر الأسباب باختيارى وأن لى عملا أحاسب عليه : فليس الإيمان بالقدر داعيا لترك الأخذ بالأسباب والقرآن الكريم يدعونا إلى مباشرة الأسباب والأخذ بها فيقول .

١ - (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه)

٢ - (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل)

٣ - (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) .

متى يجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر ومتى لا يجوز ؟

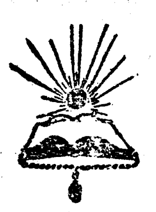
هناك حالة واحدة يجوز فيها الاحتجاج بالقضاء والقدر وحالتين آخرتين لا يجوز فيها الاحتجاج بالقضاء والقدر :

فالحالة التى يجوز فيها الاحتجاج بالقدر هى - ماكانت بعد الوقوع فى الشىء ولدفع اللوم عنه : كما فى حديث الصحيحين فقد ورد (أن روح آدم التقت مع روح موسى فقال موسى لآدم أنت أبو البشر كنت سبباً لإخراج أولادك من الجنة بأكلك من الشجرة ؟ فقال آدم ياموسى أنت الذى اصطفاك الله لكلامه وخط لك التوراة بيده تلومنى على أمر قدره الله على قبل أن يخلقنى بأربعين سنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى » أى غلبه » عليهما الصلاة والسلام .

والحالتان اللتان لايجوز الاحتجاج بهما فهما :

(أ) قبل الوقوع فى الشىء توصلا إليه بأن يقول الشخص قدر الله على القتل مثلا أو السرقة أو الزنا توصلا للوقوع فى أية خطيئة من هذه الخطايا .

(ب) بعد الوقوع فى الشىء للتخلص من الحد أو نحوه كما إذا وقع إنسان فى خطيئة من هذه الخطايا مثلا فاحتج بأنها قدر الله عليه ليتخلص من الحد .



إختبــــار

عرفى القضاء والقدر لغة واصطلاحا على اختلاف مذاهب العلماء فيه ، ثم بينى حكم الايمان بالقضاء والقدر ودليله ، ثم أجيبى عن هذه التساؤلات مؤكدة إجابتك بالاستدلال عليها :

(ا) ماهو حكم الايمان بالقضاء والقدر ؟

(ب) هل الإيمان بالقضاء والقدر يستلزم الرضا بهما ؟

(ﺟ) متى يجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر ومتى لايجوز ؟

تتمــــة

* التوفيق والخذلان
* الوعد والوعيد
* السعادة والشقاوة
* الصلاح والأصلح

بعد أن بينا آراء العلماء فى أفعال العباد والقضاء والقدر فإنه يتعين علينا إتماما للمراد أن نتناول بالحديث هذه النقاط الآتية :

التوفيق والخذلان

تعريفهما لغة . مذاهب العلماء فيها شرعا .

التوفيق لغة . . التأليف . . تقول وفقت بين المتخاصمين . إذا ألفت بينهما وشرعا للعلماء فيه مذاهب .

١ — مذهب أبي الحسن الأشعرى : هو خلق قدرة الطاعة فى العبد وقد فسر قدرة الطاعة فى العبد . . . بأنها العرض المقارن للطاعة . . وعليه فيكون الكافر غير موفق إذ لم يخلق الله فيه قدرة الطاعة بهذا المعنى .

وقد أعترض على أبي الحسن بأن الشخص مكلف قبل الطاعة مع أنه قبلها على مذهبه ليس فيه قدرة فيلزم عليه تكليف العاجز وهو ممنوع .

وأجيب بأنه قادر بالقوة حيث أنه متصف بسلامة الأسباب والآلات .

٢ — مذهب أمام الحرمين : هو خلق قدرة الطاعة فى العبد والداعية إليها — وقد فسر قدرة الطاعة بسلامة الأسباب والآلات .

ولما كان الكافر متوافراً فيه قدرة الطاعة بمعنى سلامة الأسباب والآلات زاد قيد الداعية ، الميل النفسانى ، لكى يخرج الكافر .

٣ — مذهب بعض العلماء : هو خلق الطاعة نفسها .

الخذلان . . . لغة . . . ترك النصرة والإعانة . . . تقول خذل فلان فلانا إذا ترك نصرته وإعانته .

وشرعا . . . للعلماء فيه مذاهب .

١ — مذهب أبي الحسن الأشعرى : هو خلق قدرة المعصية فى العبد . وقد فسر قدرة المعصية بالعرض المقارن للمعصية .

٢ — مذهب أمام الحرمين : هو خلق قدرة المعصية فى العبد والداعية إليها

وقد فسر قدرة الطاعة بسلامة الأسباب والآلات ولما كانت سلامة الأسباب والآلات موجودة كذلك فى المؤمن الطائع زاد قيد الداعية إليها لكى يخرج المؤمن الطائع من الخذلان .

فالمخذول لا يطيع وهو الحق إذ لا قدرة له على الطاعة على رأى الأشعرى . ولا ميل عنده على رأى أمام الحرمين خلافاً لبعضهم حيث قال أن المخذول يطيع ويجمع بينهما بأن المخذول لا يطيع من حيث ما خذل فيه .

٣ — مذهب بعض العلماء : هو خلق المعصية نفسها .

الوعد والوعيد

الوعد . . . هو التأميل فى الثواب .

الوعيد . . . هو التخويف بالعقاب .

وقد أتفق الأشاعرة والماتريدية فى أن الوعد لا يتخلف ولكنهم أختلفوا فى الوعيد هل يتخلف أم لا نتظر .

الوعد . . . أتفق الأشاعرة والماتريدية على أن وعد الله المؤمنين بالجنة لا يتخلف شرعا بأدلة عقلية ونقلية .

الأدلة العقلية :

(أ) لو تخلف أعطاء الموعود به لزم الكذب واللازم باطل فكذا الملزوم وهو التخلف .

(ب) الخلف فى الوعد نقص . وكل نقص فى حق الله محال ∴ أذن فالخلف فى حق الله محال .

(ج) وعد الله مبنى على التنجيز وكل مبنى على التنجيز لا يجوز تخلفه ∴ أذن وعد الله لا يجوز تخلفه .

الأدلة النقلية :

(ا) قوله تعالى (وعد الله لا يخلف الله الميعاد) .

(ب) قوله تعالى (أن الله لا يخلف الميعاد) .

(ج) قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له) .

الوعيد : الوعيد قسمان : -

(ا) وعيد على الكفر .

(ب) وعيد على معصية غير الكفر .

ولقد أتفق الأشاعرة والماتريديه فى الوعيد على الكفر لكنهم أختلفوا فى الوعيد على المعصية غير الكفر .

(ا) وعيد على معصية الكفر : أتفق الجميع على أن الوعيد على معصية الكفر لا يجوز تخلفه لقوله تعالى . (أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فهذه الآية مقيدة لعموم قوله تعالى (أن الله يغفر الذنوب جميعاً) فكأن المعنى أن الله يغفر الذنوب جميا عدا الذنب فى معصية الكفر فإن الله لا يغفرها .

(ب) وعيد على معصية غير الكفر : أختلف الأشاعرة والماتريدية فى الوعيد على معصية غير الكفر .

١ — مذهب الأشاعرة : يجوز تخلف الوعيد على معصية غير الكفر بأدلة عقلية ونقلية .

الأدلة العقلية : (ا) الخلف فى الوعيد لا يعد نقصا بل يعد كرما يمتدح به كما يشير إليه قول الشاعر العربى .

وأنى وأن أوعدته أو وعدته   لمخلف أيعادى ومنجز موعدى

الأدلة النقلية ... قوله تعالى ... (أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) .

وقول الرسول — صلى الله عليه وسلم (ومن أوعده الله على عمل عقابا فهو بالخيار إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه) .

وقد اعترض على هذا المذهب بأن تخلف الوعيد يلزم عنه مفاسد كثيرة .

(أ) الكذب في خبره تعالى . وقد قام الإجماع على تنزيه خبره تعالى عن الكذب . .

وقد رد هذا الاعتراض بأن الكريم إذا أخبر الوعيد فاللائق بكرمه أن يبنى أخباره به على المشيئة وأن لم يصرح بها فاذا قال الكريم لاعذبن فلانا من الناس فنيته أن شئت وعليه فلا يلزم الكذب بخلاف وعد الكريم فانه مبنى على الجزم والتنجيز يدل على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من وعده على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن أوعده على عمل عقابا فهو بالخيار إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه) .

(ب) تبدل القول وقد قال تعالى (ما يبدل القول لدى)

ورد هذا الاعتراض بأن الممنوع إنما هو تبديل القول في وعيد الكفار أو من لم يرد الله العفو عنه :

(جـ) تجويز عدم خلود الكفار في النار :

ورد هذا الاعتراض بأن جواز تخلف الوعيد فيما إذا كان وارد فيمن يجوز العفو عنه فلا ينافي خلود الكفار في النـــار لأنه لا يجوز العفو عنه فلا ينافي خلود الكفار في النار لأنه لا يجوز العفو عن الكفر .

٢ - مذهب الماتريدية : يمتنع تخلف الوعيد لأنه لو تخلف للزم الكذب في خبره تعالى .

وهذا مردود بأن وعيد الكريم مبنى على المشيئة فلا يلزم الكذب وامتناع تخلف الوعيد عندهم إنما يكون في غير المغفور له أما هو فخرج من عموم آيات الوعيد .

السعادة والشقاء

للعلماء فى السعادة والشقاوة مذهبان

المذهب الأول .. مذهب الأشاعرة .. أن السعادة هى الموت على الايمان باعتبار تعلق علم الله أزلا بذلك .

سعيد .. من علم الله موته على الإيمان

والشقاوة .. هى الموت على الكفر باعتبار تعلق علم الله أزلا بذلك والشقى .. من علم الله موته على الكفر .. فالخاتمة تدل على السابقة .

فان ختم له بالإيمان دل على أنه فى الأزل كان من السعداء وأن تقدمه كفر وأن ختم له بالكفر دل على أنه فى الأزل كان من الأشقياء وأن تقدمه إيمان ..

يدل على ذلك حديث الصحيحين . (أن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة .

فالسعادة والشقاوة عند الاشاعرة أزليتان لا تتغيران وعليه فليس كل من فوز السعيد وشقاوة الشقى باعتبار الوصف القائم به فى الحال من الإيمان فى الأول والكفر فى الثانى بل باعتبار ما سبق أزلا فى علمه تعالى :

ولهذا لم يتحول كل واحد من السعيد والشقى عما سبق أزلا فى علمه تعالى فالسعيد لا ينقلب شقيا وبالعكس وإلا لزم إنقلاب العلم جهلا وهو بديهى الاستحالة .

المذهب الثانى .. مذهب الماتريدية :

السعادة .. هى الإيمان فى الحال والسعيد هو المؤمن الحالى ...
فإذا مات على الكفر فقد انقلب شقيا بعد أن كان سعيداً .

والشقاوة هي الكفر في الحال .. والشقي هو الكافر الحال فإذا مات على الإيمان فقد إنقلب سعيداً بعد أن كان شقيا فالسعادة والشقاوة حادثتان متغيرتان .

ولاشك أن الأشاعرة والماتريدية لم يختلفوا إلا في المراد من لفظ السعادة ، والشقاوة فقط فالخلاف بينهم لفظي فقط وليس خلافا حقيقيا ، لكنهم متفقون في الأحكام .

فالأشاعرة نظروا المآل باعتبار مافي علم الله والماتريدية نظروا للحال فهم متفقون على ما يلي ..

١ ـ من مات على الإيمان يكون سعيدا ومن مات على الكفر يكون شقيا .

٢ ـ يجوز الارتداد على من علم الله موته على الإيمان ويجوز على من علم الله موته على الكفر .

٣ ـ ما في علم الله لا يتبدل . وما يظهر للعباد في الدنيا يتبدل .

الصلاح والأصلح

الصلاح .. هو النافع .. ويقابله الفساد كالإيمان فى مقابلة الكفر ..

والأصلح هو الأنفع ومقابلة الصلاح .. ككون محمد فى أعلا الجنان فى مقابلة كونه فى أسفلها ...

مذاهب العلماء :

يختلف المتكلمون فى الصلاح والأصلح هل هما واجبان على الله أم جائزان عليه سبحانه وتعالى .

(أ) مذهب المعتزلة وأدلتهم :

أتفق المعتزلة على القول بوجوب الصلاح والأصلح على الله سبحانه وتعالى .

بمعنى أنه إذا كان هناك أمران فى أحدهما صلاح الإنسان وفى الآخر فساده وجب على الله سبحانه وتعالى أن يفعل الصلاح منهما دون الفساد .

كما أنه إذا كان هنا أمران فى أحدهما ما به صلاح الإنسان وفى الاخر ما به ماهو أصلح وجب على الله أن يفعل الأصلح منهما .

غير أن المعتزلة فى تحديد ميدان الصلاح والأصلح فريقان .

١ ـ معتزلة بغداد .. يرون وجوب الصلاح والأصلح على الله لعبادة فى الدنيا والدين . والمراد بالأصلح الأوفق فى الحكمة والتدبير .

٢ ـ معتزلة البصرة .. يرون وجوب الصلاح والأصلح على الله لعباده فى الدين فقط .. والمراد بالأصلح الأنفع ..

أدلة المعتزلة :

للمعتزلة على مذهبهم هذا أدلة عدة نذكر منها . . .

١ - لو لم يجب على الله فعل الصلاح والأصلح لعباده للزم العجز أو الجهل أو البخل أو السفه أو العبث لكن ماذكر باطل فى حقه سبحانه وتعالى فبطل ما أدى إليه وهو جواز ترك الصلاح والأصلح .

وثبت وجوب الصلاح والأصلح على الله تعالى وهو المطلوب .

وبيان هذه الدليل :

أن ترك الأصلح أن كان لعدم القدرة .. لزم العجز .. وإن كان القدرة عليه وتركه لعدم العلم به لزم الجهل وإن كان لعلمه ويقدر عليه وشح به لزم البخل وأن كان تركه لغير ما ذكر ولكن لغرض فاسد لزم السفه وأن كان لا لغرض أصلا لزم العبث وكل ذلك على الله محال فاستحال ما أدى إليه من جواز ترك الصلاح والأصلح على الله وثبت وجوب الصلاح والأصلح .

وهذا أهم الدليل العقلى الذى أقامه المعتزلة لمذهبهم ولقد أقاموا لمذهبهم أدلة نقلية كثيرة نذكر منها ما يلى : -

١ - قول الله تعالى : (وما من دابة فى الارض إلا على الله رزقها) .

٢ - قول الله تعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) .

(ب) مذهب أهل السنة :

يرى أهل السنة أن الصلاح والاصلح غير واجبين على الله سبحانه وتعالى لان الله لا يجب عليه شىء وأن هناك خلافا بسيطا بين الاشاعرة الماتريدية لا حاجة بنا إليه فى هذا المختصر .

أدلة أهل السنة على مذهبهم :

لأهل السنة على مذهبهم هذا أدلة عقلية ونقلية نذكر منها ما يلي .

* النقلية :

١ - قول الله تعالى (وربك يخلق مايشاء ويختار) .

٢ - قول الله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) .

٣ - قول الله تعالى .. (أفرأيت من أتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) .

* العقلية :

١ - لو وجوب على الله فعل أو ترك لماكان مختارا لأن المختار هو الذى أن شاء فعل وأن شاء ترك . لكن ثبت أن الله متصف بالارادة والاختيار .

٢ - لو وجب على الله فعل الصلاح والاصلح لما خلق الكافر الفقير المعذب فى الدنيا والاخرة لأن الاصلح له عدم خلقه أو أماتته صغيرا . أو سلب عقله .

٣ - لو وجب على الله فعل الصلاح والاصلح لما عـــذب الاطفال والعجماوات - الأسقام .

اختبار

س ١

عرف كلا من التوفيق والخذلان لغة وشرعا على مختلف المذاهب في ذلك مع التفصيل والتوضيح .

س ٢

ما المراد من الوعد .. ؟ وما المراد من الوعيد . ! هل وعد الله المؤمنين بالثواب يتخلف ؟ ولماذا ؟ حدثنا عن مذهب العلماء وأدلتهم على وعيد الله تعالى على معصية غير الكفر . وما هو المذهب المختار لديك ولماذا ؟

س ٣

للاشاعرة والماتريدية في السعادة والشقاء موطنا اتفاق واختلاف. حدثنا عما اتفقوا عليه في قضيتنا هذه وما اختلفوا فيه ثم عرف السعادة والشقاء على مذهبي كلتيهما .

س ٤

بين مع التمثيل المراد من الصلاح والاصلح في عرف المتكلمين ثم حدثنا بشيء من التفصيل عن مذهبي المعتزلة وأهل السنة وأدلتهم في قضيتنا هذه . وما هو المذهب المختار لديك ؟ ولماذا ؟

الباب الرابع

الرؤية

- ☆ معنى الرؤية
- ☆ مذاهب العلماء فيها
- ☆ مذاهب العلماء فى وقوع الرؤية فى الدنيا للأولياء
- ☆ من يرون الله ـ تعالى ـ ومن لا يرونه فى الآخرة

يختلف الباحثون فى العقيدة الاسلامية فى كون رؤية الله - تعالى - جائزة أم غيرها جائزة ولكل وجهته التى هو موليها والتى يراها تقترب من الصواب بقدر ماتبتعد وجهة غيره عنه وتبتعد عن الباطل بقدر ماتقترب وجهة غيره منه .

لكن واحدة من هاتين الوجهتين لم تقل فى قضيتنا هذه مايؤدى بها إلى الكفر - والعياذ بالله تعالى - فإحداهما إما منزهة محيلة ، والاخرى مجيزة مستدلة بظاهر النص ولكل مجتهد له - بالدرجة الدنيا - ثواب المجتهد المخطىء فى الاجتهاد .

ماذا قالت المجيزة الموجبة ؟ وبم استدلت ؟
ثم ماذا قالت المحيلة المحيلة وبم استدلت ؟

الصفحات التالية تحمل الخبر اليقين .

الرؤية

تعريف الرؤية :

نعنى بالرؤية هنا . . رؤية الله سبحانه وتعالى وتعريف الرؤية بهذا المعنى . . هى إنكشاف الله ـ تعالى ـ للرائين بأبصارهم من غير كيف ولا إنحصار .

مذاهب العلماء فى رؤية الله :

المتكلمون فى جواز وقوع الرؤية وفى استحالة هذا الوقوع فريقان فريق يرى جواز الوقوع فى الدنيا ووجوب الوقوع يوم القيامة وهم أهل السنة . وفريق يرى استحالتها فى الدنيا وفى الآخرة وهم المعتزلة وسنورد رأى كل منهما مدعما بأدلته التى رآها برهاناً لمذهبه .

(أ) مذهب أهل السنة فى الرؤية ، وأدلتهم :

يرى أهل السنة أن الرؤية جائزة الوقوع فى الدنيا واجبة الوقوع يوم القيامة واستدلوا على ذلك بأدلة عقلية ونقلية نذكر منها ما يلى :

• الدليل العقلى :

(أ) الله موجود وكل موجود يصح أن يرى فالله يصح أن يرى .

(ب) كما جاز أن يعلم البارى من غير كيفية وإدراك صورة جاز أن يرى كذلك لأن الرؤية نوع من العلم .

• الدليل النقلى :

قوله تعالى . . حكاية عن موسى عليه السلام

(رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر

مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) .

وقد استدل أهل السنة بهذه الاية من وجهتين .

• الأولى . . سؤال موسى عليه السلام للرؤية يدل على جوازها فلو لم تكن جائزة لما سألها .

ونظم الدليل هكذا .

لو كانت الرؤية ممتنعة في الدنيا ما سألها موسى عليه السلام ذلك لأن موسى عليه السلام نبي يعلم ما يجب في حق الله تعالى وما يستحيل وما يجوز إذ لا يجوز على نبي من الأنبياء الجهل بأحكام الألوهية . فلو كانت الرؤية مستحيلة لما طلبها موسى عليه السلام لكنه طلبها . فتكون الرؤية جائزة .

وأما الدليل على طلب موسى لها فإن القرآن الكريم ذكر ذلك صراحة فقال حاكيا عنه أنه قال (رب أرني أنظر إليك) .

• الثانية . . تعليقها على ممكن وهو استقرار الجبل .

ونظم الدليل من هذه الجهة هكذا .

رؤية الباري علقت على أمر ممكن . وكل ما علق على الممكن فهو ممكن ينتج رؤية الباري ممكنة .

ولقد وقعت فعلا لنبينا محمد — صلى الله عليه وسلم — ليلة الإسراء والمعراج فقد رأى ربه في هذه الليلة بعيني رأسه وهما في محليهما .

٢ — . . أدلة وجوب الوقوع في الاخرة :

أقام أهل السنة على مذهبهم من أن الرؤية واجبة الوقوع شرعا في الاخرة للمؤمنين في الجنة أدلة عدة من القرآن والسنة .

٢ — . . أدلة وجوب الوقوع فى الاخرة :

أقام أهل السنة على مذهبهم من أن الرؤية واجبة الوقوع شرعاً فى الاخرة للمؤمنين فى الجنة أدلة عدة من القرآن والسنة .

• فمن القرآن الكريم . .

قوله تعالى . . (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) .

« « . . (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) فقد فسرت الحسنى بالجنة وفسرت الزيادة بالتمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم .

وقوله تعالى (على الأرائك ينظرون) .

وقوله تعالى معيراً الكفار بحرمانهم من النظر إلى وجه الكريم

(كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) .

• ومن السنة :

قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم (أنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر) . . . والمقصود من التشبيه عدم الشك والخفاء . . أى رؤية لا شك فيها ولا خفاء . . لا أن يكون المرئى كالبدر صورة تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .

ومن ذلك كذلك . . الحديث المشهور الذى رواه واحد وعشرون من أكابر الصحابة ولفظه من رواية أبى هريرة فى الصحيحين (أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم هل تغارون[1] فى القمر ليلة البــدر قالوا لا يا رسول الله . قال فهل

---

(١) تغارون بتشديد الراء ، بمعنى هل تشكون فى رؤية القمر ليلة القدر .

تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يارسول الله قال فإنكم ترونه كذلك) .

(ب) .. مذهب المعتزلة . وردهم على أهل السنة ورفضه وأدلتهم وردها

يرى أهل المعتزلة أن رؤية الله سبحانه وتعالى مستحيلة فى الدنيا والآخرة . ولذلك فهم يرفضون مذهب أهل السنة يردون أدلتهم ثم يقيمون أدلتهم العقلية والنقلية على مذهبهم .

١ ــ رفض المعتزلة أدلة أهل السنة والرد عليهم :

لقد اعترضت المعتزلة على الدليل النقلى الذى أقامه أهل السنة على مذهبهم وهو قول الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام .. (رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى) الآية :

فقد استدل أهل السنة بهذه الآية على مذهبهم من وجهين :

ـ الوجه الاول أنها لو لم تكن جائزة ما سألها موسى عليه السلام فهو نبى يعلم ما يجب لله وما يستحيل عليه وما يجوز فى حقه :

لقد اعترض المعتزلة على هذا الوجه بأن موسى عليه السلام لم يسأل الرؤية لنفسه وإنما سألها لجهل قومه الذين قالوا (أرنا الله جهرة) وهو يعلم استحالتها ليجاب بالمنع فيعلم قومه ذلك :

ورد المعتزلة هؤلاء مردود . بصريح الآية متى تصرح بأن موسى طلبها لنفسه فقد قال ما تحكيه عنه القرآن الكريم (رب أرنى أنظر إليك) ولم يقل أرهم لينظروا إليك .

بل أن محققى المفسرين قالوا أن طلب موسى الرؤية كان قبل طلب قومه بزمن بعيد .

وأيضاً . سياق الآيات يفيد أن موسى - عليه السلام طلبها لنفسه وليس لقومه . فسياق الآية هكذا (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك) الآية كما أن قوله تعالى لن ترانى لا يفيد استحالة الرؤية والوجه الثانى تعلقها على أمر ممكن وهو استقرار الجبل بدلا من تحركه وهو ممكن فقد اعترضت المعتزلة على هذا الوجه بأن المراد الاستقرار حال التحرك وهو مستحيل لأن كونه متحركا ساكنا فى وقت واحد جمع بين النقيضين وهذا محال ورد هذا بأن المقصود أن تذهب الحركة ويأتى بدلا منها السكون وهذا ممكن لا محال .

أدلة المعتزلة :

أورد المعتزلة على مذهبهم أدلة عقلية ونقلية نذكر منها ما يلى .

ه الأدلة العقلية

الدليل الأول . لو كان البارى مرئياً لكان مقابلا للرائى بالضرورة فيكون فى جهة وتحيز وهذا محال .

ورد هذا الدليل بأن كونه تعالى فى جهة وحيز ممنوع إذ الرؤية قوة يجعلها الله فى خلقه لا يشترط فيها مقابلة المرئى ولا كونه فى جهة وحيز على أن هذه الأمور من المقابلة والجهة والحيز أمور عادية يجوز تخلفها .

الدليل الثانى :

أن رؤية البارى أما أن تكون بواسطة اتصال شعاع العين بالمرئى وهو البارى كما هو رأى بعض العلماء فى كيفية الإبصار وأما أن تكون بواسطة إنطباع المرئى فى حدقة الرائى وعلى رأى البعض الآخر وكلاهما ممتنع فى حق البارى سبحانه وتعالى .

فاتصال شعاع العين بالمرئى يستلزم المقابلة كما يستلزم الجزمية والمقابلة والجرمية محالان على الله تعالى .

كما أن الانطباع يستلزم كذلك صورة وجرماً والصورة والجرم كذلك محالان على الله سبحانه وتعالى .

ويرد هذا الدليل .. بأن ما ذكر من مستلزمات الأجسام والله سبحانه وتعالى ليس جسما .

كما يرد هذا الدليل أيضاً بأن رؤية البارى مخالفة لرؤية الحوادث ماهية أو هوية ومن هنا فإنها مختصة بقيود وشروط تخالف القيود والشروط اللازمة لرؤية الحوادث .

ه الدليل النقلي :

١ - قوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) .

ويرد هذا الاستدلال بأن الآية نفت إدراك الله بالأبصار بالصورة المعروفة عند العرب الذين كانت تخاطبهم الآية آنذاك .

٢ - أن سؤال الرؤية لم يذكر فى موضع من القرآن الحكيم إلا استعظمه الله تعالى (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) .

وقوله تعالى (وإذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) .

وقوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيراً) .

ويرد هذا الدليل . بأن ما استنكره القرآن وسماه ظلما وعتوا ورتب عليه الوعيد ليس طلبهم الرؤية ولكن لتعنتهم وعنادهم .

٣ ـ قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء) .

ووجه الاحتجاج بهذه الآية أن الله سبحانه وتعالى قصر تكليمه للبشر على أحوال ثلاثة :

الأول : الوحى : الثانى : كونه من وراء حجاب : الثالث : إرسال الرسل وكل واحد من هذه الثلاثة يستلزم عدم الرؤية أما الوحى ، فلأنه لم يكن مشافهة بل كان فى المنام أو بطريق الإلهام فليست معه رؤية وأما التكلم من وراء حجاب فعدم الرؤية فيه واضحة وأما إرسال الرسل وإيحائه فإنه صريح فى عدم المشافهة المستلزم لعدم الرؤية .

وإذا ثبت عدم الرؤية وقت الكلام فهو ثابت أيضاً فى وقت غير وقت الكلام .

ويرد هذا الدليل بأن قصر تكليم الله تعالى للبشر على الاحوال الثلاثة إنما هو فى الدنيا ونحن لانقول بوجوب الرؤية فيها :

ويؤيد هذا ما قيل فى سبب نزول الآية وهو أن اليهود قالوا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنه لا يعد نبيا إلا من يكلمه الله وينظر إليه كما كلم موسى ونظر إليه . ومن هنا فاننا لن نؤمن بك حتى يحصل لك ما حصل لموسى فبين لهم النبى صلى الله عليه وسلم أن موسى عليه السلام لم ينظر إلى الله فنزلت الآية لتصديق النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله .

وبذلك يتضح لنا أن الرأى الصواب فى موضوعنا هذا هو ما رآه أهل السنة من أن الرؤية جائزة فى الدنيا واجبة يوم القيامة .

مذاهب العلماء فى وقوع الرؤية فى الدنيا للأولياء :

الرؤية فى الدنيا لغير الانبياء حالتان حالة اليقظة ، وحالة النوم .

أولا : حالة اليقظة : للأشعرى فيها قولان أرجحهما المنع وهو الحق بل ذهب بعض العلماء إلى تكفير من أدعى أنه رأى ربه يقظة :

ثانياً : حالة النوم : وهذا جائز الوقوع فقد حكى صاحب الجوهرة أن الإمام أحمد ابن حنبل رأى ربه مائة مرة فى المنام[1] .

وبذلك يثبت لدينا أنها جائزة الوقوع مناما فى الدنيا للأولياء :

من يرون الله ومن لا يرونه فى الاخرة :

القائلون بوقوع الرؤية يوم القيامة يبينون من سيرون ربهم يوم القيامة فيحصرونه فيما يلى :

١ - مؤمنو الأمة المحمدية اتفاقا .

٢ - مؤمنوا الامم السابقة على الأظهر :

٣ - أهل الفترة على القول بنجاتهم .

٤ - مؤمنوا الجن فى الموقف إجماعا وفى الجنة على الراجح :

٥ - الملائكة على الراجح وقيل الذى يراه من الملائكة جبريل فقط

كما يبينون من لا يرونه فيحصرونهم فى الكفار والمنافقين لقوله تعالى :

(كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)

---

(١) ارجعى إلى شرح البيجورى ، على الجوهرة لشيخ الإسلام ابراهيم البيجورى صـ ١٣٤ طبعة إدارة المعاهد الازهرية .

الاختبار

س ١

(ا) ما معنى الرؤية . . ؟

(ب) حدثنا عن مذاهب العلماء فيها وأدلتهم عليها .

(جـ) كان قوله تعالى - حكاية عن موسى - عليه السلام [رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن أنظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى] الآية دليلا لأهل السنة اتخذه المعتزلة دليلا على مذهبهم المخالف فكيف وجه كلاهما الآية لتكون دليلا على مذهبه ؟

(د) أى المذهبين أحق بالاعتبار أمذهب أهل السنة أم مذهب المعتزلة ؟ ولماذا ؟

(هـ) حدثنا عن مذاهب العلماء فى وقوع الرؤية فى الدنيا للاولياء

(و) من هى الفئات التى سترى ربها يوم القيامة على رأى من يرى أن الرؤية واقعة للمؤمنين فى الجنة يوم القيامة ؟

الباب الثالث

السمعيات

الفصل الأول : قضية الموت

الفصل الثانى : ماذا فى القبر ؟

الفصل الثالث : البعث والحشر مفهوما وإثباتا

الفصل الرابع : اليوم الآخر وما فيه

تقديم :

لقد أزاحت عقيدة اليوم الآخر ومافيه من ثواب وعقاب من ذاكرة الإنسان فكرة الفناء الأبدى ومحت من خياله ما خاله من أن القبر هوة عميقة تبتلع الإنسان ثم تلقى به فى يد العدم وأقنعه بأن القبر استراحة قصيرة للجسد تعود الروح إليه بعدها فى يوم ما . وأن فترة البرزخ هجعة تعقبها حياة خالدة باقية يساق فيها المجرمون إلى سقر والمحسنون إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

هذا وينقسم حديثنا عن السمعيات إلى قسمين :

(ا) مامعنى السمعيات ؟

(ب) ما هى السمعيات ؟

فلنبدأ مستمدين من الله الحول والطول والتوفيق والسداد فى تناول هذين الموضوعين :

(ا) ماهى السمعيات :

السمعيات هى الأمور التى لاتؤخذ إلا بالسماع من الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم ولا يستقل العقل بإدراكها وحده لأنها وراء المادة المدركة بالحواس . وطريق ثبوتها هو القرآن الكريم والسنة الصحيحة . وذلك كالصراط والميزان والصحف وغير ذلك من أمور تثبت بالسماع ولا يستطيع العقل وحده الاستقلال بإدراكها لو لم يرد من الشرع مايثبت ذلك وإن كان العقل لاينكره . وهذه الأمور السمعية لاتخضع لأحكام دنيانا المادية المدركة بالحواس .

(ب) ما تشتمل عليه :

وفى رحلتنا الفكرية هذه سوف نعايش الراحلين إلى عالمهم الأخروى

الفصل الأول

قضيه الموت

(ا) ما معنى الموت . . ؟

(ب) مذاهب العلماء فى فناء المخلوقات بالموت .

(ج) مذاهب العلماء فيمن يتولى قبض الأرواح .

(د) ما الذى يفنى من الإنسان بالموت وما الذى يبقى ؟

(ﻫ) هل القتل كالموت فى انقضاء الأجل أم أن القتل استعجال الأجل؟ مذاهب العلماء فى ذلك وتعقيبنا .

(و) أثر الموت فى جزئى الإنسان

– عجب الذنب ومذاهب العلماء فيه .

– الروح .

١ – لماذا نبحث عن الروح ... ؟

٢ – لماذا لم تبين الرسالات السماوية حقيقة الروح ... ؟

٣ – حكم البحث عن حقيقة الروح .

٤ – ماهى الروح ... ؟

٥ – هل هى روح واحدة أم روحان ... ؟

٦ – هل الروح خلقت قبل الجسد أم بعده ؟

٧ – محل الروح فى الدنيا والآخرة .

لنرى ما يحدث لهم إلى أن يستقروا في دار ثوابهم أو عقابهم كما علمتنا عقيدتنا الحقة . ومؤيدين قضايانا ا تذكر بالقرآن الكريم والسنة الصحيحة .

فقد تمر بنا الجنائز في طريقها إلى مثواها الأخير فتلق عليها نظرة وداع ، ثم نعود إلى دنيانا فنشتغل بها عن ماودعناه اليوم وقد كان مثلنا بالأمس له في دنيا مثل مالنا مطمع ومطمح وآمال وأهـداف فما الذي يحدث له ؟ . . بل ماذا هنك ؟ !

والواقع أن السمعيات التي حدثتنا عنها عقيدتنا تشتمل على قضايا كثيرة سنتحدث عنها مرتبة مع المسيرة الأخروية التي يبدأها الإنسان بالموت إلى أن يكون في الجنة أو النار .

فعلى بركة الله .

يقول : قس بن ساعدة الإيادى . . . ما بال المسوقى الذين يذهبون لا يرجعون . . ؟

أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا . . ؟

ثم ينشد :

فى الغابرين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مصائرا القوم ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها تمضى الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضى إلى ولا من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر

ويقول على بن أبى طالب فى وصيته لابنه الحسن : ـ

« يا بنى واعلم أن من كانت مطيته الليل والنهار فإنه يسار به وإن كان واقفا ويقطع المسافة وإن كان مقيما وادعا » .

وأبوا نواس وهو الشاعر العربى الذى عاش لذاته فقط حتى أربى سكره على صحوه .

يقول : ـ

ألا كل حى هالك وابن هالك وذو نسب فى الهالكين عريق

فحيث كانت الحياة كان الموت لها بالمرصاد . وما ولدت الحياة وابدأ إلا نسبته إلى الموت ووثقت صلته به .

يقول الله تعالى :

« كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام(١) » .

(١) الرحمن : ٢٦ — ٢٧ :

(ا) مامعنى الموت .. ؟

اختلف المتكلمون فى حقيقة الموت .. هل هو وجودى أم عدمى .. ؟

فذهب الأشعرى ومن وافقه إلى أن الموت وجودى . ولذا فقد عرفه بأنه «كيفية - أى صفة وجودية . تضاد الحياة» وعلى هذا المذهب فإن التقابل بين الموت والحياة تقابل التضاد .

ولقد استدل الأشعرى ومن وافقه على مذهبه هذا بقوله تعالى: (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور)(١) .

فخلق الشيء إيجاده وقد وقع الخلق على الموت وعلى الحياة معا فهما أمران وجوديان .. كما أن الموت فى الآية صنو الحياة والحياة أمر وجودى لأنها حركة وحس ونماء وكلها أمور وجودية فهى إذن أمر وجودى وكذلك الموت صنوها .

وذهب الاسفرائينى والزمخشرى إلى أن الموت عدمى .. وعرفاه «بأنه عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حيا» .

وعلى هذا المذهب فإن التقابل بين الموت والحياة يكون تقابل العدم والملكة وأولا الخلق فى الآية (الذى خلق الموت والحياة) بالتقدير أى الذى قدر الموت والحياة ووقوع الموت أمر بدهى لا يحتاج إلى دليل لإثباته . فقد آمن به المؤمن وغير المؤمن لأنه واقع مشاهد . قال تعالى (كل نفس ذائقة الموت)(٢) .

ومن هنا فقد أوجب الإسلام على أبنائه التصديق به واعتبر منكره كافرا لمخالفته النص القطعى وعدم إيمانه به - أما الفناء بالموت فإنه محل الخلاف .

---

(١) سورة الملك : ٢ (٢) سورة آل عمران

(ب) مذاهب العلماء فى فناء المخلوقات بالموت :

لا يختلف عاقل مع نفسه كما لا يختلف مع غيره فى الموت فهو حقيقة واقعة لا جدال فيها ولكن العلماء اختلفوا فى فناء المخلوقات بالموت على مذاهب ثلاثة .

١ — مذهب أهل السنة :

يجب التصديق بعموم فناء الكل بالموت بعد فراغ الآجال المقدرة .

٢ — مذهب الدهرية :

الفناء للأشخاص والنوع أبدى فالأرحام تدفع والأرض تبلع ومايهلكنا إلا الدهر وهو مذهب بدهى البطلان فهو مذهب مبنى على عدم الإيمان بالله ولا بآخر فالزمن هو الذى يهب الحياة وهو الذى يسلبها وليس هناك شيء بعد ذلك فما هى إلا أرحام تدفع وأرض تبلع .

٣ — مذهب الفلاسفة :

الموت يكون بمجرد اختلال الطبيعة . وهو مذهب بدهى البطلان مثل سابقه ، والمذهب الأصح والذى يجب الإيمان به هو مذهب أهل السنة .

(ج) مذاهب العلماء فيمن يتولى قبض الأرواح :

اختلف العلماء فيمن يتولى قبض الأرواح على مذاهب ثلاثة .

مذهب أهل الحق :

يرى أهل الحق أن الذى يتولى قبض جميع الأرواح من انس وجن وملائكة بل وطيور وبهائم هو ملك الموت (عزرائيل) حتى ذهبوا فى أحد قولين لهم أنه هو الذى سيتولى قبض روحه هو والقول الثانى : يرى أن الله - سبحانه وتعالى - هو الذى سيقبض روحه .

مذهب المعتزلة :

ويرى المعتزلة أن ملك الموت هو الذى يقبض أرواح الإنس والجن فقط .

مذهب المبتدعة :

ويرى هذا الفريق من الباحثين أن ملك الموت لايقبض أرواح البهائم بل يقبضها أعوانه .

والأصح مذهب أهل الحق .

ولقد أسند الموت فى ثلاث آيات باعتبارات مختلفة .. مرة إلى الله تعالى وأخرى إلى ملك الموت .. وثالثة : إلى رسل الله (ملائكته) .

فأسند التوفى إلى الله تعالى .. فى قوله تعالى .. (الله يتوفى الأنفس حين موتها)(١) . والاسناد هنا على الحقيقة لأن الله - تعالى - هو الخالق لذلك على الحقيقة .

كما أسند ثانية إلى ملك الموت — فى قوله تعالى : (قل يتوفاكم

(١) الزمر : ٤٢

ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون)(١) وقد أسند إلى الملك الموت لمباشرته له .

كما أسند ثانيه إلى أعوان ملك الموت فى قوله تعالى : (توفته رسلنا وهم لايفرطون)(٢) لمباشرتهم له كذلك .

(د) ما الذى يفنى من الإنسان بالموت وما الذى يبقى بعد الموت ؟

الذى يفنى من الإنسان بالموت هـو الجسد الذى يتحول إلى رماد تذروه الرياح .

وأما الذى يبقى بعد الموت فهو عجب الذنب والروح . وسنتحدث عن هذين بالتفصيل فى بابنا هذا .

وخلاصة القول أن عقيدة الإسلام فى الموت هكذا :

(أ) يجب التصديق بالموت فهو واقع مشاهد بقدر ما يجب التصديق بأن الله سبحانه وتعالى قسم لكل حى أجله فإذا ما انتهى هذا الأجل فإن ملك الموت يقبض الروح بأمر الله - تعالى .

(ب) يجب التصديق بأن الذى يقبض الروح هو ملك الموت .

(ج) يجب التصديق بأنه ليس هناك باق إلا الله وأن الفناء مدرك كل من وما سواه من ملك وبشر وحيوان وسماء وأرض وشمس وقمر ونجم . فهذه كلها كانت مرافق عامة للإنسان الذى قرر خالقه فناءه فلماذا هى إذن ؟

(١) السجدة : ١١
(٢) الأنعام : ٦١

إن القرآن الكريم يحدثنا عن هذه النهاية التي تنتظر هذه الموجودات فيقول : (إذا الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت . وإذا الجبال سيرت . وإذا العشار عطلت . وإذا الوحوش حشرت . وإذا البحار سجرت . وإذا النفوس زوجت)(١) .

(د) منكر الموت بالمعنى الذى قرره القرآن الكريم كافر لإنكاره القرآن أما كونه وجوديا أو عدميا وكون ملك الموت وأعوانه يقبضون أرواح الثقلين فحسب أو هما وبقية المخلوقات الحيه فأمور ظنية لم تثبت بأدلة قاطعة فلا ضير على من اعتقدها أو لم يعتقدها .

ولكن إذا كان لكل أجل كتاب — كما علمنا ديننا — وأن الله — سبحانه وتعالى — الذى قسم لكل موجود سواه أجله فإذا ما أنتهى هذا الأجل مات الإنسان . . . فما قولنا فى عبد يصاب فى حادث فتزهق روحه أو يقتله سواه . . . هل كلاهما — كمن مات حتف أنفه — ميت بإنقضاء عمره . . . ؟

إجابة هذا التساؤل فيما يلى :

(هـ) هل القتل كالموت فى إنقضاء الأجل أم أن القتل استعجال للأجل ؟

لم يختلف المعتزلة مع أهل السنة فى إنقضاء الأجل بالموت لكنهم اختلفوا معهم فيمن قتل . هل القتل يكون عند فراغ الأجل أم أن المقتول لو لم يقتل لعاش إلى أجل الموت .

---

(١) التكوير من ١ — ٧

١ – مذهب أهل السنة :

الأجل واحد لا يقبل الزيادة ولا النقص . فما قدره الله لشخص لابد أن يتم حسبما قدر . وعليه فكل مقتول ميت بانقضاء عمره وحضور أجله فى الوقت الذى علم الله حصول موته فيه أزلا بخلقه تعـــالى من غير مدخلية للقاتل .

فلو لم يقتل المقتول لجاز أن يموت فى ذلك الوقت أو لا يموت حسب مافى علم الله . لأنه لا اطلاع لنا على مافى علمه سبحانه وتعالى ، وقد ظهر بالقتل أن عمره قد انقضى عند ذلك الحد .

أدلتهم . .

لأهل السنة على مذهبهم أدلة عقلية ونقلية نذكر منها ما يلى :

العقـــلى . .

العبد قد حكم الله بأجله على ما علم من غير تردد .
وكل من حكم الله بأجله على ما علم من غير تردد ميت بأجله .
∴ فالعبد ميت بأجله .

النقـــلى . . قوله . . تعالى . .

(ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون)
وقول الرسول ـ ﷺ .

(إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وتستوفى أجلها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب) .

الاعتراض على مذهب أهل السنة ورده :

أورد الباحثون على مذهب أهل السنة عددا من الاعتراضات نذكرها ثم نردفها بالرد عليها .

الاعتراض الأول :

إذا لم يكن للقاتل مدخل فى انقضاء أجل المقتول فلم وجب القصاص منه . . إن وجوب القصاص من القاتل دليل على تأثيره فى أجل المقتول بالتقديم مثلا .

ويرد هذا الاعتراض بأن القصاص على الكسب لا على قطع الأجل فإن قطع الأجل من عمل الله لا من عمل القاتل .

الاعتراض الثانى :

ورد أن بعض الطاعات كصلة الرحم والصدقة تزيد فى العمر .

ويرد هذا الاعتراض بعدة ردود :

(أ) المقصود بالزيادة هنا الخير والبركة .

(ب) الزياده هنا بالنسبة لما فى صحف الملائكة(١) .

---

(١) يفسر شيخ الإسلام إبراهيم البيجورى فى كتابه جوهرة التوحيد (تحفة المريد على جوهرة التوحيد) ١٩٠ طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرة . معنى هذا الرد فيقول (فقد يثبت الشىء فيها مطلقا , وهو فى علم الله مقيد بأن لا يفعل كذا من الطاعات وإن فعلها فله ستون فإن سبق فى علمه تعالى أنه يفعلها فلا يتخلف عن فعلها وكان عمره ستين فالزيادة بحسب الظاهر على ما فى صحف الملائكة وإلا فلابد من تحقق ما فى علمه تعالى كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : (يمحوا الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) .

(ج) الحديث الوارد بذلك حديث آحاد .

الاعتراض الثالث :

ليس فى قوله تعالى : (ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) مايصلح دليلا لموطن الاستدلال فى قضيتنا هذه وذلك لعدة أمور .

(ا) لأن هذه الآية مصدرة بالأمة ولا يلزم من تعيين الأجل لكل أمة تعينه لكل فرد من أفرادها لأن آجال الأمم غير آجال الأفراد فيصح أن تكون آجال الأمم لا نقص فيها ولا زيادة . ومع ذلك يجوز أن يكون النقص فى آجال الأفراد لأنه لا تلازم بينهما .

وترد هذه الشبهة حول الدليل . بأن الآية فى عمومها شاملة للأمة من حيث هى ولأفرادها فردا فردا فتصلح لموطن الاستدلال لأن الآية فى عمومها تريد أن تقول لنا إن لكل أمة أجل تحياه لتفنى بعده وتحل بعدها أمة أخرى . . وكذا كل فرد من أفراد هذه الأمة له أجـــل لا يستأخر ولا يستقدم فتسقط هذه الشبهة .

(ب) لوسلم أن هذه وما ماثلها فى آجال الأفراد فهى لا تدل على مذهب أهل السنة بل يجوز أن يكون الأجل المذكور فيها هو الأجل الثابت وهذا لا يمنع من الزيادة والنقصان فى الأجل المعلق .

وترد هذه الشبهة بأن القاعدة أغلبية .

(ج) إن هذه الآية (ولكل أمة أجل فإذا جا أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) معارضة بقوله تعالى : (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده)(١) حيث تدل هذه الآية الأخرى على تعدد الأجل . لأن النكرة إذا أعيدت نكرة تكون الثانية غير الأولى فهما إذن أجلان .

ونرد هذه الشبهة بأن الأجل الذى قضاه الله - تعالى - هو أجل الدنيا والأجل المسمى هو أجل الآخرة .

وبذلك ننتهى من مذهب أهل السنة وأدلتهم .

٢ - مذهب المعتزلة :

للمعتزلة فى موضوعنا هذا آراء ثلاثة تدور كلها على أن القتل غير الموت وهذه الآراء هى .

رأى جمهور المعتزلة :

المقتول ميت بغير أجله . ذلك لأن القتل غير الموت والمقتول له أجل واحد هو الوقت الذى حدد الله موته فيه لو لم يقتل فالقاتل قطع على المقتول أجله وأن القتيل لو لم يقتل لعاش إلى أجله قطعا .

أدلتهم :

١ - قوله تعالى : (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير)(١) .

٢ - الأحاديث الكثيرة التى تبين أن بعض الطاعات تزيد فى عمر الإنسان - ووجه الاستدلال بهذه الأحاديث أن ما يقبل الزيادة يقبل النقصان فالعمر الذى يقبل الزيادة بعمل الصالحات يمكن أن يقبل النقص بغيرها .

---

(١) فاطر ١١

٣ — لو كان المقتول ميتاً بأجله لما استحق القاتل ذماً ولا قصاصا ولا دية ولا عقاباً لكن عدم استحقاقه ما ذكر باطل بالاجماع فما أدى إليه من كونه مقتولا بأجله باطل فثبت نقيضه وهو أنه مقتول بغير أجله وهو المطلوب ..

وهذه الأدلة مردودة بما ذكرناه من شبهات حول مذهب أهل السنة وردها فليرجع إليه .

٥ — رأى الكعبي :

المقتول أجلين .. أجل القتل وأجل الموت ، وأنه لو لم يقتل لعاش إلى أجل الموت .

ووجهة نظر الكعبي .. أن الموت فعل الله والقتل فعل العبد فالمقتول قد انتهت حياته فى أجل القتل ولو عاش بدون قتل لمات بأجله الثانى عند مجيئه .

فالمقتول عند الكعبي ليس بميت ذلك لأن القتل له أجل والموت له أجل .

دليله :

استدل الكعبي على مذهبه هذا بظاهر قوله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)(١) .

وقوله تعالى : « ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون»(٢) .

(١) آل عمران : ١٤٤ (٢) آل عمران : ١٥٨

ووجه الاستدلال بهاتين الآيتين .. أن القتـــل عطف على الموت في الآيتين والعطف يقتضي المغايرة .. إذن هو غير الموت .

وهذا الرأي مرفوض ورد هذا الدليل بأن القتل والموت واحد ومعنى الآية (ولئن متم) أي انتهت آجالـكم بدون سبب (أو قتلتم) أي انتهت آجالـكم بسبب .

فالمراد بالموت في الآية موت خاص وهو حتف الأنف ولا شك أنه يندرج مع القتل تحت مطلق الموت إندراج الأنواع تحت جنسها .

. رأي أبي الهذيل :

أن المقتول له أجل واحد وهو الوقت الذي قتل فيه فلو لم يقتل لمات في نفس اللحظة التي قتل فيها .

وهذا الرأي هو أقرب آراء المعتزلة لمذهب أهل السنة . فهو يتفق مع أهل السنة في أن المقتول ميت بأجله لـكنه يخالف أهل السنة في أن المقتول لو لم يقتل لمات قطعاً . حيث أن أهل السنة يرون أنه لو لم يقتل لجاز أن يموت في ذلك الوقت وأن لا يموت حسب ما في علم الله . لأنه لا إطلاع لنا على ما في علمه ـ سبحانه وتعالى .

دليله :

لو لم يمت المقتول في اللحظة التي فيها لـكان القاتل قاطعاً لأجل قدره الله ـ تعالى ـ في علمه فيتخلف المعلوم عن علم الله وذلك محال .

وقد رد هذا الدليل بأنه لا يلزم تخلف العلم لأن عدم القتل المفروض إنما يتصور على تقدير علم الله عدم قتله فإذا لم يقتل يكون الله في هذه الحالة

علم عدم قتله وعلى ذلك لا يلزم المحال إنما المحال يلزم لو علم الله قتله ولم يحصل القتل أو علم أن أجله يوم كذا قطعاً ومات ذلك ولكن إذا لم يقتل لا يكون الله علم قتله على هذا التقدير .

وبعد أن وضحنا هذا الآراء التى تجيب على هذا التساؤل « هل القتل كالموت فى انقضاء الأجل أم أن القتل استعجال للأجل ؟ » فإن لنا تعقيباً تتضح به هذه الآراء ومواطن الاختلاف والاتفاق بينها .

تعقيب :

تشعبت آراء الباحثين كما ذكرنا فى قضيتنا هذه ذكرنا منها ما رأيناه كافيا لإيضاح معالم القضية موطن التساؤل وأغفلنا بعض الآراء مخافة الإطالة .

والمتأمل لما ذكرنا من آراء يرى أنها تتلاقى فى بعض النقاط وتتباعد فى بعضها . هذه النقاط ساحة التلاقى والتباعد هى :

(أ) هل القتل هو الموت ؟

(ب) هل أجل القتل هو أجل الموت أم أن لكل منهما أجل ؟

(جـ) هل القتل قاطع للأجل بحيث لو لم يقتل المقتول لامتد به أجله إلى الموت .. أم أنه لا يقطع الأجل . أم أن هذا مفوض أمره لعلم الله .

(د) هل القتل فعل الله أم فعل العبد ؟

فما هى موطن التلاقى والتنافر بين ما ذكرنا من آراء فى هذه النقاط الأربع سالفة الذكر لنرى .

(أ) هل القتل هو الموت ؟

يرى أهل السنة أن القتل هو نهاية الحياة بسبب القتل . أما الموت فهو نهاية الحياة بلا سبب .. فهى أى الموت والقتل يندرجان تحت الموت مطلقاً أى بسبب كان أو بدون سبب إندراج الأنواع تحت الجنس الواحد .

وقد وافقهم فى هذا الرأى أصحاب الآراء الذى ذكرنا ولم يشذ عن ذلك إلا الكعبى الذى يرى أن الموت والقتل متغايران تماما لأن القتل عطف على الموت فى قوله تعالى (ولئن متم أو قتلتم) والعطف يقتضى المغايرة وقد رددناه فى حينه .

(ب) هل أجل الموت هو أجل القتل أم أن لكل منهما أجل يختلف عن الآخر . ؟

يرى أهل السنة أن أجل الموت هو أجل القتل فالأجل واحد كتبه الله - سبحانه وتعالى - وقدره على الفرد وله كما قدره للأمم والجماعات وجميع الأحياء سواء ويوافقهم فى ذلك أبو الهذيل الذى يرى رأيهم فى واحدية الأجل .

ويعارضهم فى ذلك جمهور المعتزلة والكعبى فهم يرون أن الموت أجل والقتل أجل آخر وأن للمقتول أجلين .

(ج) هل القتل قطع للأجل بحيث أن المقتول لو لم يقتل لامتد به أجله إلى الموت - أم أنه لا يقطع الأجل . أم أن هذا مفوض أمره لعلم الله ؟

يرى أهل السنة أن القتل لا يقطع الأجل فالأجل مقدر من لدن الله

– تعالى . لكن القتيل لو لم يقتل لجاز عليه الموت كما تجوز له الحياة فأمره موكول لعلم الله الذى لم تكتشفه لأنه يصبح حينئذ كالأحياء تماما علم أجله عند الله .

ويرى أبو الهزيل أنه لو لم يقتل لمات قطعا لأن أجله واحد فإن لم يقته بالقتل فلابد أن ينتهى بالموت .

ويرى جمهور المعتزلة والكعبى أنه لو لم يقتل لامتد أجله إلى الموت .

(د) هل القتل فعل الله أم فعل العبد ؟ .

يرى أهل السنة أن القتل فعل الله وللعبد فيه كسب هو مناط الحساب والثواب والعقاب .

(و) أثر الموت فى جزىء الانسان

الانسان مكون من جسم وروح . . وحياة الانسان تستمر باستمرار اتصال الروح بالجسم فإذا انفصلت الروح عن الجسم عند انقضاء الأجل المقسوم مات الانسان .

وقد ذكرنا سلفا أن جسم الانسان يتحول بالموت إلى رماد تذروه الرياح .

ولا يبقى من الانسان بعد موته إلا عجب الذنب والروح على خلاف فى الآراء . . فما هو عجب الذنب ؟ وماهو الروح ؟ وماهى مذاهب العلماء فى بقاء كل منهما ؟

عجب الذنب ومذاهب العلماء فيه

(ا) ماهو عجب الذنب ؟

(ب) مذاهب العلماء فى بقائه أو فنائه .

(ج) هل بقاء عجب الذنب تعبد أم معلل ؟ .

حديثنا عن عجب الذنب يتضمن الحديث عن هذه النقاط التى ذكرتها سلفا,وهى تفصيلا .

(ا) ماهو عجب الذنب ؟ .

عرف الباحثون عجب الذنب بأنه .. عظم كالخردلة فى آخر سلسلة الظهر من أسفل . وهو خاص بالانسان .

(ب) مذاهب العلماء فى بقائه أو فنائه

العلماء فى موضوعنا هذا مذهبان .

الأول : فناء عجب الذنب لكنه آخر ما يفنى من جسم الانسان وهو مذهب الامام اسماعيل المازنى وابن قتيبة .

فقد استدلا على صحة ماذهب إليه بقوله تعالى : (كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)(١) وفناء الكل يستلزم فناء الجزء الثانى . عدم فنائه . لحديث الصحيحين « ليس من الانسان شيء إلا يبلى

(١) الرحمن : ٢٦ - ٢٧

إلا عظما واحدا لا يبلى وهو عجب الذنب منـــه خلق الخلق يوم القيامة ، ولحديث مسلم : « كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب فمنه خلق ومنه يركب » .

(ﺣ) هل بقاء عجب الذنب تعبدى أم معلل ؟

يختلف الباحثون فى سبب بقاء عجب الذنب ، هل هو أمر تعبدنا الشارع به دون معرفة السبب أو لعلة فعلينا الإيمان به دون بحث عن سبب أو علة . لذلك أم أن لبقائه علة أو سبباً ، ثم ما هى العـــلة أو السبب لبقائه ؟

العلماء فى موضوعنا هذا فريقان :

الفريق الأول :

يرى هذا الفريق من الباحثين أن البقاء تعبدى ليست له علة واضحة تدركها فهذا البقاء يجب الايمان به لثبوته فى السنة الصحيحة وإن كنا لا ندرك لهذا علة واضحة .

الفريق الثانى:

يرى هذا الفريق من الباحثين . أن البقاء معلل ثم التمسوا لذلك علة أبانوا عنها . بأن بقاء عجب الذنب ليكون علامة للملائكة الموكلين بالاعادة عملا على إحياء كل إنسان بجواهره التى كا ت فى الدنيا

١ — إن الملائكة لا يخفى عليهم هذا الأ . لأنهم مؤيدون بتوجيه الله فهم يعيدون الانسان بإذن الله .

٢ — أن عجب الذنب لا يحدد جواهر الانسان وأن اللبس مع بقائه غير مأمون .. إذن فهذه العلة واهية .

ومن هنا فإن رأى الفريق الأول الذى يرى أن بقاء عجب الذنب أمر تعبدى هو الرأى الصواب .

وبذلك ينتهى حديثنا عن عجب الذنب لننتقل إلى الحديث عن الروح .

الروح

لقد ساير البحث عن الروح ركب الإنسانية منذ كان لها ركب يضع قدمه الأولى على أول الطريق وإلى يومنا هذا

ولقد سلخت الإنسانية من عمرها الكثير بل كادت أن تستنفذه وتستنفذ معه صبرها فى البحث عن الروح دون أن تبيح بالروح حماها لها أو تظفرها بالحقيقة السافرة عنها أو تسمعها الكلمة الأخيرة فيها ، حتى كادت الروح أن تزهق نفسها من البحث عن نفسها .

ولقد قال الفلاسفة الكثير عنها لكن ماقالوه لايعدوا أن يكون خيالات وظنوا كان حيالها العالم والجاهل على بساط المساواة ،

وجاء الاسلام وهو الرسالة الخاتمة فقال للانسان العاقلة الرشيدة . إن الروح سر من أسرار الله متفقا ـ فى قضيتنا هذه ـ مع سابقته من الرسالات كما اتفق معها فى عقائدها .

فلماذا لم يتبين الرسالات السماوية حقيقة الروح لتريح الانسانية العاملة الناصبة من البحث عنها ؟

بل لماذا تبحث الإنسانية عنها وقد قالت لها رسلها إنها سر من أسرار الله ؟

وأين تكون بعد مفارقة الجسد ؟

وهل ستبقى عند النفخة الأولى أم لا ؟

كل هذه وغيرها من أسئلة سنثيرها ثم نستمد من الله - تعالى - عونه وتوفيقه فى الإجابة عليها .

(ا) لماذا نبحث عن الروح ؟ .

يمكننا أن نرجع سبب بحث الإنسان عن الروح منذ القدم رغم أن رسالات السماء المنزلة من لدن الحكيم الخبير قالت لأتباعها إنها سر من أسرار الله - يمكننا إرجاع سبب بحث الإنسان عن الروح إلى عاملين .

١ - إحساس الانسان منذ وجوده إلى وجود قوة فى كيانه متحررة من قيود الزمان مطلقة من غل المكان دائبة للعمل فى منامه بقدر دأبها فى يقظته . تنقل إليه الرؤى والأحلام والخيالات وتعيد إليه ذكريات الماضى الحبيب أو الأليم على غير استدعاء منه .

فتاقت نفسه لمعرفة هذا الشيء المقدس فى كيانه والذى يحمل سر حياته فسأله روحه عن روحه ماهى ؟

فقام يجيب داعى الروح بالبحث عن الروح .

٢ - كراهية الانسان للعدم وبغضه لفناء هذه الذات التى ألف صحبتها واطمأن اليها وحبه الخلود .

ذلك لأن الانسان أبصر الموت يطوى الأحياء على الفؤاد للسر الدفين وتأكد أن هذا المصير الذى صار إليه آباؤه وأجداده ينتظره وأنه إن أغفله اليوم فلن يخطئه غدا فدفعه حب البقاء وشدة حرصه على ذاته وأناه إلى البحث عن هذا السر الذى فى بقائه بقاؤه وفى فنائه فناؤه فبدأ يبحث عن الروح .

والخلود مطب سام للانسان وحب البقاء طبيعة فى كل حى والحرص على الاستزادة من الحياة — ولو كان ماؤها آسنا وطعامها خاملا وهواءها راكدا — جبلة فى الطبع الإنسانى . ومن هـذا المنطلق يقـول أبو العلاء المعرى .

نحب العيش بغضا المنايا ونحن بمـا هوينا الأشقياء

وحب الخلود كان نقطة الضعف التى أحسها ابليس فى آدم — عليه السلام — فولج منها إلى قلبه حيث قاده إلى عصيان أمر صادر له من ربه فأكل من الشجرة المحرمة قال تعالى :

(فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكلا منها)(١) .

ومن هنا ندرك أن حب البقاء كان العامل الثانى الذى دفع الإنسان المتعلق بالحياة إلى البحث عن الروح سر الحياة .

---

(١) طه : ١٢٠ - ١٢٢

(ب) لماذا لم تبين الرسالات السماوية حقيقة الروح ..؟

يقول أحد الفلاسفة .. « لقد وصل العقل البشرى إلى نتيجة . هى أن هناك شيئاً لا يدركه النظر ندركه بعقولنا ولا نراه بعيوننا ، ليس بمادة ولكن يسكن الأجسام الحية . ذلك هو الروح أو النفس وهى التى تمنح ما تحل فيه حركة وحياة فإذا انسلخت فلا حركة ولا حياة !!

والأمم مجمعة على الاعتقاد بالروح حتى أن علم اللغة أثبت أنه لم تخل لغة من لفظ يدل عليها . . . فالانسان من مبدأ أمره يميز بين المادة والروح .. حتى من قبل أن يتفلسف »(١) .

من هذا النص يتضح لنا أن مسألة الروح شغلت الفكر الانسانى منذ طفولته .

ولقد توافدت مواكب الرسل الكرام منذ ميلاد البشرية إلى أن ختموا بمحمد — ﷺ — فلم تكل السماء البشر إلى أنفسهم قط .

ولقد حمل كل رسول إلى قومه ما فيه شفاء لصدورهم وما به الهداية لحيرتهم .

ولا شك أن قضية الروح من القضايا التى تحيرت دونها العقول فلماذا لم يحمل الرسل لأقوامهم ما يريح صدورهم ويعالج مشكلتهم هذه .

لا شك أن هناك حكماً كامنة وراء عدم بيان الرسل حقيقة الروح تلك القضية الكبرى التى حيرت العقل البشرى وهم الذين جاءوا لعلاج البشرية من أسقامها ولبيان وجه الصواب فى قضاياها .. فما هى الحكمة إذن ؟

(١) مبادىء الفلسفة تأليف أ . س . رابوبرت ترجمة أحمد أمين ص ١٧٠

١ — يرى بعض الباحثين أن الحكمة هي إظهار عجز الإنسان وبيان ضعفه أمام قدرة خالقة وجهله أمام علمه قطعاً لغروره وحداً لطغيانه حيث أنه لم يعلم حقيقة روحه التي هي جزء منه بل التي هي سر حياته فهو يجهل حقيقة نفسه حتى لا يتجبر أو يتكبر — فهو لم يعلم حقيقة روحه مع قطعه بوجودها .

٢ — لم تتحدث الرسالات عن حقيقة الروح ولو تحدثت عنها لقالت فيها كلمة الفصل . لكن الرسالات السماوية لم تفعل لأنها لو فعلت لا نطوى حديثها على أسرار ودقائق لا تتسع عقول المرسل إليهم لها .

وهب أن عقول الخاصة استطاعة إدراكها فان عقول العامة لتعجز عن ذلك تماما . ورسالات السماء فيما جاءت به من عقيدة وشريعة لا تدعو الناس إلى أمر لا تصل إلى إدراكه الأفهام جميعاً . حتى لا يكون في ذلك إعنات للناس أو لطائفة من طوائفهم وحتى لا يقع تطاول على الرسالات أو تسفيه لما جاءت به من هدى وخير .

يقول أبو حامد الغزالي .. « وذلك — أي أمر الروح — لم يبينه الرسل — والله أعلم — لأن كلام غيرهم بين أن يقبل أو يرد ويصدق أو يكذب .. وكلام الرسل — عليهم الصلاة والسلام — ليس كذلك فان المسألة في نهاية الغموض والأذهان أكثرها ضعيفة فربما لم تفهم مقاصدهم » (١) .

ومن هنا ندرك أن رسالات السماء أغفلت ذكر حقيقة الروح لأن عقول العامة لا تستطيع إدراك ما فيها من حكم وأسرار فيكون في

---

(١) من كتاب معراج السالكين لأبي حامد الغزالي ص ٢٣ .

وجوب الإيمان بدقائقها وأسرارها تكليف بما لا يطاق فالغفال ذكرها من رحمة الله بعباده .. لأن عصيان النبي فيما جاء به من عند ربه وإنكاره يؤدي إلى الكفر .

(ج) حكم البحث عن حقيقة الروح

اختلف الباحثون في جواز البحث عن حقيقة الروح وعدم جوازه .

وكان منشأ هذا الاختلاف هو الاختلاف في فهم المراد من قوله تعالى في صدر الإسلام - لرسوله - ﷺ حين سئل عن الروح (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) (١) .

فقد فهم بعض العلماء أن في هذه الآية ما يصرف المسلمين عن الخوض في البحث عن حقيقة الروح لأنها غيب استأثر الله تعالى بعلمه .. إذن فالخوض فيها أو البحث عن كنهها منهي عنه .

وفهم علماء آخرون أنه ليس في الآية ذلك الفهم الذي تأوله الفريق السابق .

وبناء عليه فإنه ليس في الآية ما يشير إلى تحريم البحث عن الروح أو كراهيته وإنما فيها ما يحث عليه لأنه نوع من العلم الذي دعا الدين إلى البحث عنه ثم قالوا إن في تذييل الآية بقوله تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) ما يشير إلى ذلك .

وهذه هي آراء العلماء وأدلتهم في قضيتنا هذه .

١ — مذهب جمهور المحققين وعليه ابن عباس والسلف ..

---
١) الإسراء - ٨٥

الإمساك عن الخوض فى حقيقتها - فالخوض فى حقيقتها مكروه ..

دليلهم :

أنه لم يرد نص الله تعالى ببيانها . وكل ما كان كذلك فالأولى عدم الخوض فيه .. إذن فالخوض فيه مخالف للأولى .. ومخالفة الأولى تؤدى إلى الكراهة .

وبيان ذلك ..

أن الروح .. وكذا النفس والعقل .. أمر من عالم ما وراء الطبيعة ومن العسير أن تضبط لها صورة واضحة تخضع لعقل الإنسان أو حواسه .

ولقد تحدث الفلاسفة عن ثلاثتها فلم يتضح لهم رأى ولم يستقم لهم منهج .

والقرآن الكريم وهو أصدق مرجع حين تحدث عن ثلاثتها (١) .. لم يتناول حقيقتها أو كنهها وإنما عدد آثارها وذكر مظاهرها .

فلم يعرض القرآن الكريم الروح عرضاً علمياً يكشف حقيقتها ولم يدخل أبناءه فى هذا الصراع الذى دار فى فكر الفلاسفة منذ بدأ الفكر الإنسانى يتفلسف ذلك لأن الفكر الفلسفى لم يصل فى ذلك إلا إلى التناقض والاضطراب .

فإغفال القرآن الكريم لذكر حقيقتها دعوة خافتة الصوت لعدم البحث فى ذلك .

٢ - مذهب الجنيد ..

الإمساك عن الخوض فى حقيقتها .. فالخوض فى حقيقتها حرام .

(١) أعنى بثلاثتها الروح - النفس - العقل .

دليله .

أن فى قوله تعالى مخاطباً نبيه (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) ما ينص على أنها شىء استأثر الله - تعالى - بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه، فلا يجوز لعباده البحث عنها بأكثر من أنها موجودة فمن حاول البحث فيما وراء وجودها كالبحث عن حقيقتها أو كيفيتها فقد ارتكب ما يخالف النص الصريح وهذا يؤدى إلى الحرمة .

وبيان ذلك .

أن اليهود حين لقنوا كفار قريش هذا السؤال ليلقوابه إلى النبى ﷺ (ما هى الروح ؟) كان رد النبى - صلى الله عليه وسلم هو ذاكم الرد الذى أمره الله أن يقوله لهم (الروح من أمر الربى) .

فما معنى الروح من أمر ربى ؟

وما المقصود بها .. ؟

« الروح من أمر ربى » أى هى سر من أسراره وشأن من شؤنه فهل كشفتم كل سر من أسراره وهل أحطتم علما بكل شأن من شؤنه إن ماعندكم من علم ما هو إلا قطره من محيط ضخم ضخم إن صح هذا التشبيه ولذلك ذيلت الآية نفسها بقوله (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) .

والمقصود بها أى كون الروح من أمر ربى .. أنه ليس لنا ولا لكم حق النظر فيها أو البحث عن حقيقتها ولا الاستطالة إلى التطلع إليه بقدر عجزكم عن استطاعة إدراكه .

وهذا الرأى وسابقه مرجوحان فى رأيى وأصح الآراء هو .

غير واضح من الأصل

[illegible]

وغيرهم .

جواز البحث عن حقيقة الروح .

دليلهم :

أن البحث عن حقيقة الروح من باب التفكر في خلق الله - فهى مخلوق من مخلوقات الله - تعالى - الدالة على قدرته وعظمته - والتفكير فى مخلوقات الله - تعالى - أمر دعى إليه القرآن الكريم وحث عليه فى كثير من آياته قال تعالى ..

(وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون) (١) .

ثم ردوا على أدلة القائلين بعدم جواز البحث عن حقيقة الروح بما يلى :

١ - فأما استدلالهم بأن الشارع لم ينص على حقيقتها واكتفى بذكر آثارها فليس لنا أن نخوض أكثر مما خاض فيه الشارع .

فان ذلك مردود .

بأن الشارع لم ينص على حقيقتها صراحة لأن معرفة ذلك ليس مما يتوقف عليه الإيمان ولا صحة العبادة فهى كأعضاء الجسم المادية يستخدمها الشرع الحكيم فى الاستدلال على الخالق المبدع .

وكما ترك الإسلام للناس حرية البحث فى تركيب الأعضاء ومعرفة ما ينتابها من أمراض وعلل ليعملوا على شفائها أو التخفيف من آلامها كذلك ترك للناس أن يبحثوا عن الروح كما يشاءون علهم يستفيدون من ذلك فى خدمة أنفسهم وخدمة الإنسانية من حولهم .

---

(١) الذاريات : ٢٠ - ٢١ .

غير واضح من الأصل

٣ — وما استدلوا به من قوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) الآية ثم قولهم تعقيباً على ذلك إن هذا يدل على أن الروح شيء استأثر الله — تعـــالى — بعلمه فلا يجوز لعباده البحث عنه بأكثر من أن الروح موجودة فقط .. مردود بما يلي :

ذكر الرازي في سبب نزول هذه الآية .

« أن اليهود قالوا لقريش اسألوا محمداً عن ثلاث فإن أخبركم باثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي . . اسألوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فسألوه — ﷺ — عن هذه الثلاثة .. فقال — عليه الصلاة والسلام غداً أخبركم ولم يقل إن شاء الله فانقطع عنه الوحي أربعين يوماً ثم نزل الوحي بعده (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) .

ثم فسر لهم قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين وأبهم قصة الروح ونزل فيها قوله تعـــالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وبين أن عقولنا قاصرة عن معرفة الحقيقة في الروح .. فقال .. (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) (١) .

وسؤالهم عن الروح يحتمل عدة وجوه .

الأول : السؤال عن ماهيتها أهي متحيزة أو حالة في المتحيز أم أنها موجود غير متحيز ولا حال في المتحيز .. ؟

الثاني ... أهي قديمة أم حادثة .. ؟

الثالث . . . ما هو مصيرها بعد فناء الأجساد هل تبقى أم تفنى بفناء الجسد .. ؟

---

(١) مفاتيح الغيب للإمام الرازي [illegible]

الرابع : هل ستكون سعيدة أم شقية ؟.

الخامس : أين مكانها بعد مفارقة الجسد . ؟

إن السؤال عن الروح الذى أوردته الآية ذو جوانب متعددة .. فهل كان اليهود يقصدون جانباً واحداً من هــذه الجوانب أم أنهم كانوا يقصدون هذه الجوانب مجتمعة .. ؟

يذكر الإمام الرازى :

أن ما ذكرته الآية ردا على سؤال اليهود المتعنت يحدد أن السؤال كان لجانبين من جوانبها فقط .. الأول السؤال عن ماهيتها والثانى عن قدمها أو حدوثها .. ثم يجيب عن السؤال فيقول .

أما البحث الأول .. فهم قالوا ما حقيقة الروح وماهيتها أهى عبارة عن أجسام موجودة فى داخل هذا البدن متولدة من امتزاج الطبائع والأخلاط أو هى عبارة عن نفس هذا المزاج والتركيب أو هى عبارة عن عرض آخر قائم بهذه الأجسام أو هى عبارة عن موجود يغاير هذه الأجسام والأعراض فأجاب الله عنه بأنها موجود مغاير لهذه الأجسام ولهذه الأعراض وذلك لأن هذه الأجزاء أشياء تحدث من امتزاج الأخلاط والعناصر وأما الروح فإنها ليس كذلك بل هو جرم بسيط لا يحدث إلا بمحدث قوله كن فيكون فقالوا لم كان شيئاً مغايراً لهذه الأجسام ولهذه الأعراض فأجاب الله عنه بأنه يحدث بأمر الله وتكوينه وتأثيره فى إفادة الحياة لهذه الجسد . ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوص نفيه فإن أكثر حقائق الأشياء وماهيتها مجهولة ولا يلزم من كونها مجهولة لنا عدم وجودها ولعل هذا هو المراد من قوله تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) .

وأما البحث الثانى .

فهو أن لفظ الأمر فى قوله تعالى (من أمر ربى) بمعنى الفعل فيكون معنى الآية على هذا التأويل ويسألونك عن الروح قل الروح من فعل ربى وهذا له نظير فى القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى - (وما أمر فرعون برشيد) وكذا قوله (فلما جاء أمرنا) أى فعل فرعون كذا فلما جاء فعلنا .

وهذا التأويل للآية يدل على أنهم سألوه عن الروح أقديمة هى أم حادثة فقال بل هى حادثة وإنما حصلت بفعل الله تعالى وتكوينه وإيجاده ثم احتج على حدوث الروح بقوله (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) يعنى أن الأرواح فى مبدأ الفطرة تكون خالية عن العلوم ثم تحصل فيها العلوم والمعارف فتنتقل بذلك من النقصان إلى الكمال والتغير والتبديل من أمارات الحدوث ثم استدل على حدوثها بتغيرها من حال لحال وهو المراد من قوله (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) (١) .

فما ذكره الامام الرازى مما نقلناه - بتصرف - عنه يتضح : أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يأمره ربه أن يقول عن الروح «إنها من أمر ربى» نفياً لعلمه بحقيقة الروح أو لبيان أن ذلك مما استأثر الله بعلمه فلا يجوز للانسان أن يخوض فى لجة البحث فيه . كما استدل الجنيد وإنما كان ذلك إجابة خاصة لليهود الذين سألوه عن الروح أحادثة هى أم قديمة ؟ فأجابهم بأنها حادثة (من أمر ربى) أى من فعل ربى وصنعه فهى موجودة بعد أن لم تكن ومن كان كذلك كان حادثا .

---

(١) مفاتيح الغيب للإمام الرازى ص ٤٤٧ جـ ٥ (بتصرف) .

أو أنهم سألوه عن ما هية الروح وكيفيتها فأجابهم بما يفيد أنها موجود يحدث بأمر الله - تعالى - وتكوينه فالله هو الخالق له .

وهب أننا سلمنا بصحة ما قاله الجنيد فى استدلاله بهذه الآية فإن ذلك لا ينفى علم الرسول - ﷺ - بحقيقة الروح أو أنه دعوة للناس لعدم الخوض فى حقيقة الروح لأنه مما استأثر الله - تعالى - بعلمه - بل أن ذلك كان لإقناع اليهود الذين اعتقدوا أن الدليل على نبوته هو تنبيه العلم بالروح فأجابهم بما يثبت لهم أنه رسول الله .

وبذلك يثبت لدينا أن قول الله - تعالى - آمراً رسوله - ﷺ - أن يقول حين سئل عن الروح أنها (من أمر ربى) لا يعنى - أنها مما استأثر الله به فلا يجوز لنا أن نبحث عنها . كما لا يعنى جهل الرسول بحقيقتها فيسقط استدلال الجنيد بها ويثبت أن البحث فى حقيقة الروح تفكراً فى خلق الله تسبيحاً وتقديساً له جائز وغير منهى عنه .

على أن الإمام الرازى يعترض اعتراضا وجيها على الرواية التى تقول: إن اليهود قالوا لمبعوثى قريش سلوا محمدا عن ثلاث فإن أخبركم باثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبى سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح .. الرواية التى ذكرت ..

فيقول . ..

(إن اليهود قالوا إن أجاب عن قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ولم يجب عن الروح فهو نبى وهذا كلام بعيد عن العقل لأن قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ليست إلا حكاية من الحكايات، وذكر الحكاية يمتنع أن يكون دليلا على النبوة . أيضا .

وأيضا فالحكاية التى يذكرها إما أن تعتبر قبل العلم بنبوته أو بعد العلم

بنبوته .. فإن كانت قبل العلم بنبوته كذبوه فيها وإن كانت بعد العلم بنبوته فحينئذ صارت نبوته معلومة قبل ذلك فلا فائدة فى ذكر هذه الحكاية وأما عدم الجواب عن حقيقة الروح فهذا يبعد جعله دليلا على صحته النبوة (١).

وبعد أن ذكرنا آراء العلماء وأدلتهم فى حكم البحث عن حقيقة الروح فإننا نخرج بهاتين النتيجتين .

١ — أن الرسول كان يعلم حقيقة الروح بتعليم الله له إذ لا يصح أن يقال فى رجل قال فيه ربه (وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) (٢) وأنزل عليه القرآن تبيانا لكل شيء . . أنه كان يجهل حقيقة الروح ..

كما أن الروح ليست أعظم شأنا ولا أعلى مكانا من آيات ربه الكبرى التى أراها يوم أصعده الله إليه فى ليلة الإسراء والمعراج .

٢ — أن الرأى الأرجح فى قضيتنا هذه هو الرأى الثالث .. الذى يرى جواز البحث عن حقيقة الروح تفكراً فى خلق وتأملا فى موجوداته — سبحانه وتعالى .

وإذا كنا نرجح هذا الرأى فما هى الروح — ؟

(د) ما هى الروح ؟

لقد شغل التفكير فى أمر الروح فكر الإنسان قبل أن يخطو على الأرض أى معلم من معالم الحضارة وحسبنا فى موضوعنا هذا لمحات خاطفة من آراء السابقين من فلاسفة الإسلام ومتكلميه لأننا نعمل الآن فى حقل العقيدة الإسلامية بفكر أبنائها .

(١) مفاتيح الغيب للإمام الرازى ص ٤٤٦ ، ص ٤٤٧ ج ٥ .
(٢) النساء ـ ١١٣ .

ونحن إذ نعرض بعض هذه المقولات التي صور بها الفلاسفة الاسلاميون والمتكلمون الاسلاميون آراءهم في الروح فإننا لا نزعم أننا حققنا فيها ما أخفق فيه السابقون الذين أضناهم البحث عنها ثم آبوا إلى أنفسهم وهم يقولون لها.

وكم من جبال قد علا شرفاتها رجال فبادوا والجبال جبال

كلا كلا ! !

لكني أردت أن أبين لقارئي موقف العقل الإسلامي لا العقل الإنساني(١) من هذه الحقيقة الذي تاه الفكر الإنساني في الوصول إليها .

وحسبي أنني أنقل لمحات من الفكر الإسلامي القديم إلى الفكر الاسلامي الحاضر طالب المعرفة بل ملتمسها .

فماذا قال المسلمون السابقون للمسلمين اللاحقين عن الروح .

المتكلمون :

الروح . جسم لطيف شفاف حي لذاته ـ أي لا بروح آخر وإلا لزم التسلسل ـ مشتبك بالجسم كاشتباك الماء بالعود الأخضر . فهي سارية في جميع البدن وقال آخرون إن مقرها القلب وقيل بقرب القلب ،

المعتزلة . .

الروح .. جوهر مجرد متعلق بالبدن غير داخل فيه ولا خارج عنه. فليست جسما ولا عرضا . .

الفقهاء : يرى بعض المالكية أن الروح .. جسم له صورة كصورة الجسد في الشكل والهيئة .

(١) نترك الطواف بالروح في الفكر الانساني إلى منفسح آخر من الوقت أن امتد بنا الأجل إن شاء الله ..

ويوضح ذلك عبد الرحيم بن خالد فيقول :ـ الروح ذو جسم ويدين ورجلين وعينين ورأس تسل من الجد سلا .

وقد اعترض على المالكية فى ذلك بأن الروح لو كانت كذلك للزم إذا قطع جزء من الحيوان قطع نظيره من الروح . ورد هذا الاعتراض بأن لطافتها تقضى سرعة انجذابها .

الصوفية :

يتفقون مع المعتزلة ، فى أن الروح ، جوهر مجرد متعلق بالبدن غير داخل فيه ولا خارج عنه فليست جسما ولا عرضا .

فلاسفة :

• الغزالى :

الروح الحيوانى جسم لطيف كأنه سراج مشتعل والحياة هى السراج ، والدم دهنه ، والحس والحركة نوره ، والشهوة حرارته ، والغضب دخانه ، والقوة الطالبة للغذاء الساكنة فى الكبد خادمه وحارسه ووكيله(١) .

ثم يشرح حقيقة الروح فيقول :ـ

« وحقيقة الروح ، الحرارة المنبثة : فى الأعصاب(٢) » .

ـ ابن الخطيب :

« والروح له معنيان » :

١ ـ جسم لطيف بخارى يتكون من لطافة الأخلاط تكون الأعضاء من لطافتها ، ومنبعه من أيسر تجويفى العضو الصنوبرى اللحمى بالقلب وهو

(١) من كتاب قضية الألوهية بين الفلاسفه والدين الأستاذ /عبدالكريم الخطيب ص ١٥٩ ج ٢

(٢) من كتاب قضية الألوهية بين الفلاسفة والدين للأستاذ/ عبدالكريم الخطيب ص ٧٥٧ ج ٢

(٣) الأمر .: أى أنها من أمر الله .

مركب السر الإلهى الأمرى (١) ومتعلقة ومنه يتصل بواسطة العروق إلى سائر أجزاء الجسد فيفيد الحياة ويفيض عليه أنوارها .

٢ – الروح المتقرر العلاقة من الروح الأول – أى الروح المتكون من لطافة الأخلاط – وهى لطيفة ربانية عالمة مدركة فى الإنسان وإذا ركب الروح المذكور وسرت فى البدن كانت فى العين بصرا وفى اللسان ذوقا وفى الأذن سمعا وفى الأنف شما وفى الجلد لمسا .. ظاهرة عليها صفة المبدأ الذى هو مع كل شىء وليس له صورة تفيده وباب البحث فى هذه اللطيفة مسدود شرعا (٢) » .

فالروح عند لسان الدين ابن الخطيب نوعان الروح الحيوانى أى الروح المكون من لطافة الأخلاط .. على حد تعبيره وروح من أمر الله وهى سر حياة الإنسان فهى التى تودع فى العين بصراً وفى الأذن سمعاً وفى الأنف شماً مثلا متى اتصلت بالجسد .

• محمد إقبال :

الروح أو العقل ليس شيئاً قائماً بذاته بل هو ظاهرة من ظاهرات الجسم الحى نفسه يتصف بها حين يتصل بمحيطه وبظروفه على نمط سلوكى معين (٣) .

ومعنى الروح عند إقبال على ما ذهب إليه أنها الوعى الذى يميز الإنسان والحيوان عن بقية الموجودات .

فكل كائن حى ذو خصائص معينة وألوان من النشاط مدركة فالشجرة مثلا تتغذى لتبقى وتنمو وتثمر كالإنسان تماما ولكن الإنسان على وعى بما يفعل دون الشجرة هذا الوعى فى نظر إقبال هو الروح .

(١) الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب ص ١٥٣ .
(٢) تجديد الفكر الدينى للدكتور / محمد إقبال ص ٢٥٧ .

نكتفي بهذا القدر مما ذكرنا من تعريف الفلاسفة الاسلاميين للروح وبقتهى بهذه الكفاية حديثنا عن تعريف الروح .

ﻫ . هل هي روح أم روحان .. ؟

ذهب العز بن عبد السلام إلى أن كل إنسان له روحان .. روح اليقظة وروح الحياة .. فإذا خرجت روح اليقظة نام .. وإذا خرجت روح الحياة مات وهما في باطن الانسان لا يعرف مقرهما إلا الله .. ولقد استنبط العز بن عبد السلام هـذا المعنى من قوله - سبحانه وتعالى : « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى (١) » .

لكن جمهور المتكلمين يخالف العز بن عبد السلام فيما ذهب إليه ويرى أنها روح واحدة وليس في الآية دليل على وجود روحين وغاية ما في الآية أنه شبه النوم بالموت .

(د) هل الروح خلقت قبل الجسد أم بعد الجسد ؟

أجمع المسلمون على حدوث الروح فكل من وما سوى الله حادث أوجده سبحانه وتعالى بقدرته وبحكمته لكنهم اختلفوا في وقت حدوثها . هل كان قبل وجود الجسد أم بعده إلى فريقين .

١ — الفريق الأول .. وعلى رأسه الامام الغزالي .. يرى أن حدوثها بعد حدوث الجسد ويستدل على مذهبه هذا بقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — ..

« إن ابن آدم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون علقة مثل ذلك

---

(١) الزمر — ٤٢ .

ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ الروح) فلو كانت مخلوقة قبل ذلك لقال فيجمع أو فيدخل فيه الروح .

٢ — الفريق الثانى .. ويرى أن الروح خلقت قبل الجسد .. ويستدل على مذهبه هذا بقوله تعالى ..

« وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » (١) .

وبقوله ﷺ ...

« الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » .

ويحاول بعضهم أن يفسر معنى التعارف والتناكر الذى ورد فى الحديث ، فيقول إن الأرواح يوم أخذت من الظهور كان بعضها يولى البعض وجهه وهذا غاية المودة وبعضها يولى البعض ظهره وهذا غاية الكره وبعضها يتقابل بالجنب فهو بين بين .

والرأى الثانى هو الأصوب ولا يعارضه ما استدلوا به من قوله ﷺ « ثم يرســــل الملك فينفخ فيه الروح » . لاحتمال نفخ الروح الموجودة قبل ذلك .

(ذ) محل الروح فى الدنيا والآخرة :

هذه الفقرة من بحثنا هـــذا عقدت لتبين موطن الروح أثناء حياة الإنسان وبعد موته .

فمحلها فى الدنيا كما وضحت سلفا .. أنها سارية فى جميع البدن سريان المـــاء فى العود الأخضر .. وهو ما نستريح له وقال آخرون إن مقرها

(١) الأعراف — ١٧٢ .

القلب .. وقيل بقرب القلب وقيل باطن الإنسان ولا يعلم مقرها إلا الله هذا فى الدنيا .. أما حين تفارق الجسد فإن أرواح السعداء تكون بأفنية القبور .. وقيل تكون عند آدم عليه السلام فى السماء الدنيا وأنها تتردد حيث شاءت .

هذه أرواح المؤمنين ـ أما أرواح الكفار فإنها تكون محبوسة فى سجين « أى محبوسة فى الأرض السابقة » .

(ج) مذاهب العلماء فى فناء الروح عند النفخة الأولى :

عرفنا أن الانسان مكون من جسم وروح وأن الجسم يبقى حيا مادامت الروح متصلة به فإذا انفصلت عنه بأمر الله وبعد إنتهاء الأجل الذى قسم الله له مات والمعروف أن الجسد يتحلل إلى رماد تذوره الرياح .. أما الرواح المفارقة للجسد عند الموت فلا يعلم الإنسان من أمرها شيئا فهل تفنى بفناء الجسد أم أنها تبقى ؟ .. وإلى متى تبقى ؟ .. هل تبقى عند النفخة الأولى أم تفنى ؟

لقد علمنا القرآن الكريم أن هناك نفختين يقول فى أولاهما . « ونفخ فى الصور ، فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله »(١) .

ثم يقول فى ثانيتهما بعد أن تمضى فترة يعلمها الله « ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون »(٢) .

فما هو حال الروح فى هاتين الفترتين ؟

لقد أجمع المسلمون على بقائها منذ الوفاة إلى النفخة(٣) الأولى وتكون منعمة إن كانت من أهل الخير ومعذبة إن كانت من أهل الشر ـ كما سيتضح بمشيئة الله ـ تعالى فى عذاب القبر ونعيمه .

---

(١) الزمر : ٦٨ (٢) الزمر : ٦٨

(٣) سنعرف النفخة الأولى والثانية فى قابل بحثنا إن شاء الله

ولقد ذكرنا هذا سلفا بما لا يدع مجالا لمزيد فى هذا المختصر لكن السؤال الآن هل تفنى الروح عند النفخة الأولى أم تبقى ؟

الواقع أن العلماء اختلفوا فى إجابة هذا السؤال وانقسموا إلى فريقين وكان منشأ هذا الاختلاف هو اختلافهم فى فهم الاستثناء المراد من قوله تعالى .. « إلا من شاء الله » . فقال فريق إن الروح ممن شاء الله وقال الفريق الآخر إنها ليست كذلك وإليكم رأى كل فريق وأدلة .

الفريق الأول :

يرى هذا الفريق - أن الروح تفنى عند النفخة الأولى التى لا يبقى عندها حى إلا مات فإن كان ميتا وعادت إليه روحه كالأنبياء غشى عليه :

واستثنى من ذلك من شاء الله كالملائكة الأربعة والرؤساء والحور العين وموسى - عليه السلام لأنه صعق فى الدنيا مرة حين التمس رؤية - تعالى فى طور سيناء فقال الله « أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين » (١) :

لكن هؤلاء المستثنون من الفناء عند النفخة الأولى يموتون بعد ذلك ثم يجمع الله الأرواح فى الصور ويأمر إسرافيل أن ينفخ فيه النفخة الثانية نفخة البعث (الرادفة) فتخرج الأرواح إلى أجسادها - على ما سنوضح إن شاء الله - وبين النفختين أربعون عاماً وبعضهم يفوض أمر هـــذا إلى الله :

دليلهم ...

وقد استدل هذا الفريق على مذهبه بقول الله تعالى - كل من (عليها فان) فالفناء إذن لاحق بمن عدا الله والروح من ذلك . فالفناء إذن لاحق بها .

---

(١) الأعراف - ١٤٣ .

الفريق الثاني :

وعلى رأسه الإمام تقي الدين السبكي وأهل الحق .

يذهب هذا الفريق إلى عدم فناء الروح عند النفخة الأولى .

دليلهم :

وقد استدل هذا الفريق من الباحثين على مذهبه باستصحاب الأصل فقد اتفق الجميع على أن الروح تبقى بعد الموت لسؤالها في القبر وتنعيمها أو تعذيبها :

والأصل في كل باق استمراره حتى يظهر ما يصرف عنه لكنه لم يظهر فتكون باقية استصحابا للأصل فتكون داخلة فيمن استثنى الله بقوله « إلا من شاء الله » فتكون ممن شاء الله أو تقول فان وهالك أي قابل للفناء لا فان بالفعل والأصح - في رأيي - هو ما ذهب إليه الفريق الأول لأن استصحاب الأصل لا ينهض في مواجهة النص الصريح في قوله تعالى : (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » :

وإذا كان الملائكة - عليهم السلام يموتون فالنفوس البشرية أولى : على أن من المفسرين من يذهب في تفسير قوله « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » إلى أن الاماتتين هما إماتة البدن مرة وإماتة النفس مرة أخرى وإن كان هذا التفسير في نظري مرجوحاً :

(ط) بطلان القول بتناسخ الأرواح :

التناسخ هو تعلق الروح بجسد غير الذى كانت فيه بعد مفارقتها التى كانت فيه دون تخلل زمان بين مفارقتها الجسد الأول وتعلقها بالجسد الثانى :

وقد اختلف الباحثون من أصحاب الملل وغيرهم فى التناسخ فأجازه قوم وأبطله آخرون .

وعملنا الآن أن نوضح رأى كل وأدلته ثم نذيل بحثنا ببيان وجه الصواب فى قضيتنا هذه .

١ — الفريق الأول : من قدماء الفلاسفة وبعض المنتسبين إلى الملة الاسلامية :

ويرى أصحاب هذا الرأى جواز التناسخ بل وقوعه فعلا .

وأصحاب هذا المذهب قد انقسموا على أنفسهم إلى قسمين :

(أ) القسم الأول من هؤلاء الباحثين يذهب إلى أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخرى سواء كانت من نوعها أم من غير نوعها . . فيجوز أن تنتقل روح الانسان إلى غزال بقدر جواز نقلها إلى إنسان مثله :

والتناسخ فى نظر هذا القسم من هذا الفريق من الباحثين يقع ليكون ثوابا أو عقابا .

فالفاسق سيء الأعمال تنتقل روحه إلى أجساد الحيوانات الخبيثة أما من كانت جميع أعماله شرا فقال غير المنتسبين إلى الاسلام من هـذا الفريق إن أرواح هـذه الطبقة هى الشياطين . . . وقال المنتسبون إلى

الإسلام إنها تنتقل إلى جهنم فتعذب على الدوام . كذلك اختلفوا فيمن كانت جميع أعماله خيراً فقال غير المليين أرواح هذه الطبقة — هم الملائكة وقال المليون إنها تنتقل إلى الجنة فتنعم أبداً .

(ب) القسم الثانى من هذا الفريق من الباحثين . يذهب إلى أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأبدان التى كانت متعلقة بها إلى التعلق بأبدان أخرى من نوع الأجسام التى كانت متعلقة بها أولا فقط . فالروح الإنسانية مثلا تنتقل بعد مفارقة جسدها إلى جسد إنسان آخر دون الحيوان أو سواه .

احتج أصحاب هذا المذهب ممن ينتسبون إلى الإسلام بهاتين الآيتين :

الآية الأولى .. قوله تعالى (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم - الذى خلقك فسواك فعدلك - فى أى صورة ما شاء ركبك) (١) .

ووجه استدلالهم بهذه الآية .. أن المخاطب فيها هى الروح الانسانية وأن خالقها يعلقها بصورة إنسان ثم تقتضى مشيئته سبحانه وتعالى تعلقها بصورة غيره . وهذا هو التناسخ .

الآية الثانية .. قوله تعالى (جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام يذرؤكم فيه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) (٢) .

ووجه استدلالهم بهذه الآية أن (يذرؤكم) معناه يخلقكم ويبثكم فى المذكور وهو النوع الانسانى والأنعام وحينئذ يكون المفهوم من الآية أن النفس الانسانية تخلق وتبث فى الجسم الانسانى وأجسام الأنعام وهذا هو معنى التناسخ .

هذا هو ما استدل به من ينتسبون إلى الاسلام من هؤلاء المجيزين

---

(١) الانفطار ٦ - ٧ - ٨ (٢) الشورى - ١١

للنسخ . أما من لا ينتسبون إلى الإسلام من القائلين بالتناسخ فقد استدلوا على مذهبهم هذا .

بأن الروح البشرية قديمة . فهى موجودة بالفعل وكل موجود بالفعل متناه . إذن فالأرواح البشرية متناهية والأجسام غير متناهية لأنها من الحوادث المتعاقبة المستندة إلا مالا يتناهى من الأوضاع الفلكية فلو لم تتعلق كل نفس إلا ببدن واحد لزم توزيع ما يتناهى وهى الأرواح على ما لا يتناهى وهى الأجسام وهو محال بالضرورة فوجب القول بالتناسخ .

وأصحاب هذا المذهب يرون أن القول بالتناسخ باطل واعتقاده حرام دليله . ..

ذكروا لأصحاب القسم الأول من الفريق القائل بالتناسخ ووقوعه بين الإنسان وغير الإنسان هذا الدليل المبطل لمذهبهم .

وحاصل هذا الدليل .. أن الله ـ تعالى ـ خلق الأنواع والأجناس ورتب الأنواع تحت الأجناس وفصل كل نوع عن النوع الآخر بفصله الخاص به والذى لا يشاركه فيه غيره .

وهذه الفصول المذكورة الأنواع الحيوانات إنما هى لا نفسها التى هى أرواحها فنفس الإنسان حيه ناطقة ونفس الحيوان حية غير ناطقة .

هـــذا هو طبيعة كل نفس وجوهرها الذى لا يمكن استحالته عنه . فلا سبيل إلى أن يصير غير الناطق ناطقا ولا الناطق غير ناطق ولو جاز هذا لبطلت المشاهدات وما أوجبه الحس وبديهة العقل .

أما القسم الثانى من هذا الفريق القائل بجواز التناسخ وتنقل الروح

يذرؤكم فيه) الآية . وما طوعوا الآيتين بفهم خاطىء لتكونا دليلتين لهم والواقع أنه ليس فى الآيتين ما يدل على ما ذهبا إليه من قول بجواز التناسخ بين الأرواح ووقوعه وتأويلهم للآيتين تأويلا باطلا .

وبيان ذلك :

فالآية الأولى تشير إلى أن للإنسان صوراً مختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر ومشيئة الله تعالى وحكمته اقتضت لكل نفس صورة خاصة من تلك الصور التى تتعلق بها النفس البشرية . . وعلى ذلك فليس فى الآية ما يفيد التناسخ كما توهموا .

وفى الآية الثانية إشارة إلى أن الله تعالى — خلق لنا أزواجا أى أنثا من أنفسنا أزواجا لبقاء النوع الإنسانى كما جعل الأنعام أزواجا من جنسها كذلك : وقوله تعالى (يذرؤكم فيه معناه يجعل لكم فى الأنعام معيشة تعيشون بها ..

إذن فليس فى الآية ما توهموا من جواز التناسخ .

وما استدلوا به من أن النفس البشرية قديمة قول باطل فقد أثبتنا سلفا أن النفس البشرية حادثة وأنه لا قديم غير الله فيسقط هذا الاستدلال وهو المطلوب .

إذن فالقول بالتناسخ بين الأرواح قول باطل .

١٠ — الفرق بين النفس والروح :

والواقع أن تفريقنا بين النفس والروح ، وإن كان وثيق الصلة بموضوعنا هــذا إلا أنه فى بحثنا يعتبر استطراداً ، ينبغى الإيجاز فيه إيجازاً .

ولذلك فإننا سنقتصر فى بحثنا هذا على ذكر موجز لمذهب الإمــام الغزالى فى تعريف النفس والفرق بينها وبين الروح.

• على أن من الباحثين من لا يفرق بين النفس والروح . ومن هؤلاء . لسان الدين ابن الخطيب الذى يقول :

« القلب والروح والنفس والعقل مدلولاتها واحدة فهى وإن تعددت الأسماء إدراكات نور واحد والخلاف اللفظى لايعارض غرضاً وقد جعلناها بمعنى واحد » (١) .

ومن هؤلاء النفر من الباحثين « إقبال » فهو لا يرى فارقاً بين النفس والروح فهما عنده شىء واحــد بل إنه لا يفرق بين الروح والجسد لأنها عجينة واحدة فى كيان واحد وإنما غاية ما هناك أن الوظائف هى التى تخالف بينهما.

كما تختلف وظيفة العين عن وظيفة الأنف والأذن مثلا .

نعود بعد ذلك إلى ما نحن بصدده من تعريف النفس والفرق بينها وبين الروح .

يصور القرآن الكريم النفس على أنها الكيان الإنسانى الذى صار به

---

(١) من كتاب قضية الألوهية بين الفلسفة والدين ص ١٦٩ ج ٢ نقلا من كتاب الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطاب ص ١٥٣ .

الإنسان إنسانا جديراً بالتكليف والسؤال والثواب والعقاب فهى الجانب الذى يعى ويعقل فى الإنسان ؟ .

ولا نعنى بهذا الذى نقول أن النفس هى العقل الذى هو القوة الواعية المدركة فى الإنسان ، لكننا نعنى أن النفس هى الكيان الإنسانى كله فهى « الذات » أو الشخصية التى تفرق بين إنسان وإنسان .

ومن ذلك فإننا نسمع القرآن الكريم يقول . .

« ومن قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً » (١) .

كما قال تعالى : « ولا تقتلوا أنفسكم » (٢) .

وكذلك قوله - تعالى - :

« وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن » (٣) .

فالقرآن فى هـــذه الآيات يتحدث عن النفس على أنها الكيان الانسانى كله .

ويرى الامام الغزالى . . أن هناك فرقا واضحا بين النفس والروح . . . فالروح هى « فالروح هو الجارى فى العروق الضوارب فى الشرايين » كما تقول عن النفس « وأما النفس فهو الجوهر القائم بنفسه وليس هو فى موضع ولا تحل شيئاً » (٤) .

---

(١) المائدة - ٣٢ .
(٢) النساء - [illegible]
(٣) المائدة - ٤٥ .
(٤) [illegible]

ثم يحاول بعض الباحثين أن يوضح الصورة التي صور بها الإمام الغزالي كلا من الروح والنفس فيقول :

« فهو » أي الإمام الغزالي - هنا يقرر .

أولا : أن الروح هي شعلة الحياة في الكائن الحي من إنسان وحيوان .

ثانياً : أن النفس جوهر قائم بنفسه ليس في موضع ولا يحل موضعاً .. أي أنه لا يتلبس بالجسد كما تتلبس الروح به .

والنفس خاصة بالإنسان دون سائر الأشياء » (١) .
ومن هنا فإن الفرق بين النفس والروح واضح ..
فالجسد والروح هما الأبوان الشرعيان « للنفس » .

فالنفس تتخلق من التقاء الجسد بالروح أو الروح بالجسد في الإنسان فهي التركيبة التي تتكون من الجسد والروح فتخلق في الإنسان ذاتية يعرف بها الانسان بأحاسيسه ووجداناته ومدركاته .

ولا شك أنها بهذا المعنى غير الروح التي هي سر الحياة في الانسان إذن فالروح غير النفس ..

والقرآن الكريم وهو أصدق مرجع يبين أن النفس غير الروح .
فيقول « يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية » .
وكما قال : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ... » .

---

(١) من كتاب قضية الألوهية بين الفلسفة والدين الأستاذ/عبد الكريم الخطيب ص ١٥٧ ج ٢

وإنه لاستطراد غير معيب أن أقسم النفس بحسب إختلاف أحوالها : إلى ..

النفس الأمارة ..

وهى النفس : التى أذعنت وأطاعت مقتضى الشهوة وداعى الشيطان.. فهى تأمر صاحبها دائما بفعل الشر :

وهى التى يقول القرآن الكريم فيها : «وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى »(١).

والتى يقول عنها الشاعر :

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك الصدق فاتهم

والنفس كالطفل إن تهمله شب على

حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

٢ — النفس اللوامة :

هى النفس التى لم تسكن لداعى الشهوة أو وسوسة الشيطان ، فإذا ازلقت بها قدمها إلى المعصية إعترضت على داعى الشهوة ودافعت ضد وسوسة الشيطان ، وسميت لوامة لأنها تلوم صاحبها حين يخطىء حتى لا يخطىء وهى النفس التى أقسم بها الله حين قال :

« لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة »(٢).

٣ — النفس المطمئنة :

وهى النفس التى اطمأنت إلى ثواب الله ورضوانه وطاعته فليس لداعى الشيطان أو مقتضى الشهوة سلطان عليها :

---

(١) يوسف – ٥٢ . (٢) القيامة ١ – ٢ .

وهى النفس التى يخاطبها فيقول لها .

« يا أيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية » (١) :

١١ - العقل - تعريفه ومحله - وأنواعه :

نظراً لما للعقل من صلة بالروح موضوع بحثنا : فبعض الباحثين : عرف الروح بأنها القوة العاقلة المدركة فى الإنسان وهو نفس التعريف الذى ذكره بعضهم للعقل :

ولأن البعض - كما ذكرت سلفاً - لم يفرق بين الروح والعقل والنفس ولأنه مناط التكليف فى الإنسان فإنه لا مناص لنا من التعرف على النعمة الكبرى التى وهبها الله للإنسان ففضله بها على غيره من المخلوقات تفضيلا .

فما هو العقل - ؟ وما هى أقسامه ؟ - وما هو محله من جسد الإنسان ؟

- فما هو العقل :

العقل لغة .. المنع .. من عقل البعير إذا منعه بالعقال .

وسمى بذلك لمنعه صاحبه من العدول عن سواء السبل :

واصطلاحا .. فقد اختلف العلماء فى بيانه حقيقته إلى مذاهب عدة جعلت البعض ينهى عن الخوض فى بيان حقيقته كالروح تماما : لكن أكثر الباحثين على جواز البحث عن حقيقته ومن هنا فقد عرفوه بتعاريف شتى وها كم بعض ما ذكر الباحثون من تعريف العقل اصطلاحا .

هو العلم ببعض العلوم الضرورية : كإدراك أن السماء فوقنا والأرض تحتنا وجواز إحراق النار :

٢ - تعريف بعض أهل السنة : هو غريزة - أى طبيعة مغروزة - يتهيأ بها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات .

(١) الفجر - ٢٧ - ٢٨ .

٣ - تعريف الشيرازى هو صفة يميز بها بين الحسن والقبيح .

٤ - هو نور روحانى به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية وعلى هذه المذاهب فى تعريفه فهو عرض من الأعراض .

٥ - وقال بعض المعتزلة والخوارج والحكماء العقل هو - جوهر تدرك به الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة .

٦ - وقال الغزالى إنه جوهر مجرد .

وعلى هذين التعريفين الأخيرين يكون العقل جوهراً لا عرضاً

٥ - أنواعه يذكر صاحب الجوهرة العقل أنواعاً خمسة هى :

١ - غريزى . وهو غريزة يتهيأ بها لدرك العلوم النظرية

٢ - كسبى : وهو العقل الذى يكتسبه الإنسان بالعلوم والمعارف ومعاشرة العقلاء .

٣ - عطائى : وهو ما يعطيه الله للمؤمنين ليهتدوا به إلى الإيمان .

٤ - عقل الزهاد .. وهو الذى يكون به الزهد

٥ - شرفى - وهو عقل نبياً محمد ﷺ وهو أشرف العقول

٥ - محله :

اختلف العلماء فى موطن العقل من جسم الإنسان .

١ - مذهب الإمام مالك والشافعى وجمهور المتكلمين

أن العقل محله القلب وله نور متصل بالدماغ

٢ - مذهب الحكماء وبعض الفقهاء .

أن محله الدماغ الفسادة بفساد الدماغ . والأول هو الأصح لجواز أن تكون سلامة الدماغ شرطا لاستمراره وإن كان محله القلب .

(ز) الشهيد وأقسامه ومكانته عند الله :

الحرب بين المسلمين وأعدائهم ضرورة حتمها على الإسلام رده لعدوان مبيت من أعدائه استهدف عقيدته أو أبناءه أو أرضه أو عرضه .

ولذلك أوجب الإسلام على أبنائه حمل سلاحهم متى عدد أعداؤه أبناءه في عقيدتهم أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم أو أوطانهم .

قال - تعالى - :

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره)(١) .

والحرب حين تفرض على المسلمين فرضا يدعو الإسلام أبناءه فردا فرداً لحمل سلاحه ويعده بالعزة والكرامة إن عاد سالما وبالجنة والحياة عند الله إن خر شهيداً في ميدان الجهاد .

قال تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاخوف عليهم ولاهم يحزنون - يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لايضيع أجر المؤمنين)(٢) .

ولقد سمى الإسلام من قتل من أبنائه في حرب بين المسلمين وأعدائهم دفاعا عن دينه وعقيدته شهيدا .. فما هو الشهيد ولماذا سمى الشهيد شهيدا ؟

---

(١) الحج : ٤٠

(٢) آل عمران : ١٦٩/١٧٠/١٧١

١ - ماهو الشهيد؟

قسم العلماء الشهيد إلى ثلاثة أقسام :

١ - شهيد الدنيا والآخرة ..

هو من مات من المسلمين فى معركة بين المسلمين . وأعدائهم من غير المسلمين قصد بها وجه الله ولإعلاء كلمة الله .

وهو المقصود فى بحثنا هذا وبه .

٢ - شهيد الدنيا .

هو من مات من المسلمين فى معركة بين المسلمين وأعدائهم من غير المسلمين لكنه لم يقصد اعلاء كلمة الله ولكنه قصد الرياء وإظهار الشجاعة أو الحصول على الغنيمة .

ولما كانت القلوب لا يطلع عليها إلا الله .. فإننا لانستطيع التفريق بينهما فى الدنيا فيعامل معاملة شهيد الدنيا والآخرة فى الدنيا . فلا يغسل ولا يصلى عليه بل يدفن بملابسه الذى قتل فيها وبدمائه التى سالت فى الحرب لكن يفصل بينهما عند الله المطلع على القلوب فيكون الأول شهيداً يدخل الجنة بغير حساب ويحصل على ما وعد الله به عباده الشهداء ، أما الآخر فلا ثواب له يوم القيامة عند الله . ولذلك سمى شهيد الدنيا فحسب .

٣ - شهيد الآخرة :

وهو من أبتلى بما شق على نفسه حتى مات أو قتل فى غير حرب لإعلاء كلمة الله بين المسلمين وغير المسلمين . . كمن مات حرقا أو غرقا أو قتل خطأ وكذا المريض إذا امتدت به العلة المؤلمة ومات صابراً محتسباً راضيا بقدر الله تعالى فهو شهيد الآخرة لأن له فى الآخرة أجر شهيد لكنه

فى الدنيا يعامل معاملة سائر الأموات من غسل والتكفين والصلاة عليه ودفنه فى مقابر المسلمين .

٢ ولماذا سمى الشهيد شهيداً :

وسمى الشهيد شهيداً

. لأن الملائكة تشهد موته تشريفاً وتقديراً

. لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة

فهو شهيد بمعنى مشهود له

. أو لأن روحه تشهد ما أعد الله لها من خير

. أو لأن دمه يشهد على شهادته يوم القيامة

٣ ـ ماذا للشهيد عند ربه :

تحدد هذه الآية ما للشهداء عند ربهم : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) فهذه الآية تحدد لنا

(ا) أن حياتهم مستمرة عند الله

(ب) أنهم فى الجنة يرزقون

فقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن شهيد الحرب حى وليس بميت وأخبر الرسول ﷺ أن أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر تسرح وتمرح فى الجنة فكيف هذه الحياة مع أننا نبصره ميتاً كغيره ممن فارقوا الدنيا ؟

والواقع أن كيفية هذه الحياة مجهولة لنا يعلمها الله لكننا نعرف أن هناك

حياة برزخية ينعم فيها الصالحون ويشقى فيها غيرهم .

على أن هذه الحياة الغيبية متفاوتة .. فالشهداء أكمل نعيماً فى حياتهم البرزخية من عامة الناس الصالحين منهم وحياة الأنبياء البرزخية أكمل من حياة الشهداء .. وهذه الحياة ثابتة الذات والروح .

وإذا وضعنا فى اعتبارنا أن هذه الحياة لا تقاس على الحياة الدنيا لأنها حياة آخرة لا تخضع لقوانين الدنيا ولا تقاس بمنطقها أدركنا أن العقل لا يمنع هذه الحياة لعدم استحالتها لأنها خارقة للعادة الجارية على الحياة الدنيا قانوناً وناموساً فأجسامهم حية مع أن أرواحهم فى حواصل طيور خضر(١) .

أما كيف يرزقون ويأكلون ما يشتهون فى الآخرة فهذه معلومة مدركة لكن لماذا يرزقون ؟

فالجواب أن ذلك ليس لحاجتهم للطعام والشراب كشأنهم فى الدنيا لكن ذلك يكون للتنعم والتلذذ من غير حاجة إليه .

٤ - لماذا لا يغسل الشهيد ولا يصلى عليه ؟

والجواب على ذلك أن الشهيد يبعث يوم القيامة على حالة التى مات فيها ليكون دمه شاهداً له عند ربه بأنه مات شهيداً من باب عرض القضية أمام الله على نمط عرضها فى الدنيا وإلا (فالله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار)(٢) (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها

---

(١) وتكون الحياة مستمرة لأن هناك اتصالا وثيقا بين الجسد وبين الروح وهى فى حواصل الطيور الخضر .

(٢) الرعد ٨

إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) (١) ونكاية وخزياً تقاتله .

ولا يصلى عليه لأن الصلاة دعاء من المصلين للميت بالرحمة والمغفرة والله سبحانه وتعالى قد وعده بالجنة فماذا الدعاء إذن ؟ كأن الله يقول لمن حوله دعوا عبدى لى فليس له ولا لى حاجة بدعائكم له فقد غفرت له وكتبت له الجنة .

(١) الأنعام ٥٩ .

إختبار

س ١ : هل الموت وجودى أم عدمى . . . ؟ بينى آراء العلماء فى إجابة هذا التساؤل وما ساقه كل رأى من أدلة على مذهبه ثم حدثنا عن مذاهب العلماء فى فناء المخلوقات بالموت وكذا مذاهبهم فيمن يتولى قبض الأرواح. وما هى عقيدة الإسلام فى الموت بوجه عام؟

س ٢ : هل القتل كالموت فى إنقضاء الأجل أم أن الموت إستعجال الأجل .؟ بينى مذاهب العلماء فى إجابة هذا التساؤل وأدلتهم على ما ذهبوا إليه . ثم أجيبى عما يأتى .

هل القتل هو الموت ؟ هل أجل القتل هو أجل الموت أم أن لكل منهما أجل .؟ هل القتل قطع للأجل أم لا ؟ . هل القتل فعل الله أم فعل العبد؟

س ٣ : ما الذى يفنى من الإنسان بالموت وما الذى يبقى . وماهو عجب الذنب ؟ وما هى مذاهب العلماء فى بقائه أو فنائه ؟ وهل بقاؤه تعبدى أم معلل على رأى من يرى بقاءه.

س ٤ : ما هى الروح ؟ . وما الفرق بينها وبين النفس ؟ ولماذا نبحث عن الروح ؟ ولماذا لم تبين الرسالات السماوية حقيقة الروح ؟ وما هو حكم البحث عن حقيقة الروح ؟ وهل الروح خلقت قبل الجسد أم بعده ؟ . وما هى مذاهب العلماء وأدلتهم على ما ذهبوا إليه فى فناء الروح عند النفخة الأولى ؟ وما هو محل الروح فى الدنيا والآخرة . عرفى النفس ثم بينى أقسامها وعرفى كل قسم منها ومثلى له . ثم وضحى معنى القول بالتناسخ

الأرواح . ثم ردي على من يقـــولون بجوازه بعد أن توضحى أدلتهم في ذلك .

س ٥ : عرفى العقل . وبينى حكمه على مذاهب العلماء المختلفة وأنواعه .

س ٦ : ما هو الشهيد ؟ وما هى أنواعه ؟ عرفى كل نوع وعللى لسبب التسمية . ولماذا سمى الشهيد شهيداً ؟ وماذا له عند ربه ؟

ولماذا لا يغسل ولا يصلى عليه ؟

الفصل الثانى

ماذا فى القبر

١ – ما هو القبر . . ؟
٢ – سؤال القبر .
٣ – عذاب القبر .
٤ – نعيم القبر .

حياة البرزخ ـ كما يعبر الباحثون ـ هجعة تعقبها حياة آخرة وهى إمتداد لهذه الحياة التى نحياها . غاية ما هناك أنها تختلف عنها فى طبيعتها .

ذلك لأنه ليس نصيب الإنسان من الحياة تلك السنوات التى يعيشها فى هـــذه الحياة الأولى . فالموت ليس فناء أبديا بل إنه طريق لحياة أبدية لا موت بعدها .

وهذه الحقيقة أدركها العاقلون من الناس منذ آماد موغلة فى القدم . يقول سقراط :

« عندما فتشت عن علة الحياة وجدت الموت وعندما وجدت الموت ألفيت الحياة الدائمة » (١) .

من أجل ذلك كان على الإنسان أن يستقبل الموت بابتسامة الرضا والطمأنينة ـ فى فلسفة سقراط للموت ـ فيقول ثانية « ينبغى أن نغتنم بالحياة ونفرح بالموت لأننا نحيا لنموت ونموت لنحيا » (٢) .

وفكرة الخلود عاشت فى ضمير الإنسانية كلها واشتغل بها العقل الإنسانى منذ كان لها عقل يفكر وفكر يعقل . ولا يخالجنا شك فى أن عقلها ولد مع مولدها فالإنسان حيوان مفكر فإن لم يفكر فقد شطره وانتقل إلى حظيرة العجماوات وهى غير عشيرة الإنسان .

وفكرة الخلود انتقلت فى العقل الإنسانى من طور إلى طور .. فنبعت عند الهنود من الينبوع الذى استقى منه الفراعنة عقيدتهم . فلقد اتخذ الفراعنة من النيل وتعاقب أحوال غيضه وفيضه والنبات وتقلبه بين النضرة والذبول .

---

(١) الملل والنحل . للشهرستانى ج ١ ص ٢٩٧

(٢) « « « « ج ١ ص ٢٩٨

باعثا لفكرة الخلود الإنسانى والحياة بعد الموت . فأضنوا أنفهم فى بناء الأهرام لحفظ أجسادهم من البلى حتى يحسبوا من الخالدين .

كذلك فإن العقل الهندى نظر إلى النبات نظرة المتأمل الباحث فرآه يزدهر بعد أن يستوى على سوقه ينتج فيحصد ثم يعود نبتة صغيرة ثم يستوى على سوقه فيزهر فينتج ويحصد . فقاس عليه الإنسان الذى خلقه الله من ضعف، ثم جعل من بعد ضعف قوة . ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة فاستنتج خلود الإنسان قياسا على بقاء النبات وتعاقبه .

وصاحب قصة الحضارة ينقل عن أحد أسفارهم المقدسة لديهم قوله « يفنى الفانى كما تفنى الغلال ويعود إلى الحياة فى ولادة جديدة كما تعود الغلال » (١) .

والديانات السماوية تصور الموت على أنه إشارة البدء إلى رحلة طويلة ينتقل فيها الإنسان من هذه الدنيا إلى عالم الخلود حيث يلقى جزاء ما قدم فى هذه الحياة من خير أو شر .

وليس هناك خلاف بين الديانات السماوية كلها فى تقدير هذه الحقيقة وتوكيدها فإن دعوات السماء منحصرة فى توجيه الناس إلى الإيمان بما بعد الموت والإعداد له بعد الإيمان بالله .

وليس عملنا الآن أن نتحدث عن عقيدة الخلود وأدوارها بل عملنا أن نبحث عما يحدث للإنسان فى هذه الفترة التى تعقب الموت وتسبق البعث والحشر والنشر فماذا يحدث للإنسان فى قبره لننظر !

وقبل أن نشرع فى أحداث هذه الفترة الانتقالية بين الحياة الأولى والحياة الآخرة . فإنه لا مندوحة لنا من الاجابة على هذه الأسئلة .

(١) قصة الحضارة ج ٣ ص ٤٢ لول ديورانت .

١ - ما هو القبر ؟

٢ - سؤال القبر .

٣ - عذاب القبر .

٤ - نعيم القبر .

فلنبدأ على بركة الله - تعالى .

١ - ما هو القبر ؟

القبر . هو المكان الذى يستقر فيه جسد الإنسان بعد مفارقة الروح للجسد ولو كان جوف الوحش أو حوصلة الطير أو أمعاء حيتان البحر وكذلك لو أحرق وذرى فى الرياح .

٢ - سؤال القبر . .

عندما تنفصل الروح عن الجسد ويصبح جثة هامدة تنقطع الصلة بينه وبين الحياة الدنيا دار العمل والامتحان ويصبح فى دار البقاء والخلود والحساب والجزاء .

وهناك فترة تمر على كل فرد منذ مفارقته هذه الدنيا إلى أن تقوم الساعة هى فترة البرزخ أو القبر وهى تمهيد لما سيلقاه عندما تقوم الساعة ولذلك يبدأ سؤاله عندما يقبر .

— من الذى يسأل : ومن الذى لا يسأل ؟

يختلف الباحثون فيمن يسأل . ؟

١ — مذهب الجمهور .

السؤال يكون لأمة الدعوة مؤمنين ومنافقين وكافرين إنساً وجناً .

٢ — مذهب ابن عبد البر .

السؤال يكون للمؤمنين والمنافقين لانتسابهم للإيمان ظاهراً أما الكافر فإنه لا يسأل .

والأصح أن السؤال يعم المسلم والكافر والطائع والعاصى . والمسئول من هؤلاء هو المكلف من الإنس والجن أما الأطفال فإنهم لا يسألون لعدم تكليفهم وأما الملائكة فلا ندري عنهم شيئاً من هذه الناحية والظاهر أنهم لا يسألون .

وأما من لا يسأل فللعلماء فى ذلك رأيان .

الرأى الأول :

الذين لا يسألون هم .

(ا) إمام الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ .. إتفاقا .

(ب) الأطفال والملائكة فى الظاهر .

(ج) الأنبياء على ما هو الحق وقيل يسألون عن جبريل والوحى .

(د) الصديقون والشهداء والمرابطون والملازمون لقراءة تبارك من حين بلوغهم . والمراد بالملازمة قراءتها فى غالب الأوقات . وكذا سورة

السجدة . ومن قرأ فى مرض موته « قل هو الله أحد » ومن مرض بالبطن والميت فى زمن الطاعون به أو بدونه صابراً محتسباً والميت ليلة الجمعة .

الرأى الثانى :

الذين لا يسألون هم الأنبياء وشهداء المعركة وأما الباقون فيسألون سؤالا خفيفاً وهو الراجح .

من السائل . . ؟

للعلماء فيمن يتولى سؤال الميت رأيان .

الرأى الأول :

الذى يتولى السؤال هما منكر ونكير لسؤال المؤمن والكافر على حد سواء .. غير أنهما يترفقان بالمؤمن وينهران الكافر والمنافق .

الرأى الثانى :

الذى يتولى سؤال المؤمن الطائع هما مبشر وبشير أما الذى يتولى سؤال الكافر والمنافق والمؤمن العاصى فهما منكر ونكير . لأنهما يأتيانه بصورة منكرة وسؤال كل فرد يكون بلغته التى يعرفها .

متى يكون السؤال..؟

يكون السؤال بعد تمام الدفن وانصراف الناس ويبدأ السؤال بأن يأتيه ملكان ويعيد الله ـ تعالى ـ اتصال الروح بالجسم اتصالا خاصا غير اتصال الحياة فلا نحسه نحن ولا ندركه ولو كان الجسد فى صندوق زجاج

فالمسئول هو الشخص نفسه المكون من الروح والجسد بصورة يعلمها الله ولا معنى لقول بعضهم يسأل الجسد بدون الروح أو الروح دون الجسد .

أخرج البخارى عن البراء بن عازب عن النبى - ﷺ - قال (إذا قعد المؤمن فى قبره أتاه آت ثم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ») .

فالمقصود بتثبيت المؤمنين فى الحياة الدنيا الثبات على الإيمان وفى الآخره عند سؤال الملكين . وقيل المقصود بالحياة الدنيا سؤال القبر لأنه متصل بالحياه الدنيا وفى الآخرة أى عند الحساب .

هل تعود الحياه إلى جميع البدن أم إلى النصف ؟

يختلف العلماء فى ذلك :

فيرى الجمهور أن الحياة تعود إلى جميع البدن عملا بظاهر الأحاديث فى ذلك ويرى ابن حجر أن الروح تعود إلى نصفه الأعلى فقط ويرد إليه من الحواس والعقل والعلم ما يتوقف عليه فهم الخطاب ورد الجواب .

ومن الناس من يسأله الملكان تشديداً عليه ومنهم من يسأله الملكان تخفيفاً عليه .

عدد مرات السؤال :

للعلماء فى عدد مرات السؤال أقوال .

الأول .. أن الميت يسأل ثلاث مرات .

الثانى .. أن الميت المؤمن يسأل سبع مرات أما الكافر فإنه يسأل أربعين يوماً

الثالث .. أن الميت يسأل مرة واحدة ، وهو القول المشهور .

فإذا ماتت جماعة فى وقت واحد بأقاليم مختلفة فالعلماء فى سؤالهم أقوال

(ا) قال القرطبى يجوز أن يعظم الله جثة الملكين حتى يخاطبا الخلق الكثير مخاطبة واحدة .

(ب) قال السيوطى والحليمى يحتمل تعدد الملائكة المعدة لذلك والمختار أن تكون ملائكة السؤال جماعة كثيرة بعضها يسمى نكيراً والبعض الآخر يسمى منكراً فيبعث إلى كل ميت اثنين منهم .

هل سؤال القبر خاص بالأمة المحمدية وحدها .. ؟

يختلف الكثيرون فى إجابتهم على هذا السؤال . هل سؤال خاص بالأمة المحمدية فقط أم لا ؟ فنفر منهم يرى أن سؤال القبر خاص بالأمة المحمدية وحدها والنفر الآخر يرى أن هذا السؤال للأمم جميعاً .

عن أى شىء يكون السؤال ؟

العلماء فى تحديد كيفية السؤال آراء عدة .

١ — ابن عباس يرى أنهم يسألون عن الشهادتين فقط .

٢ — وعكرمة يرى أنهم يسألون عن الإيمان بمحمد والتوحيد .

٣ — ويرى نفر آخر من الباحثين أن السؤال يكون عن الاعتقادات كلها وبعضهم يسأل عن بعضها فقط .

وقد ورد أنهما يقولان له ما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ليتميز الصادق فى إيمانه من المرتاب فيجيب الأول بالصواب ويجيب الثانى بقوله لا أدرى فيشقى بقولته هذه .

والذى أرى أن السؤال يكون عن أمور عامة فلا يتناول التفاصيل وإنما يترك ذلك للحساب فيسأل : من ربك ؟ وما دينك ؟ . وما تقول فى الرجل الذى بعث فيكم ؟ . فيقول المؤمن الله ربى والإسلام دينى والرجل المبعوث فينا محمد — ﷺ — فيقولان أنظر إلى مقعدك فى النار قد أبدلك الله به مقعداً فى الجنة ثم يقولان له نم نومة هانئة ، أما المنافق والكافر فيقول لا أدرى فيعذب ويتحول قبره إلى حفرة من حفر النار .

آراء العلماء فى فتنة القبر :

ما المراد بفتنة القبر التى طالما دعا الرسول ربه ليتعلم الناس منه هذا الدعاء — ليقيه الله شرها . ؟ يختلف العلماء فى تحديد ما هيتها .

١ — يرى بعضهم أنها التلجلج فى الجواب .

٢ — ويرى بعض آخر أنها سؤال القبر .

٣ — ويرى بعض ثالث أنها حضور إبليس فى ركن من أركان القبر مشيراً إلى نفسه عند قول الملك للميت « من ربك » ، ولم يثبت حضور النبى ولا رؤية الملك له عند السؤال .

وإعادة الروح إلى البدن لا يتنافى إطلاق اسم الميت عليه لأن حياته ليست حياة كاملة بل أمر متوسط بين الحياة والموت كتوسط النوم بين الموت والحياة .

الحكمة من سؤال القبر :

إظهار ما كتمه العباد فى الدنيا من إيمان وكفر وطاعة وعصيان فالمؤمنون الطائعون يباهى الله بهم الملائكة وغيرهم يفتضحون لدى الملائكة

الدليل عليه :

هناك أدلة سمعية كثيرة على سؤال القبر ..

١ - قوله تعالى .. (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) .

٢ - « « (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) فقد ذكر المفسرون أن التثبت فى الآخرة عند سؤال القبر .

٣ - قوله ﷺ لبعض صحابته وهم يهيلون التراب على ميت منهم (استغفروا لأخيكم فإنه الآن يسأل) .

وإلى هنا نتوقف عن المزيد فى سؤال القبر وننتقل إلى الفقرة التالية وهى ماذا فى القبر بعد السؤال من نعيم أو شقاء يترتب كلاهما على السؤال فعلى بركة الله .

٣ - عذاب القبر :

عندما ينتهى سؤال القبر تبدأ مرحلة جديدة تستمر إلى أن ينفخ فى الصور إيذاناً بانتهاء هذه الدنيا .

وفى تلك الفترة يلقى الميت معاملة تتناسب مع عمله فى الدنيا وتكون مقدمة لما سيلقاه فى يوم القيامة .

وفى القبر نعيم أو عذاب .

فما هو المعذب فى القبر .. ؟ وما هى صور هذا العذاب ؟ . وما الدليل عليه . ؟ ومن هم الناجون من عذاب القبر .؟

للعلماء فى المعذب فى القبر رأيان . ..

الرأى الأول .. يرى أن المعذب هو البدن والروح .

الرأى الثانى .. يرى أن المعذب البدن فقط غير أن الله يخلق فيه إدراكا بحيث يسمع ويتألم ويتلذذ ..

ويدوم عذاب المنافق والكافر وبعض عصاة المؤمنين أما بعض العصاة الآخر فإنه يرفع عنه العذاب وهم من خفت جرائمهم من عصاة المؤمنين وقد ينقطع عنهم بصدقة أو دعاة وغير ذلك .

ولعذاب القبر صور شتى :

منها .. تسليط الثعابين على الكافر لكفره بأسماء الله الحسنى ..

ومنها .. ضغطة القبر للميت بأن تلتقى حافتيه على الميت وهذه الضمة ينجو منها الأنبياء ومن قرأ سورة الإخلاص فى مرض موته .

والدليل عليه ..

هناك أدلة عدة على عذاب القبر .

منها .. قوله تعالى: « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » (١) .

وقول الرسول - ﷺ - : « القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » .

وقد مر الرسول - صلى الله عليه وسلم - على قبرين فأطلعه الله على حال من فيهما فوجدهما يعذبان فقال « يعذبان وما يعذبان فى كبير .. أحدهما كان لا يستبرىء من بوله والثانى كان يمشى بين الناس بالنميمة » وفيه نصوص كثيرة بلغت مبلغ التواتر .

---

(١) غافر - ٤٦ .

٤ - نعيم القبر :

ما هو نعيم ؟ ما هي صوره ؟ .. ما هو الدليل عليه ؟

نعيم القبر يكون للمؤمنين ولو من غير الأمة المحمدية وهو ما يلقاه الميت من تكريم خلال حياة البرزخ هذا التكريم الذي يبشره « بحسن المنقلب عند الله .

ومن صوره ..

١ - توسيع القبر على الميت ..
٢ - فتح طاقة من الجنة فيه .
٣ - امتلاؤه بالروائح الزكية .
٤ - إنا .. لا سيما لمعلم العلم ومتعلمه ومنور المساجد .
٥ - جعله روضة من رياض الجنة .

والدليل على نعيم القبر .. هو قول الرسول - ﷺ « القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من النار » .

وسؤال القبر وما يترتب عليه من نعيم أو عذاب أمور ممكنة عقلا وردت بها السنة الصحيحة فوجب الايمان بها دون حاجة إلى صرف النصوص عن ظاهرها ..

وهذه عقيدة أهل السنة وجمهور المعتزلة .

وقد أنكر الملحدون هذه الأمور الثلاثة لأن عقولهم لم تستطع إدراكها وقالوا : إن اللذة الناشئة عن النعيم والألم الناشيء عن العذاب والسؤال والجواب كل ذلك لا يتصور بدون حياة وإدراك . وقد فسد الجسم ،

وتفرقت أجزاؤه وانتفت منه الحياة فكيف يتصور أنه يدرك ويحس . .
ونحن نشاهد المقتول والمصلوب والميت يبقى مدة طويلة أمامنا دون أن
نشاهد أثراً لهذه الحياة .

وهذه أجسام قدماء المصريين محفوظة فى المتاحف منذ عشرات السنين
يختلف عليها الحراس ولم نسمع أن أحدهم تحرك أو ظهرت عليه آثار
هذه الحياة .

ثم إن الميت قد يوضع فى مكان ضيق صلب لا يستطيع معه قعوداً ولا
حركة فكيف يتصور جلوسه .

وهذا الذى أكلته السباع أو أحرق وذرى فى الهواء كيف يتصور
سؤاله وعذابه ونعيمه .

وهذه شبهة واهية دفع إليها قياس الغائب على الشاهد .. ذلك لأن هؤلاء
الملحدون الماديون لا يؤمنون إلا بما يحسون مع أن حياة البرزخ حياة
أخرى غير حياتنا هذه لها نواميها ونظامها .

وقد نجد لذلك مثيلا فى حياتنا الدنيا .. فقد يكون بجوارك شخص نائم
يشعر بألم أو نعيم وأنت بجواره لا تحس بإحساسه ولا تشعر بشعوره .

وقد كان الوحى ينزل على النبى – عليه الصلاة والسلام – وهو بين
أصحابه فيسمعه كصلصلة الجرس والصحابة بجواره لا يسمعون شيئاً حتى
يخبرهم – الرسول – ﷺ .

وقد أجمع أهل الأديان السماوية على الاعتراف بسؤال القبر ونعيمه
وعذابه فقد أخرج البخارى ومسلم عن عائشة – رضى الله عنها – أن يهودية
دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها أعاذك الله من عذاب القبر . .

قالت عائشة فسألت رسول الله ـ ﷺ ـ عن عذاب القبر فقال : « نعم عذاب القبر حق قالت : فما رأيت رسول الله ـ ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر .

كما أن الإنسان ليس عبارة عن ذلك الجسم فقط بل هو جسم وروح ولا يلزم فى الحياة البرزخية أن تتعلق الروح بكل أجزاء البدن بل يكفى فى تحققها تعلق الروح بأى جزء من أجزاء البدن لأنها حياة أقل من الحياة الدنيوية وعند ذلك يعذب الميت أو ينعم .

وإنكار ما فى القبر من سؤال ونعيم وعذاب لا يصح حيث أن الأحاديث الصحيحة قد وردت فى عذاب القبر ونعيمه ودل ظاهر كتاب الله ـ تعالى ـ على ما فيه .

والمعذب فى القبر البدن والروح جميعاً باتفاق أهل الحق .

إختبــار

س (١) :

ماهو القبر ؟ ومن الذى يسأل ومن الذى لايسأل ومن الذى فيه ، بينى مذاهب العلماء فيمن يسأل .. ثم من المسائل على رأيى العلماء فى ذلك ، ثم متى يكون السؤال ؟ .. ثم هل تعود الحياة إلى جميع البدن ؟ ناقشى ذلك ، وماهى عدد مرات السؤال ؟ وعن أى شىء يكون السؤال

س (٢) :

ما هى آراء العلماء فى فتنة القبر ؟ وما هى الحكمة من سؤال القبر ؟ وماهو الدليل على سؤال القبر ؟

حدثينا عن عذاب القبر والدليل عليه وكذا نعيمه والدليل عليه

الفصل الثالث

المعاد والبعث والحشر

الساعة وعلاماتها الكبرى .

المعاد .

البعث .

الحشر .

بعد أن تحدثنا بإيجاز عن القبر وما فيه فإننا نستعين بالله ونستهديه فى الحديث عن ما بعد القبر من بعث وحشر .

لكننا قبل أن نشرع فى ذلك فإن لا مندوحه لنا عن حديث موجز عن الساعة وعلاماتها الكبرى كعقيدة من العقائد التى جاءت بها الدعوة الإسلامية .. فعلى بركة الله ـ تعالى :

الساعة وعلاماتها الكبرى

فالمراد بالساعة .. ؟

ومن الذى اختص بعلم وقتها ؟

وما وظيفة الرسل حيالها ؟

وما هى علاماتها الكبرى ؟ ..

وما دليل كل علامة منها . ..

إجابة هذه الأسئلة هى موضوعنا تحت هذا العنوان ..

المراد بالساعة .. هى الوقت الذى يموت فيه الأحياء فى هـــذا العالم ويضطرب نظامه ويخرب بما يكون فيه من الأهوال .

والذى اختص بعلم وقتها على التعيين هو الله سبحانه وتعالى : وحده كما دل عليه قوله ـ تعالى : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو » .

معنى الآية يسألونك أيها الرسول متى الساعة .. قل لهم إن علم الساعة مما استأثر الله تعالى بعلمه ألم يكشف عنه حجاب الخفاء لأحد سواه سواء أكان ملكا أم نبيا أم غيرهما كما أنه لا يظهرها فى وقتها المحدود إلا هو . .
وبناء على ذلك فإن لنا أن نتساءل ما هى وظيفة الرسل إذن حيالها ؟

والجواب أن وظيفة الرسل حيالها إذن هو الإنذار بها والتخويف منها لكن تحديد ميعادها عند الله وحده .. لكن آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ : قد أشارا إلى قرب وقوعها .

قال تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر »(١) .

وقال تعالى : « وما يدريك لعل الساعة قريب »(٢) .

وقال تعالى : « ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا »(٣) .

وقال ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين » .

وأشار بالسبابة والوسطى والمعنى أن القرب بين بعثته النبي والساعة كالقرب بين الأصبع السابة والأصبع الوسطى .

ماهي علاماتها ؟

نكتفي من علامات القيامة هنا بالعلامات الكبرى فقط فى هذا المختصر :

١ — خروج الدجال :

والدجال رجل سيخرج فى آخر الزمان يظهر للناس خوارق كثيرة وغرائب كثيرة يفتتن بها خلق كثير وأنه كافر وأن من اتبعه هلك ومن خالفه نجا وأنه يقتل على يد عيسى عليه السلام .

وقد وردت فى حق الدجال أحاديث كثيرة منها . ما جاء فى صحيح البخارى عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ : أنه قال :

---

(١) القمر : ١ .
(٢) الإسراء : ٥١ .

ينزل الدجال ببعض السباخ التى بالمدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس ، فيقول : أشهد أنك الدجال الذى حدثنا عنك رسول الله ﷺ حديثه ، فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون فى الأمر ، فيقولون : لا ، فيقتله ، ثم يحييه ، فيقول حين يحييه : والله ما كنت قط أشد بصيرة منى اليوم ، فيقول الدجال : أقتله فلا يسلط عليه .

وروى أبو داود والترمذى فى سننها عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : (وإنه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثة كلهم يزعم أنه نبى وأنا نبى وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى) .

وقد بين الرسول ﷺ أوصاف الدجال وأحواله وأفعاله ونهايته فى أحاديث كثيرة نكتفى منها ، بما يلى .

فقد ذكر الحافظ بن حجر فى فتح البارى عن رواية مسلم عن الصحابى الجليل أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى قال : عنه .

(إنه يهودى ، وأنه لا يولد له ولد ، وأنه لا يدخل المدينة ولا مكة (رواه مسلم فى صحيحه ١٨ - ٥٠ ، وإن عينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كأنها نخاعة - نخامة - فى حائط مجصص وعينه اليسرى كأنها كوكب درى - يعنى شدة وإتقادا - معه من كل لسان ومعه صورة الجنة خضراء يجرى فيها الماء وصورة النار سوداء ، رواه أحمد فى مسنده ٣ : ٩٧ .

(وبين يديه رجلان ينذران أهل القرى كلما خرجا من قرية دخل أوائله) رواه أبو يعلى والبزار .

وذكر الحافظ بن حجر موطن خرجه فقال فى فتح البارى أيضاً ٩٣-٩٧ (وسيكون خروجه من قبل المشرق جزما) . ثم جاء فى رواية أنه يخرج من خراسان أخرج ذلك أحمد والحاكم من حديث أبى بكر .

وفى رواية أخرى : أن يخرج من أصبهان . أخرجها مسلم . ويخرج أولا فيدعى الإيمان والصلاح ، ثم يدعى النبوة ، ثم يدعى الإلهية)(١) .

من هذه النقول الذى ذكر نتبين ما يلى :

١ — أن أوصاف هذا الدجال الذى سيكون من علامات القيامة هى كما يلى :

(ا) أنه يهودى .

(ب) أنه أبتر لا ولد له .

(حـ) أن عينه اليمنى عوراء وأنها جاحظة كأنها نخامة وعينه اليمنى متقدة شديدة الاتقاد .

(د) أنه يدعى الإيمان والصلاح ، ثم يدعى النبوة بعد ذلك ، ثم يدعى الألوهية .

(هـ) أنه يسير فى موكب وحوله أتباع وأمامه طلائع يبشرون بمقدمة

(و) أن خروجه سيكون من المشرق حتما لكن الروايات تختلف فى تحديد المكان فتارة تراه « أصبهان » وتارة أخرى تراه « خراسان) .

٢ — أن الله - تعالى - سيجرى على يدى هذا الرجل الذى أوصافه هكذا خوارق العادات من إماته وإحياء ثم عرض صور للجنة والنار .

وقد يعترض على هذه النقول كان يقول :

كيف يجوز أن يجرى الله الآية على يد الكافر ؟ . فإن احياء المرتى آية عظيمة من آيات الأنبياء فكيف ينالها الدجال وهو كذاب مفتر يدعى الربوبية؟

---

(١) التصريح بما تواتر فى نزول المسيح الإمام محمد أنور شاه تحقيق عبد الفتاح أبى غده ص ١٠٣ - ١٠٤ .

ويرد هذا الاعتراض بما ذكره صاحب كتاب فتح البارى من أن هذه الخوارق تكون على سبيل الفتنة للعباد إذ كان عندهم مايدل على أنه مبطل غير محق فى دعواه وهو أنه أعور مكتوب على جبهته : كافر يقرأه كل مسلم فدعواه داحضة مع وصم الكفر ونقص الذات والقدر إذ لو كان إلها لأزال ذلك عن وجهه وآيات الأنبياء سالمة من المعارضة فلا يشتبهان .

وفى الدجال دلالة بينة - لمن عقل - على كذبه لأنه ذو أجزاء مؤلفة وتأثير الصنعة فيه ظاهر من ظهور الآفة به من عور عينه فإذا دعا الناس إلى أنه ربهم فأسوأ حال من يراه من ذوى العقول أن يعلم أنه لم يكن ليسوى خلق غيره ويعدله ويحسنه ولا يدفع منقص عن نفسه فأقل ما يجب يقال له يا من يزعم أنه خالق السماء والأرض . صور نفسك وعدلها وأزل عنها العاهة فإن زعمت أن الرب لايحدث فى نفسه شيئا فأزل ما هو مكتوب بين عينيك .

وقال القاضى عياض فى هذه الأحاديث - يعنى بها الأحاديث التى تثبت أن الله - سبحانه وتعالى - سيجرى خوارق العادات على يدى المسيح الدجال - حجة لأهل السنة فى صحة وجود الدجال وأنه شخص معين يبتلى الله به عباده ويقدره على أشياء كإحياء الميت الذى يقتله وظهور الخصب والأنهار والجنة والنار واتباع كنوز الأرض له فتتبعه وكل ذلك بمشيئة الله - تعالى - ثم يعجزه الله - تعالى - فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره . ثم يبطل أمره ويقتله عيسى بن مريم - عليه السلام .

وقال الشيخ أبو بكر بن العربى . إن كل ما يحدث على يد الدجال من خوارق إنما هو محنة من الله تعالى واختبار ليهلك المرتاب وينجو المتقين وذلك كله أمر مخوف .

ولهذا قال ﷺ : « لا فتنة أعظم من فتنة الدجال » - كما كان يستعيذ

منها فى صلاته تشريعا لأمته . ا هـ (١) .

ومما يدفع هذه الشبهة كذلك مخالفة الدجال للقرآن والسنة فمخالفتها يؤكد أن مايفعله الرجل من باب الاستدراج لامن باب المعجزة ، قال يونس ابن عبد الأعلى الصدفى : قلت للشافعى كان الليث بن سعد يقول : إذا رأيتم الرجل يمشى على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة فقال الشافعى : قصر الليث - رحمه الله - بل إذا رأيتم الرجل يمشى على الماء ويطير فى الهواء فلاتغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة .

٢ — نزول عيسى - عليه السلام .

الشرط الثانى : من أشراط الساعة نزول عيسى - عليه السلام إلى الدنيا عابدا على شريعة محمد ﷺ - شاهدا ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .. فيقتل الدجال ثم يموت بعد استيفاء أجله ثم يدفن فى قبره كبقية المخلوقات

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ - يقول : (والذى نفسى بيده لينزلن عيسى بن مريم إماما مقسطا وحكما عدلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليصلحن ذات البين وليذهبن الشحناء وليعرضن المال فلا تقبله أحد ، ثم لئن قام على قبرى ، وقال : يا محمد لأجيبنه)(٢) .

---

(١) المرجع السابق بتصرف ص ١٠٤/١٠٥ .
(٢) التصريح بما تواتر فى نزول المسيح للإمام محمد أنور شاه تحقيق عبد الفتاح أبى غدة ص ٢٤٤ ، وقد بين واضع الحديث بهامش هذه الصحيفة .

وجاء فى عيسى - عليه السلام - أنه سمع جابر بن عبد الله - يقول : سمعت النبى ﷺ يقول :

(لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريم ، فيقول : أميرهم تعالى هل لنا فيقول : لا إن بعضكم أمراء تكرمة الله هذه الأمة) .

• وجاء فى مسند الإمام أحمد - رضى الله - تعالى عنه - عن أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - عن النبى ﷺ أنه قال :

(الأنبيا إخوة لعلات دينهم واحد وأمهاتهم شتى . وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض(١) سبط كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل بين ممصرتين(٢) فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويعطل الملل حتى يهلك الله فى زمانه الملل كلها غير الاسلام ويهلك الله فى زمانه المسيح الدجال الكذاب وتقع الأمنة فى الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسد جميعاً والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا .

فيمكث ماشاء الله أن يمكث ، ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه(٣) .

---

(١) أى هو معتدل القامة وهو إلى الطول أقرب ولونه أقرب إلى الحمرة والبياض .

(٢) أى يرتدى ثوبين فيهما صفرة حقيقة .

(٣) المرجع السابق ص ١٦

٣ — خروج يأجوج ومأجوج .

وأما يأجوج ومأجوج فهما قبيلتان من ولد يافث بن نوح - عليه السلام ، خلف الحاجز الذى أقامه ذو القرنين بين الجبلين اللذين بالقطب الشمالى .

قال الوألاس :

ذكر بعض أحبار اليهود أن يأجوج ومأجوج فى منتهى الشمال حيث لا يستطيع أحد غيرهم السكنى فيه .

وقصة هذين مذكورة فى القرآن الكريم .

قال تعالى :(حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا . قالوا ياذا القرنين:إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا . قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما . آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا . فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا. قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا)(١) .

فهذه الآيات هى أصدق مرجع فى الحديث عن يأجوج فهى تقول لنا عنهم أنهم قوم ملأوا الأرض جورا وفسادا وتخريبا - فاستعان من لحق بهم فسادهم وتخريبهم بذى القرنين فأقام .

---

(١) سورة الكهف : من إلى ٩٩ .

لهم سداً في مضيق جبلين فكان هذا السد حائلا بين يأجوج ومأجوج وبين هؤلاء الأقوام الذين استعانوا بذي القرنين عليهم .. سيظل هذا السد قائماً فإذا تحطم هذا السد وخرج شعب يأجوج ومأجوج يحملون مع خروجهم الفساد والخراب كان إيذاناً بقرب الساعة وعلامة من علاماتها بقول تعالى : (فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وعد ربي حقا) أي إذا جاء أمر الله بنهاية العالم انزلك السد وسوى بالأرض ليسرح يأجوج ومأجوج كما وردت بذلك أحاديث كثيرة .

وبعد ورود الأحاديث وأخبار القرآن عن يأجوج ومأجوج وإن بيننا وبينهم سداً وحاجزاً لا يزول إلا إذا تحقق وعد الله لايسوغ لعاقل أن يشك في أمرهم ومايدعيه بعض الناس من أن كثيراً من المستكشفين طافوا حول الأرض ولم يتركوا بقعة من البراري والبحار والجبال إلا وصلوا إليها ومع ذلك لم يروا ذلك السد ولامن خلفه ولايقدح فيما سمعته لأن العقل يجوز أن يكون على ظهر الأرض مالم يره أحد إلى الآن وعدم وجدان السائحين لايستلزم عدم الوجود ولا مانع من أن يكون ذلك السد بسبب تقادم الزمان قد تراكمت عليه الأتربة وتجمدت واستحجرت حتى صارت مع الجبلين سلسلة من الجبال .

وبالجملة فبعد ورود الكتاب وأخبار الصادق المعصوم من الكذب لامعنى لهذا التشكيك ولا يصح الاصغاء إليها .

٤ - خروج الدابة .

وأما خروج الدابة فقد دل عليه القرآن الكريم قال تعالى :
- (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لايرقنون)(١) .

---
(١) النمل : ٨٢

فمعنى هذه الآية أنه إذا دنا مجيء الساعة أخرج الله تعالى - للناس دابة عظيمة ذات قوائم ليست من نوع الإنسان أصلا يخرجها الله - تعالى - آخر الزمان من الأرض تكلم الكفرة المنكرين للبعث بأنهم كانوا لا يوقنون بآيات الله الناطقة بمجيء الساعة .

قال ابن كثير عند تعرض لشرح هذه الآية (هذه الدابة تخرج فى آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق يخرج الله لهم دابة من الأرض فتكلم الناس على ذلك(١) .

وقال القرطبي فى تذكرته :

قال بعض العلماء : قد جاء فى الروايات إذا خرج يأجوج ومأجوج وقتلهم الله النغف فى أعناقهم وقبض الله - تعالى نبيه عيسى عليه السلام وخلت الأرض منهم وتطاولت الأيام على الناس وذهب معظم دين الله . أخذ الناس فى الرجوع إلى عاداتهم وأحدثوا الأحداث من الكفر والفسوق كما أحدثوه بعد كل قائم نصبه الله - تعالى - بينه وبينهم حجة عليهم ثم قبضه فيخرج الله تعالى لهم دابة من الأرض فتميز المؤمن من الكافر ليرتدع بذلك الكفار عن كفرهم والفساق عن فسقهم ويستبصروا ويرجعوا عما هم فيه من الفسوق والعصيان ثم تغيب الدابة عنهم ويمهلون فإذا أصروا على طغيانهم طلعت الشمس من مغربها ولم يقبل بعد ذلك من كافر ولا فاسق توبة وأزيل الخطاب والتكليف عنهم ثم كان قيام الساعة على أثر ذلك قريبا لأن الله - تعالى يقول : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)(٢) ، فإذا قطع ، قطع عنهم التعبد لم يقرهم بعد ذلك فى الأرض

---

(١) تفسير ابن كثير ص ٢٧٤ ص ٣

(٢) الذاريات : ٥٦

وقال البعض : إن طلوع الشمس من مغربها يكون قبل خروج الدابة ثم بين الحكمة فى ذلك أنه عند طلوع الشمس من مغربها يغلق باب التوبة فتخرج الدابة لتميز المؤمن والكافر تكميلا للمقصود من اغلاق باب التوبة .

إذن فى المسألة رأيان :

١ — رأى يرى أن طلوع الشمس من مغربها يكون بعد خروج الدابة.

٢ — والرأى الثانى يرى ن أطلوع الشمس من مغربها يكون قبل خروج الدابة ولكل حجته التى وضحتها سلفاً .

٥ — طلوع الشمس من مغربها .

وأما طلوع الشمس من مغربها فقد جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال :

(لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون فيومئذ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً) .

وقال تعالى :

(يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً) .

أى يوم يأتى بعض آيات ربك الموجبة للإيمان لإضطرارى لا ينفع نفساً لم تكن آمنت من قبل إيمانها بعد ذلك فى اليوم ولا نفساً لم تكن كسبت فى إيمانها خيراً وعملا صالحا ماعساها تكسب من خير لبطلان التكليف الذى يترتب عليه ثواب الإيمان والعمل الصالح بأن التكليف مبنى على ماوهب الله المكلف من الإراده والاختيار بالتمكن من الإيمان والكفر

والخير والشر . والثواب والعقاب مبنى على هذا التكليف ، وقد وردت أحاديث كثيرة منها ذلك الحديث السابق تفيد أن هذه الآية التى أبهمت هى طلوع الشمس من مغربها قبل الساعة وليس بمستحيل على قدرة سبحانه وتعالى التى جعلت طلوع الشمس وغروبها على الحالة التى تشاهدها أن تتعلق بتغير مجرى الشمس وجعل طلوعها من المغرب بدل المشرق وقد ورد أنه بعد ذلك تخرج نار من جهة عدن تسوق الناس إلى المحشر فتنتهى الحياة وينتقل الناس إلى الدار الآخرة(١) .

---

(١) القول السديد فى علم التوحيد للشيخ محمد أبى دقيقة ص ٢٠٩ :

المعـاد

. — تعريفه :

. — مذاهب العلماء فى الجسم المعاد .

أولا — تعريفـه . . .

للعلماء فى تعريف المعـاد مذاهب . .

(ا) مذهب جمهور المتكلمين . .

هو الرجوع إلى الوجود بعـد الفناء .. فالمعـاد عندهم جسمانى ، والروح مادة .

(ب) مذهب الفلاسفة ..

هو عود الأرواح إلى ما كانت عليه من التجود وعدم التعلق البدن .. فالمعـاد عندهم روحانى ..

(حـ) مذهب المحققين من العلماء والصوفية والمعتزلة .

هو رجوع البدن إلى الاجتماع بعد التفرق ورجوع الأرواح إلى الأبدان . . فالمعاد عندهم جسمانى وروحانى والروح عندهم جوهر مجرد وعلى أن الجسم يعاد بعد تفرق أجزائه لا بعد انعدامه .

مذاهب العلماء فى الجسم المعاد وكيفية الإعادة :

اختلف العلماء فى الجسم المعاد إلى فرقتين :

(ا) الفرقة الأولى : تقول إن الجسم المعاد هو الجسم الأول الذى كان

فى الدنيا .. بعينه لا مثله وإلا لزم أن يكون المثاب والمعاقب غير الجسم الذى أطاع أو عصى وهو باطل إجماعا .

(ب) .. الفرقة الثانية تقول : إن الجسم المعاد هو غير الجسم الأول الذى كان فى الدنيا .. وهو رأى مرجوح بل باطل .

وأما عن كيفية الإعادة فإن العلماء الذين قالوا بأن الجسم المعاد هو الجسم الأول بعينه اختلفوا على أنفسهم وافترقوا إلى فرقتين :

١ – أن تكون الاعادة بعد العدم المحض أى خلوص العدم من شائبة الوجود فيصير الجسم معدوماً بالكلية ثم يعيده الله ثانية كما أوجده أولا .. قال تعالى (كما بدأكم تعودون) وهذا هو الرأى الأصح .

٢ – أن تكون الاعادة عن التفريق المحض أى الخلوص من شائبة الاتصال فى أجزائه .

فأصحاب هذا القول يرون أن الله سبحانه وتعالى : يفرق أجزاء الجسم بحيث لا يبقى منه جوهران فردان على الاتصال .. فليس المراد لتفريق العرفى ، أى الصادق باتصال لبعض أجزائه استناداً لقوله تعالى « فخذ أربعة من الطير فصرهن(١) إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً(٢) ثم ادعهن يأتينك سعياً»(٣) .

ويخرج عن هذا الخلاف من لا تأكل الأرض أجسامهم كالأنبياء ومن

---

(١) فصرهن إليك .. أى أملهن واضممهن إليك .
(٢) أى ثم جزءهن واجعل على كل جبل منهن جزءاً .
(٣) البقرة : ٢٦٠ .

لحق بهم كالشهداء والمؤذنين احتسابا والعلماء العاملين وحملة القرآن الملازمين لتلاوته العاملين بما فيه .. فهؤلاء جميعاً خارجون عن دائرة الخلاف حيث أن أجسامهم لا تبلى .

ومن هذا يتضح لنا أن الخلاف هنا في كيفية الإعادة فقط وهل تكون عن عدم أو عن تفريق ، أما المعاد ذاته فهو حق واقع لا محالة فمن أنكره يكون كافراً .

البعث

- تقديم
- تعريف البعث
- الدليل عليه

تقديم :

لقد اطمأن الإنسان منذ وجد إلى حقيقة لا جدال فيها وهى أن فى الجسد روحا تبقى بعد حال الموت التى تنال الجسد .

ولقد اقتنع العقل منذ آماد طويلة أن البعث حق وأن قيامة الناس من قبورهم أمر لا مفر منه غاية ما هنالك أن اعتقادهم هذا كان شأنها فكانت السماء تصحح لهم أفهامهم وأخطاءهم .

ففى مصر القديمة وفى غابر الزمن اعتقد فراعنة النيل أن هناك بعثا لكنهم صوروه بصورة ساذجة أملتها عقلية ساذجة بعيدة عن هدى السماء :

فالحياة الآخرة مثلا ليست البشرية كلها ولكنها للأخيار وحدهم ، أما الأشرار فيتركون حيث هم فى قبورهم يجوعون ويظمأون ويطعمون التماسيح البشعة ولا يخرجون من قبورهم أبداً .

كما أن الإله أوزيس هو الذى يزن أعمال الموتى هو ومعاونوه الذى يبلغ عددهم اثنين وأربعين قاضيا .

كما أنه ليس بالأعمال الصالحة وحدها يكون الإنسان خيرا بل لقد ألقى الكهنة فى قلوب الناس أن هناك طرقا ماهرة يمكن أن تكون طريقا إلى

الخلاص ففتحوا ـ بذلك ـ للناس أبواب النجاة فى الآخرة بغير عمل متى أرضوا الكهنة واشتروا « كتاب الموت »(١) .

ونشأ من هذه العقيدة الساذجة أنهم كانوا يهيئون القبر بما يحتاجون من طعام وشراب وخدم .

وبناء على ماثبت من أمر هذه العقيدة فقد قال بعض الباحثين إن المصريين هم أول من عرف عقيدة الحياة الأخرى أوهم على الأقل أول من بنى مبادىء السلوك الإنسانى عليها .

ويمكن أن نلخص هذه العقيدة فى نقاط .

(١) اعتقدوا ـ فى الآخرة ـ أنها الحياة الباقية بعد تلك الحياة الثانية ـ ولقد قام هذا المعتقد عندهم على أساسين .

١ — أن الدنيا معترك يتنازع فيه الخير والشر فلو لم يكن هناك يوم للحساب والجزاء ما استقام عدل . أوزيس على الأرض .

٢ — أن النفس تنفصل عن الجسد وإن كانت تحل فيه ومن حيث أن لها صلة بالآلهة من حيث أنها خالده . فإنها تظل تردد على الإنسان فى قبره حتى يجتاز فترة الحساب .

---

(١) وكان هذا أشبه « بصكوك الغفران التى كان يقدمها « البابوات » الآثمين فى العصور الوسطى فى كنائس أوربا حيث كانوا يبيعون الناس رحمات السماء : وكتاب الموت هذا هو عبارة عن قراطيس أودع فيها الكهنة أدعية وصلوات وتعاويذ من شأنها أن تخدع الإله أوزيس وأن تهدى المغضوب عليه فهو دفاع بارع يلقيه الميت فى ساحة القضاء فيكسب القضية ويكون فى فردوس السماء .

(ب) إعتقدوا أن النفس لا تعيش إلا إذا كان الجسم صالحا لعودة الروح إليه بعد أن تفارقه بالموت .. وبذلك بذلوا جهدهم فى سبيل المحافظة على الجسم وقاموا بتحنيطه وبناء الأهرام ووضع طعام الموتى فى قبورهم . كما اجتهدوا فى إقامة تماثيل للموتى تشبه أجسامهم .

(ج) كانوا يعتقدون أن الأرواح فى العالم الأخروى تحتاج إلى ما لا تحتاج إليه فى دنياها .

(د) إعتقدوا فى الحساب وأنه سيكون أمام محكمة تتألف من اثنين وأربعين قاضيا رأسها أوزوريس نفسه والمحكمة تسأل الشخص عما قدم فى دنياه .

(هـ) إعتقدوا فى وجود الصراط وقرروا أنه إذا انتهى الحساب يمر المحاسب من على الصراط الممدود فوق جهنم فإذا إجتازه الشخص نجا وارتقى إلى مرتبة الآلهة وإذا سقط من فوقه إنتهى إلى واد فيه الأفاعى والحيات التى تتولى عقابه بقسوة حتى ينال الجزاء الأوفى .

(و) آمنوا بالثواب والعقاب الأخرويين .

فإذا ما تركنا مصر وفراعنتها إلى بلاد فارس ومزاربتها . فإننا سنرى أن البلاد الفارسية كانت مسرحا لكثير من الديانات شأنها شأن الأمم الكثيرة التى ساهمت فى بناء اللبنات الأولى للحضارة الإنسانية كالهند ومصر واليونان وبابل وآشور (١) وغيرها .

ولما كانت « الزرادشتية » من أهم الديانات التى تأثر بها الفرس بعد أن إستطاع زرادشت مؤسس هـــذه الديانة والتى سميت باسمه أن يقيم فى

(١) من كتاب قضية الألوهية للأستاذ عبد الكريم الخطيب ص ١٣٠ ج ٢ بتصرف .

بلاد الفرس عقيدة راسخة ظلت صاحبة القدح المعلى حتى جاء الإسلام فمحا شعاعها الضئيل بنوره الساطع .

وأساس عقيدة هذه الديانة فى اليوم الآخر تقوم على ما قامت عليه العقيدة المصرية من أن البعث للأخيار وحدهم . ذلك أن لكل إنسان رسالته فى هذه الحياة فمن أداها على خير ما يرجى منه ومنها ارتفعت به إلى مقام الملائكة الأطهار فى ملئهم العلوى وظلت قائمـــة فى حياة ثانية تنعم فيها بصنوف النعيم أما إذا قصر فى أداء واجبه فإنه يبقى فى عالم الظلام حيث تنتهى حياته بموته :

ولعل الذى دفع هذه العقيدة إلى الدعوة الملحة إلى الخير معتقدها فى أن هناك صراعا مريراً بين الخير والشر . وأن « أهور مزدا » يمثل الجانب الخير بينما يمثل « أهرمان » الجانب الشرير » وأن مدة هذا الصراع هى عمر الإنسان على الأرض (إثنا عشر ألف عام) وأن الحرب سجالا بين المتقاتلين وأن الإنسان الخير بخيره هذا يساعد : أهور مزدا » ويوازره فينتصر على أهرمان حيث أن الأعمال الصالحة هى أسلحة الحرب ضد الشر وضد الظلام ولابد فهؤلاء الذين نصروا « أهور مزدا » - الذى سينتصر فى النهاية - من أن يخلدوا فى الجنة يتلذذون فيها بصنوف النعيم . على أن يعاقب الأشرار الذين آزروا بصنيعهم الباطل أهرمان فى حربة « لأهور مزدا » بالفناء والعذاب .

وجاء بعد زرادشت مانى فألبس هذه العقيدة ثوباً جديداً لكنه لا يبعد كثيراً فى شكله وتكوينه عن ما جاء به زرادشت .

ونكتفى بهذين النموذجين . اللذين أقمناهما كدليل على صدق ما نحونا إليه من أن البعث حق اقتنع به العقل الإنسانى منذ آماد موغلة فى القدم وترك

لمزيد المزيد من معرفة عقائد الأمم فى البعث أن يقوم بجولة فكرية فى بلاد الصين والهند وبابل وأشور وغيرها .

وليس معنى هذا الذى ذكرت أن الضمير الإنسانى لم يتعثر فى مسيره قط فى هذه القضية التى نحن بصددها . وأن الدنيا خلت من هذه الأصوات النابية التى أنكرت البعث وتنكرت للداعية إليه المعتقد فى وجوب وجوده . . فإن القرآن الكريم يحدثنا عن وجود فئات من البشر أنكروا البعث فى كل عصر ومصر ، وقالوا لرسل الله حينما جاءوهم به (أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجيع بعيد)(١) . كما قال بعضهم للرسل حين جاءهم به : « أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون وهيات هيات لما توعدون(٢) .

ولقد وقف كثير من الحكماء والفلاسفة بالحياة الإنسانية عند هذه الحياة الدنيا وسووا حسابهم على هذا التقدير فلم يروا بعد الموت حياة ولم يعتقدوا حسابا ولم يطمعوا فى جنة أو نار ، وكان أبيقور واحدا من هؤلاء الفلاسفة . وكان يعتقد أن لا جزاء ولا حياة بعد هذه الحياة ، وأن الإنسان كالحيوان يدور دورته فى الحياة ، ثم يطوى فى تلافيف العدم ، وكان يقول :

« لا يصح أن نفكر فى آخرة : وهذا يجعلنا أسياداً ويحررنا من الخوف وليس الموت شرا لأنا إذا متنا فلا نكون وإذ كنا فلاموت ، ثم يقول :

والحالات التى ترد على الأنفس فى هذا العالم كلها من تلقائها على قدر حركاتها وأفاعيلها فإن فعلت خيرا وحسنا يرد عليها سروراً وفرحا ، وإن فعلت شرا وقبيحا يرد عليها حزنا وترحا .

---

(١) سورة ق رقم ٣ .

(٢) سورة المؤمنين رقم ٣٥ - ٣٦ .

وهكذا الفلسفات المادية فى جميع العصور . فإنها قائمة على ألا حياة وراء هذه الحياة الدنيا . وأن هذه الحياة تعطى الناس بقدر ما تأخذ منهم وأن أعمالهم نفسها تحمل فى طبيعتها الجزاء المناسب فالعمل الطيب يعقبه الرضا والسرور والعمل الخبيث يسلم إلى الحزن والألم .

ولقد تكفل القرآن الكريم بالرد على هؤلاء وأفحمهم وأقام العديد من الأدلة التى تملى قدرة الله على البعث والثواب والعقاب وتقرر وقوعها فى يوم ليس كأيام هذه الحياة على أن هذه الفئة الضئيلة التى أنكرته لا تعارض ماذهب إليه من أن الناس خلقوا وفى كيانهم إيمان عميق بالبعث والحياة الآخرة غاية ماهنالك أنها كانت فكرة شوهاء فهذه كانت تصححها لهم السماء على أيدى رسلها وتثبتها لهم .

وبعد هذا العرض لمسيرة البعث فى بعض الديانات الوضعية فما هو البعث فى العقيدة الإسلامية وما هو الدليل عليه .

تعريف البعث :

هو إحياء الله الموتى وأخراجهم من قبورهم بعد جمع أجزائهم الأصلية والأجزاء الأصلية ، هى التى من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره ولو قطعت قبل موته .

والأجزاء غير الأصلية هى التى ليس من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره كالظفر مثلا فإنه لايجمع .

الدليل على البعث .

أقام الباحثون على البعث أدلة عدة عقلية وأدلة عدة نقلية نذكر منها .

الدليل العقلي :

لو كان وجود المعدوم ثانية ممتنعا لما وجد أولا لكن عدم وجوده أولا باطل بدليل مشاهدته فيثبت إذن أن وجوده ثانية ليس ممتنعا .

كما أن الإعادة أهون من البدء فهي ممكنة عقلا .. قال تعالى : (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) .. وإن كانت قدرته لا يصعب أمامها شيء .

الدليل النقلي :

لقد أقام القرآن الكريم أدلة عدة على البعث فماذا قال القرآن الكريم عن البعث ؟ .

١ — أدلة القرآن الكريم على البعث :

لقد التقى القرآن الكريم بكثير من المنكرين للبعث في مواقف متعددة وأبطل دعوتهم على استحالته .

فهذا الفريق من الناس ينكر البعث ويتنكر له لأن عقله يقصر عن إدراك قيامة هذا الهيكل الإنساني ولبسه ثوب الحياة بعد أن تأكله الأرض وتهضمه (أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد)(١) .

ولقد رد القرآن على هؤلاء الذين ينكرون عودة الأجسام بعد تحللها ترابا .. بأصل خلقتها .. ويقول الإنسان : أإذا مامت لسوف أخرج

---

(١) ق ٣ .

حيا أو لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا »(١) .

لقد عجز العقل الإنسانى الأبله عن اتخاذه من هذه الصورة — التى يتقلب فيها الإنسان نطفة فعلقه فمضغة حتى يصير إنسانا عاقلا إشارة إلى قدرة الصانع على إعادة تكوين من كون . ثم تحلل .

وهذا شارد اللب من هذا الفريق المنكر يذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده عظم إنسان ميت قد رم وبلى ويقول : يا محمد .. أترى أن الله يحى هذا بعد أن رم وبلى .. فيقول له الرسول ﷺ : «نعم ويبعثك ويدخلك النار » .

ثم تنزل آيات القرآن هادرة زائرة تنبه هذا الغافل بحججها الدامغة تحطم ما خاله مدعما لوجهة نظره الرائفة فتقول : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه . . قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون»(٢) .

ثم أكد لهم قدرته على إعادة الأجساد بعد تحللها حتى لو تحللت إلى غير التراب والعظام اللذين فيهما معنى ما تحولت إليه الأجساد .. فلو تحولت هذه الأجساد إلى حديد ، أو حجارة فإن يد القدر القادرة تستطيع إعادة الحياة إليها من جديد .. لأن خلق الشىء من الشىء مهما كان التباعد بينهما أقرب من خلقه من لا شىء « وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا . قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون

---

(١) مريم : ٦٦ - ٦٧

(٢) يس الآيات ٧٨ - ٧٩ ولا حاجة بنا إلى عرض هذه الآيات حتى لا يطول المقام .

من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً) (١) .

ثم يؤكد للإنسان المنكر بعثه من التراب بأنه خلق أولا من هذا العنصر الذى ينكر اليوم فى إلحاح خلقه منه مرة ثانية متى تحلل إليه .

لقد كان ترابا فصار إنساناً ثم عاد إلى التراب فما الذى يمنع من أن يصير إنساناً مرة أخرى ..

(يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق . . وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) (٢) .

وفى الآية دعامتان قويتان من الدعائم التى أقيم عليها معتقد البعث عند المسلمين .. الدعامة الأولى أن الإنسان خلق من التراب الذى ينكر الآن إعادة خلقه منه بعد أن يتحلل إليه .

ولقد دار التراب فى دورات الخلق والتكوين وتقلب فى أطوارها ترابا ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة . ثم جنينا ثم طفلا ثم تدرج فى مدارج الحياة من طفولة إلى شيخوخة فما الذى يعوق الذى صنع من التراب أولا أن يعيد الصنعة ثانيا .

---

(١) الاسراء رقم ٤٩ - ٥٠ - ٥١ (٢) الحج ٥ - ٧٦

والدعامة الثانية أن هذه الأرض الهامدة والتى لا حياة فيها ولا زرع يساق إليها الماء ويصيبها فإذا أجنتها تخرج من كل فج فيها ولقد ذكرت سورة البقرة وحدها لليهود فقط من الأدلة على البعث مالا نرى بأسا من الاستطراد بذكره .

ولم يكن موقف القرآن منهم موقف المنشىء للعقيدة ولكن موقف المذكر بهذا التراث السماوى التى أنستهم إياه ماديتهم الجارفة .. فلما تنكر اليهود بيثرب للبعث ذكرهم القرآن الكريم . وضرب لهم أمثلة مما هو معلوم لديهم ومتداول فى أفكارهم .

(٢) قصة العزير :

وهذه الواقعة ذكرها القرآن كما ذكرتها الكتب المقدسة وهى تصور الحياة بعد الموت الطويل .

يقول القرآن الكريم بشأنها :

(أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها .. قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما . . فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير) (١) .

يختلف الباحثون فى ذلك الرجل الذى مر على القرية إلى أقوال أصحها أنه العزير . . . فيروى الإمام الرازى عن ابن عباس رضى الله عنهما . . فى سبب نزول هذه الآية أن بختنصر غزا بنى إسرائيل فسبى منهم الكثير

(١) البقرة ص ٣٥٩ .

ومنهم عزيز وكان من علمائهم فجاء بهم إلى بابل فدخل عزيز يوما تلك القرية ونزل تحت شجرة وهو على حمار فربط حماره وطاف فى القريه فلم يرفيها أحداً فعجب من ذلك وقال (أنى يحيى هذه الله بعدموتها) لا على سبيل الشك فى القدرة بل على سبيل الاستبعاد بسبب العادة وكانت الأشجار مثمرة . فتناول من الفاكهة التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فأماته الله - تعالى - فى منامه مائة عام وهو شاب ثم أعمى عن موته أيضاً الإنس والسباع والطير ثم أحياه الله تعالى . بعد المائة ونودى من السماء ياعزيز كم لبثت بعد الموت فقال يوما فأبصر من الشمس بقية فقال أو بعض يوم فقال الله تعالى بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتغير طعمهما فنظر فاذا التين والعنب كما شاهدهما ثم قال وانظر إلى حمارك فنظر فإذا هو عظام بيض تلوح وقد تفرقت أوصاله وسمع صوتا أيتها العظام البالية إنى جاعل فيك روحا فانضمت أجزاء العظام بعضها إلى بعض ثم التصق كل عضو بما يليق به الضلع إلى الضلع والذراع إلى مكانه ثم جاء الرأس إلى مكانه ثم العصب والعروق ثم أنبتت طراه اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فإذا هو قائم ينهق فخر عزيز ساجداً .

وقال أعلم أن الله على كل شيء قدير ثم أنه دخل بيت المقدس فقال القوم حدثنا آباؤنا أن عزيز بن شرخياه مات ببابل وقد كان بختنصر قتل ببيت المقدس أربعين ألفا ممن قرأ التوراة .

وكان فيهم عزيزاً والقوم ما عرفوا أنه يقرأ التوراة فلما أتاهم بعد مائة عام جدد لهم التوراة وأملاها عليهم عن ظهر قلبه لم يخرم منها حرف وكانت التوراة قد دفنت فى موضع فأخرجت وعورضت بما أملاه

فما اختلفا فى حرف فعند ذلك قالوا عزير ابن الله وهذه الرواية مشهورة فيما بين الناس(١) .

وقد ذكرت هذه الواقعة فى تفاسير عديدة كما ذكرها صاحب البداية والنهاية بصورة تثير الشكوك حول صحتها .

هذه الواقعة تصور حياة بعد موت طويل ، امتد إلى مائة عام ليس لنوع واحد من المخلوقات عدة لكنه لإنسان وحيوان وجماد وشراب .

ولقد حفظت قدرة السماء هذه الفئات من البلى ثم أعادت الحياة إلى إنسان فقد حياته بعد مائة عام .

وفى هذا دليل قاطع على أن الموت لو امتد بالعزير بدل المائة ألفا لما تغير الوضع وكذلك لو امتد هذه المائة لما لانهاية له من الدهور لكانت النتيجة واحدة . إذا كان الواقع أن جسد الإنسان يتحلل بعد أيام من موته . وفى نظرى : أن الباحثين غفلوا عن ذكر الغاية التى من أجلها تحدث القرآن عن العزير وإحيائه بعد موته والذى أراه أن ذلك كان للرد على اليهود الذين أنكروا الثواب والعقاب الآخرين والرجعة بعد الموت

---

(١) مفاتيح الغيب للامام الرازى ص ٣٢٩ ج ٢ هذا هناك روايات أخرى ترى أن هذا المار هو أرميا .. وبعضهم يراه رجلا غير معروف النسب : ويختلفون فيه : أهو نبى .. أم رجل مؤمن فقط ، أم كافر .. ويختلفون فى هذه القرية التى مر بها .. وقيل هى التى خرج منها الألوف الذين قال لهم الله موتوا ثم أحياهم ، وقيل هى دير سابر أباد ، وقيل دير هرقل وقيل المؤتفكة وقيل قرية العنب وهى على فرسخين من بيت المقدس وقال بعضهم هى بيت المقدس بعد أن خربها بختنصر . ولا داعى لإطالة البحث بذكره فليرجع طالب المزيد إلى كتب التفاسير عند شرح الآية .

فهذا تذكير لهم بمن يعرفون حياته بينهم ليكون ذلك مثلا واضحا على أن الأموات إذا بعثوا من قبورهم بعد مئات السنين لم يكن بعثهم أبعد من ذلك ولا أغرب منه .

٣ — الذين قال لهم الله موتوا ثم أحياهم .

وهذه ثانية ذكر بها القرآن الكريم بنى إسرائيل ماأنستهم إياه حياتهم المادية المستحكمة فغابت عن ذاكرتهم — تحت وطأتها ما جاءت به رسالة موسى إليهم من بعث وثواب وعقاب فى يوم آخر يقومون فيه من قبورهم للحساب والجزاء .

فنصب لهم دليلا بما هو معلوم لديهم من أمر هذا الجمع الحاشد من آبائهم الذين خرجوا من ديارهم فرارا بحياتهم فما خالوه سببا لموتهم فأماتهم الله ثم أحياهم ليبين لهم أن الهرب ليس طريق النجاة .

قال تعالى :

« ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله : موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون .

ويختلف الباحثون فى معنى الموت والحياة فى الآية الكريمة . وهل هما على حقيقتهما أم على المجاز بالمعنى الثانى يقول صاحب تفسير المنار وعليه فإن الآية لاتصلح للاستشهاد عندنا .

وعرض ماذهب إليه صاحب تفسير المنار . هو أن ماذكره المفسرون

---

(١) البقرة رقم

من أسباب نزول هذه الآية ضرب من الاسرائيليات التي ينبغي أن تنق كتب التفاسير منها ثم يبين وجهة نظره في الآية فيقول .

والكلام في القوم لا في افراد لهم خصوصية لأن المراد بيان سنته تعالى في الأمم التي تجبن فلا تدافع العاذين عليها ومعنى حياة الأمم وموتها في عرف الناس جميعهم معروف . فمعنى موت اولئك القوم هو أن العدو نكل بهم فافنى قوتهم وأزال استقلال أمتهم حتى صارت لا تعد أمة بأن تفرق شملها وذهبت جامعتها ، مكان من بقي من أفرادها خاضعين للغالبين . . ضائعين فيهم مدغمين في غمارهم لا وجود لهم في أنفسهم وإنما وجودهم تابع لوجود غيرهم . .

ومعنى حياتهم هو عودة الإستقلال إليهم ذلك أن رحمة الله في البلاء يصيب الناس أن يكون تأديباً لهم ومطهراً لنفوسهم مما عرض لها من دنس الأخلاق الذميمة »(١) .

ثم يستشهد على ما ذهب إليه بقول علي - كرم الله وجهه - .

« إن بقية السيف هي البقية الباقية التي يحيا بها أولئك الميتون » (٢) .

ثم يقول « فالموت والحياة واقعان على القوم في مجموعهم » (٣) .

ثم يستأنس لرأيه هذا فيقول «

« على ماعهدنا في أسلوب القرآن إذا خاطب بني إسرائيل في زمن تنزيله

---

(١) تفسير المنار ص ٤٥٨ ج ٢ .

(٢) تفسير المنار ص ٤٥٩ ج ٢ .

(٣) تفسير المنار ٤٥٩ ج ٢ .

بما كان من آبائهم الأولين بمثل قوله « أنجيناكم من آل فرعون » ، وقوله « ثم بعثناكم من بعد موتكم » (١) .

ثم يقول . . .

« وإطلاق الحياة على الحياة المعنوية والشريفة فى الأشخاص والأمم والموت على مقابلها معهود كقوله تعالى ، « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » (٢) .

وقوله « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج (٣) منها » (٤) .

إلى المعنى الأول ذهب جمهور المفسرين ، فقالوا إن الموت والحياة فى الآية يراد بهما معناهما الحقيقيان .

ثم عزوا سبب نزول هذه الآية إلى واحد من أسباب ثلاثة ذكروها وكلها لا تخرج عن موطن استدلالها .

السبب الأول هو . . « ماذكره الفخر الرازى عن السدى من أن قرية وقع فيها الطاعون وهرب عامة أهلها والذين بقوا مات أكثرهم وبقى قوم منهم فى المرض والبلاء ثم بعد ارتفاع المرض والطاعون رجع الذين هربوا سالمين ، فقال من بقى من المرض هؤلاء أحرص منا لو صنعنا ما صنعوا لنجونا من الأمراض والآفات ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجنا

(١) سورة البقرة - رقم ٤٩ .
(٢) سورة الأنفال - رقم - ٢٤ .
(٣) سورة الأنعام - رقم - ١٢٢ .
(٤) تفسير [illegible]

في قعر وهو بضعة وثلاثون ألفا ، فلما خرجوا من ذلك الوادي ناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه أن موتوا فهلكوا وبليت أجسامهم فمر بهم نبي يقال له حزقيل(١) .

فلما رآهم وقف عليهم وتفكر فيهم فأوحى الله تعالى إليه : أتريد أن أريك كيف أحييهم فقال : نعم ، فنادى أيتها العظام إن الله يأمرك أن تتجمعي فجعلت العظام تطير بعضها إلى بعض حتى تمت العظام ، ثم أوحى الله إليه ناد يا أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحما ودما ، فصارت لحما ودما ثم قيل ناد إن الله يأمرك أن تقوى فقامت فلما صاروا أحياء قاموا وكانوا يقولون سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت ، ثم رجعوا إلى قريتهم بعد حياتهم وكانت أمارات أنهم ماتوا ظاهرة في وجوههم ثم بقوا إلى أن ماتوا بعد ذلك بحسب آجالهم(٢) .

السبب الثاني : أن ملكا من ملوك بني إسرائيل استنفر عسكره للقتال فأبوا محتجين أن الأرض التي دعوا للقتال فيها موبوءة فأماتهم الله ثمانية أيام حتى انتفخوا وعجز بنو إسرائيل عن دفنهم فأحياهم الله وبقي فيهم شيء من ذلك النتن .

السبب الثالث : أن حزقيل وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل(٣) دعى قومه إلى الجهاد فجبنوا عن دعوته وخافوا الموت فأرسل الله عليهم الموت

---

(١) وهذا يدل على أن القوم كانوا من بني إسرائيل حيث كان حزقيل نبي فيهم ولهم ومن هنا فإن الحادثة تكن إشارة واضحة لردع بني إسرائيل عن انكارهم البعث وما بعده . (٢) الفخر الرازي ص ٩٧ جـ ٢ بتصرف

(٣) وله سفر معروف بإسمه في العهد القديم وبعض الباحثين يسمونه حزقيال لا حزقيل .

فلما كثر خرجوا من ديارهم فارين منه فلما رأى حزقيل ذلك قال اللهم إله يعقوب وإله موسى ترى معصية عبادك فأرهم آية فى أنفسهم تدلهم على نفاذ قدرتك وأنهم لا يخرجون عن قبضتك فأرسل الله عليهم الموت ثم أنه عليه السلام ضاق صدره لسبب موتهم فدعا مرة أخرى فأحياهم الله تعالى .

وهذا المعنى الذى ذهب اليه الجمهور هو الذى نستريح إليه ومن هنا جعلت الآية موطن استشهادنا موطنا من مواطن الاستدلال على نسيان اليهود للبعث وسوق القرآن لهم أحداث وقعت لأجدادهم وآبائهم الأول لتكون دليلا على مايدعوهم اليه . . والذى رجح الينا هذا المعنى الذى ذهب اليه الجمهور . . هو أن الآية صدرت بالرؤيا التى تدل على تحقق العلم بالشىء . . وأنه لا يوجد مايدعو إلى صرف اللفظ عن معناه المراد منه . هذا ولا حاجة بنا إلى المزيد فى شرح هذه الآية .

٤ — سؤال إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى .

إبراهيم عليه السلام - هو جد الأنبياء واليهود يجعلونه لهم وحدهم - على ماسنوضح ذلك - فإذا ما رأى هذا المحبب لديهم ولدينا - رؤيا أو أنبأ عن عقيدة جاء بها من عند ربه فهى مقدسة واجبة الاعتقاد لديهم . . ومن هنا فقد ذكرهم القرآن الكريم . . بهذه الواقعة التى أراد بها أبو الأنبياء أن يذيع فى الناس نبأ عقيدة البعث مدعما بالدليل .

ولقد ذكر القرآن الكريم اليهود بهذه الحادثة لتكون بمثابة دافع لهم إلى العودة إلى العقيدة الحقة التى تنزلت بها دعوات السماء . . وهذا واحد يعلمون صباح مساء طاعتهم لدينه وتقديرهم له ولما جاء به تؤكد له هذه العقيدة بمشهد عملى . ليؤكد للدنيا حقيقة البعث بما لا يدع مراء أو جدال يقول الله تعالى :

« وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن . . قال

بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم أجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم أدعهن يأتينك سعيا وأعلم أن الله عزيز حكيم»(١).

ولقد حاول المفسرون أن يلتمسوا لهذا السؤال سبباً فذكروا أسبابا عدة أوصلها الإمام الرازى إلى إثنى عشر سبباً لم يرد فى واحد منها نقل بل كلها إلى اجتهاده ولها وجاهتها سأقتصر منهـــا على ذكر سببين أرى أنهما أوجه ما ذكر.

الأول: ما ذكره نقلا عن الحسن والضحاك وقتادة وعطاء وابن جريح أنه رأى جيفة مطروحة فى وسط البحر فإذا مد البحر أكل منها دواب البحر وإذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت وإذا ذهبت السباع جاءت الطيور فأكلت وطارت قال إبراهيم رب أرنى كيف تجمع أجزاء الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر فقيل أو لم تؤمن قال بلى ولكن المطلوب من السؤال أن يصير العلم بالسؤال ضروريا.

الثاني – قال محمد بن أسحق والقاضى سبب السؤال أنه مع مناظرته مع النمرود لما قال ربى الذى يحيى ويميت قال أنه أحى وأميت فأطلق محبوساً وقتلا بريئاً فقال إبراهيم ليس هذا بإحياء وإماتة .. وعند ذلك قال رب أرنى كيف تحيى المـــوتى لتنكشف هذه المسألة عند النمروز واتباعه»(١).

وقد يتبادر إلى بعض الأذهان أن إبراهيم عليه السلام فى قضية البعث

---

(١) الفخر الرازى ص ٣٤٣ جـ ٢ . وعلى المتبع لهذه الأسباب أن يرجع إلى هذه الصحيفة التالية ص ٤٤ جـ ٢.

(١) البقرة رقم ٢٦٠.

كان قلقاً مضطرباً وهو وهم خاطيء - فإن قال إبراهيم عليه السلام وهو فى الله - لم يكن بالذى يتطرق إلى ذاكرة خالجة من شك فى قدرة الله تعالى على البعث - ولقد دافع الرسول صلى الله عليه وسلم عنه حيث قال : « نحن أولى من إبراهيم » .

لقد كان طلب إبراهيم عليه السلام رؤية كيفية إحياء الموتى بعينه لمعرفة خفايا وأسرار الإعادة لا طلباً لإثبات عقيدة البعث له فهى ثابتة مؤكدة عنده .

يقول الشيخ رشيد رضا عن هذا الطلب .

وهو طلب المزيد فى العلم والرغبة فى استكناه الحقائق والتشوق إلى الوقوف على أسرار الخليقة مما فطر الله عليه الإنسان علما وفهما وأشدهم للعلم طلبا وللوقوف على المجهولات تشوقا » .

وبذلك يتضح لنا كيف وجه الإسلام عقول اليهود وفتح أعينهم على عقيدة البعث التى ذكرها لهم موسى ونسوها فى غمرة ماديتهم وتكالبهم على الحياة وهذه الواقعة من وقائع التاريخ الصادقة - التى تلفت القلب والعقل معا إلى قدرة الله .

كائن حى تتناثر أشلاؤه على رءوس الجبال ثم يدعى فتجتمع هذه الأشلاء وتتماسك وتعود إلى ما كانت عليه .

ما الذى يحدث للموتى غير ذلك ؟ إن إعادة الحياة إلى الطيور بعد تمزيقها لدليل قاطع على قدرة الله على البعث وإعادة الحياة إلى الطيور بعد تفريقها وتمزيقها .

وبذلك أسكت القرآن أية خلجة من شك فى البعث وما فيه من ثواب وعقاب لدى اليهود بعد أن ضرب لهم الأمثال من واقع حياتهم وبأعلام منهم

٥ - الحشر :

الحشر هو سوق الناس إلى موقف الحساب للفصل بينهم .
موقف الحساب : هو الموضع الذى يقفون فيه من أرض القدس المبدلة التى لم يعص الله عليها .

مذاهب العلماء فيمن يحشر . مذهبان .

١ - مذهب المحققين ووافقهم النووى . إن الحشر يكون لمن يجازى من الإنس والجن والملك :
ومن يجازى من البهائم والوحوش ، وهو الراجح ، فقد ورد عن النبى ﷺ : أنه يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ، ثم يقول لهم كونوا ترابا :

٢ - ذهبت طائفة إلى أن الحشر لمن يجازى فقط ، وهذا كله فيمن ولد كاملا .
أما السقط وهو الذى لم يتم ستة أشهر : فإن ألقى بعد نفخ الروح فيه أعيد بروحه ويصير عند دخول الجنة كأهلها فى الجمال والطول ، وإن ألقى قبل نفخ الروح فيه كان كسائر الأجسام التى لا روح فيها كالحجر يحشر ثم يصير ترابا .

وأول من يرد المحشر : محمد (ص) كما أنه أول من يدخل الجنة بعده نوح عليه السلام والأنبياء فأبو بكر .
ومراتب الناس فى الحشر متفاوتة :

(ا) منهم الراكب وهو المتقى .
(ب) ومنهم الماشى على رجليه وهو قليل العمل .
(ج) ومنهم الماشى على وجهه وهو الكافر

أنواع الحشر أربعة . نوعان فى الدنيا وهما :

١ - إخراج اليهود من جزيرة العرب إلى الشام وهو المذكور فى قوله تعالى : « إذ أخرج الذين كفروا . . . » الآية .

٢ - سوق النار التى تخرج من أرض عدن « باليمن » الكفار وغيرهم من كل حى قرب قيام الساعة إلى المحشر فتبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث أقبلوا فتدور فى الدنيا كلها وتطير .

والحكمة فى ذلك الاختيار ، أن من علم أنها مرسلة من عند الله وانساق معها سلمت منها ، ومن لم يكن كذلك أحرقته وبعد سوقها لهم إلى المحشر يموتون بالنفخة الأولى .

أما النوعان اللذان فى الآخرة فهما :

١ - الحشر الذى نحن بصدده وهو سوق الناس إلى الموقف لفصل القضاء .

٢ - صرف الناس من الموقف إلى الجنة أو إلى النار .

الدليل على الحشر : ثبت بالكتاب والسنة وأجمعت عليه الشرائع فيجب الإيمان به ومنكره كافر .

إختبار

س : ١

ما المراد بالساعة ؟ ومن الذى اختص بعلم وقتها على التعيين ؟ وما هى وظيفة الرسل حيالها ؟ وما هى علاماتها ؟ حدثنا على سبيل العد فقط عن علاماتها الصغرى والكبرى .

س : ٢

حدثنا عن خروج الدابة كعلامة من علامات القيامة الكبرى من حيث صفاتها ووقتها بين بقية العلامات . بينى آراء العلماء فى تقدمها على خروج الشمس من مغربها وتأخرها عن ذلك . ثم اذكرى نصا قرآنيا كدليل على ذلك وكذا نص حديث صحيح يبين هذه العلامة .

س : ٣

حدثينا عن خروج الدجال كعلامة من علامات القيامة ، ثم حدثنا عن أوصاف هذا الدجال . وبينى كيف تجرى الخوارق على يد الفاسق .

يقولون : (إن فى الدجال دلالة بينة ـ لمن عقل ـ على كذبه) .

ناقشى هذه العبارة ببيان معناها . وما هو الدليل فى الدجال على كذبه . ثم اذكرى دليلا واحدا على خروج الدجال وكونه علامة من علامات القيامة .

س : ٤

حدثينا عن نزول عيسى عليه السلام ، وهل سينزل نبيا يدعو الناس [illegible]

اذكرى نص حديث صحيح عن رسول الله ﷺ يبين نزول عيسى عليه السلام .

س : ٥

من هما يأجوج ومأجوج ؟ وما هو الدليل على كون خروجهما من علامات القيامة . حدثنا عن قصتهما كما ذكرها القرآن القريم .

س : ٦

اذكرى نص حديث يبين خروج الشمس من مغربها كعلامة من علامات القيامة ، وماهو ترتيب هذه العلامة بين علامات القيامة ؟ وما الذى يحدث بعدها .

س : ٧

بينى مذاهب العلماء فى تعريف المعاد وكذا مذاهبهم فى الجسم المعاد وكيفية الإعادة .

س : ٨

للبعث وقيامة الناس من قبورهم مكان فى الفكر الإنسانى . ناقشى هذه العبارة ببيان عقيدة الديانة المصرية القديمة ، وكذا الديانة الزرادشتية فيه ثم عرفى البعث فى العقيدة الإسلامية ، ثم حدثينا عن ثلاثة أدلة موجهة ساقها القرآن الكريم كدليل على وقوعه ، ثم اشرحى شرحا مستوعبا كل دليل مما تذكرين .

س : ٩

عرفى الحشر . ثم بينى مذاهب العلماء فيمن يحشر وأول من يحشر ، وما هى مراتب الناس فى الحشر . وما هى أنواعه .

الفصل الرابع

اليوم الآخر وما فيه

(أ) الموقف والشفاعة والحساب

(ب) الثواب والعقاب

(ج) باقي مشاهد اليوم الآخر

عندما تحين ساعة النهاية ويحل ميقات العود إلى الله تعالى وتأتى ساعة الساعة يأمر الله من وكله بالنفخ فينفخ فى الصور النفخة الأولى فيصعق من فى السموات والأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وبين النفختين مدة لا يعلمها غيره سبحانه وتعالى .

وبعد النفخة الثانية تبدأ المرحلة الثانية من مراحل الوجود وهى مرحلة القيامة أو اليوم الآخر .

فما هو اليوم الآخر ؟ وما هى الأسماء الذى أطلقت عليه . . ؟ وماهى مدته : . ؟ وما الذى يحدث فيه .

اليوم الآخر . . هو يوم القيامة وهو ذاكم اليوم الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين للسؤال والحساب والثواب والعقاب .

وسمى باليوم الآخر لاتصاله بآخر أيام الدنيا . . أو لأنه لا يوم بعده ولقيام الناس فيه من قبورهم سمى بيوم القيامة .

ولقد تعددت أسماء هذا اليوم لكثرة ما فيه من معان وأحداث حتى بلغت أسماؤه لدى بعض الباحثين ثلاثمائة اسم تسمى بيوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم .

وباليوم الآخر لأنه يوم لا بعده .

وبيوم الدين لأنه يوم السؤال والحساب والجزاء .

وبالحاقة لأنه اليوم الذى يحق فيه الحق .

وبالغاشية لأنها تغشى الناس بأهوالها .

وبالقارعة لأنها تقرع القلوب بأهوالها .

وبالصاخة أى الصيحة لأنها تصم الآذان لشدتها .

وبألطامة الكبرى لأنها مصيبة كبرى على الكافرين والعاصين وداهية عظمى عليهم وغير ذلك من الأسماء الذى يعجز هذا المختصر عن ذكرها .

ماهو أوله وماهى نهاية . ؟ وهل له نهاية أم لا ؟

يتفق الباحثون على أن اليوم الآخر يبدأ بالحسرة أما نهايته ففيها رأيان

١ — اليوم الآخر لانهاية له وذلك هو الرأى الصحيح .

٢ — ينتهى بدخول أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار . وعلى هذا الرأى فا هى مدته . . ؟

قيل ألف سنة كما فى قوله تعالى : « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون »(١) .

وقيل خمسين ألف سنه . . كما فى قوله تعالى : « تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنه . فاصبر صبرا جميلا(٢) .

والذى أراه أنه لا تضارب بين هذين النصين وأن المراد أنه يوم طويل عصيب وأن العدد لا مفهوم له أى أن التحديد ليس مرادا . .

كما أنه يختلف باختلاف الناس فيطول على الكافرين ويخفف على الطائعين .

وبعد أن عرفنا ما هو اليوم الآخر فإنه يتعين علينا أو نعرف ما فيه ، هذا وسينحصر حديثنا عن اليوم الآخر على هذه النقاط النقاط .

(أ) الوقوف والحساب والشفاعة .

(ب) الثواب والعقاب .

(ج) يأتى ما فى اليوم الآخر من مشاهد . . مثل الصراط والميزان والحوض وغير ذلك :

فلنبدأ على خير إن شاء الله ،

---

(١) السجدة : ٥ (٢) المعارج : ٤ - ٥

(أ) الموقف :

هو ذاكم الوقت الطويل الرهيب العصيب الذى يقضيه الخلائق فى الحشر فى ساحة العدل قبل أن يشفع رسول الله ﷺ وقبل أن يبدء الحساب والمساق

وفى هذا الوقت الرهيب تنال الناس شدائد شتى تتمثل فيما يلى :

(أ) طول الوقوف المختلف باختلاف أعمال الناس .

فقد قال كعب وقتادة (يوم يقوم الناس لرب العالمين)(١) قال يقومون فى يوم مقداره ثلثمائة عام بل قال عبد الله بن عمر : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ثم قال : (كيف بكم إذا جمعكم الله كما تجمع النبل فى الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم)(٢) .

(ب) إلجام الناس بالعرق .

قال ابن عمر قال رسول الله ﷺ (يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنه)(٣) .

(ج) سؤال الملائكة للعباد عن أعمالهم وتفريطهم فيها ، قال تعالى : (وقفوهم إنهم مسئولون)(٤)

---

(١) المطففين : ٦ .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير ونقله الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين صـ ٢٩٥٦ .

(٣) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى صـ ٢٩٥٥ وهو حديث متفق عليه

(٤) الصافات : ٢٤ .

(د) شهادة الألسنة : والأرجل والأيدى والسمع والبصر والجلد والأرض والليل والنهار والحفظة الكرام .

قال تعالى .. « ويوم نحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون . حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون » (١) .

(هـ) رؤية جهنم وزبانيتها .

قال تعالى .. « وبرزت الجحيم لمن يرى » (٢) .

(و) بعث الناس حفاة عراة .

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم تبعثون حفاة عراة غرلا محجلين فعجبت عائشة - رضى الله عنها - وسألت أينظر بعضهم إلى عورة بعض ؟- فأجابها الرسول بقوله « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » (٣) .

(ز) فرار المرء من أمه وأبيه وصاحبته وبنيه ..

قال تعالى .. « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » (٤) .

وينجو من هذه الأهوال الأنبياء والأولياء والصالحون قال تعالى فى

---

(١) فصلت - ١٩-٢١
(٢) النازعات - ٣٦
(٣) رواه الإمام مسلم
(٤) عبس - ٣٤ - ٣٧

حقهم (لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هـذا يومكم الذى كنتم توعدون) (١) .

وحين تشتد هذه الأهوال على الناس يتجهون إلى الأنبياء ويلتمسون منهم الشفاعة عند الله فيتعذر كل نبى حتى يصل الجمع إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم فيقبل الله شفاعته ويبدأ الحساب .

فما هى الشفاعة ؟ ولمن تكون ، ومتى تكون ؟ انتظر !!

---

(١) الأنبياء — ٢٠٣

الشفاعة

١ — تعريفها .
٢ — أنواعها .
٣ — حكمها .
٤ — وقتها .

١ - تعريفها :

الشفاعة ... لغة ... الوسيلة والطلب ... وشرعا ... هى سؤال الخير من الغير للغير .

وقد ورد ذكر الشفاعة فى القرآن الكريم فى مواضع مختلفة .

١ - « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » (١) .

٢ - « يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا » (٢) .
٣ - وقوله تعالى : « من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه » (٣) .

٤ - وقوله تعالى مخاطبا المشركين « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون » (٤) .

(١) الأنبياء - ٢٨ (٢) طه - ١٠٩
(٣) البقرة - ١٥٥ (٤) الأنعام - ٩٤

والشفاعة قـــد تنسب إلى الله سبحانه وتعالى كما فى قوله تعالى : « أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون »(١) .

فيكون معناها قبول الشفاعة أو العفو فالحكم له سبحانه وتعالى وهو العفو الغفور لمن اعترف له بالوحدانية ولمحمد عليه السلام بالرسالة وإن لم يعمل خيرا قط لقوله سبحانه « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء »(٢) .

وقد تنسب الشفاعة لنبينا محمد ﷺ وتختص به وهى الشفاعة العظمى التى سنعيش معها فى بحثنا هـــذا لنبين نوعها وحكمها وقد تكون له عليه السلام ولغيره من الأنبياء عليهم جميعا السلام ، كما فى قوله تعالى : « يومئذ لا تنفع الشاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا »(٣) .

والشافع هو طالب الخير من الغير للغير . والمشفع (بفتح الفاء) هو مقبول الشفاعة وأول من يشفع يوم القيامة نبينا عليه السلام ، فقد روى الشيخان أنه عليه الصلاة والسلام قال : « أنا أول شافع وأول مشفع » .

وقد إختص الرسول ﷺ بأمور ثلاثة :

١ — كونه شافعا : أى طالب الخير من الله للخلائق .

٢ — كونه مشفعا : أى مقبول الشفاعة .

٣ — كونه ﷺ مقدما فى الشفاعة على غيره حيث يفتح للأنبياء باب الشفاعة بالشفاعه العظمى فى فصل القضاء .

---

(١) الزمر ٤٣ / ٤٤ (٢) النساء ١١٦ .
(٣) طه : ١٠٩

ولعل هذا هو المقام المحمود الذى وعد الله - سبحانه وتعالى به نبيه فى قوله «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً»(١) أو هو أول المقام المحمود وآخره إستقرار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار .

وإذا كان الرسول - ﷺ - أول الشافعين فمن هؤلاء الشافعون الذين سيشفعون مع رسول الله وبعده .

١ - سائر الأنبياء والمرسلين .

٢ - الملائكة على ترتيب بينهم فأولهم جبريل عليه السـلام وآخرهم التسعة عشر الذين على النار .

٣ - الصحابة .

٤ - الشهداء .

٥ - الأولياء .

٦ - العلماء العاملون .

فكل واحد من هؤلاء يشفعون فى أهل الكبائر على قدر مقامه عند الله .

٢ - أنواعها :

يذكر العلماء أن الشفاعة التى منحت لرسول الله - ﷺ - تتنوع إلى خمسة أنواع .

---

(١) الإسراء - ٧٩

١ - الشفاعة العظمى :

وهي الشفاعة في فصل القضاء فقد ورد أن الناس حين يشتد عليهم الهول في الموقف يلهمون أن الأنبياء هم الواسطة بين الله وخلقه فيذهبون إلى آدم يقولون : أنت أبو البشر أشفع لنا ، فيقول : لست لها نفس لاأسأل اليوم غيرها ويعتذر بالأكل من الشجرة . فيذهبون إلى نوح فيعتذر وهكذا كل نبي فيذهبون إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - فيقول : أنا لها فيسجد تحت العرش فينادى من قبل الله أرفع رأسك وسل تعطى وأشفع تشفع فيقول : ربي أمتي أمتي .

٢ - الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب . . وهما خاصان بالنبي محمد ﷺ ، فقد ورد يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لاحساب عليه من الباب الأيمن .

٣ - الشفاعة في زيادة الدرجات ويشارك النبي في هذا النوع الثالث الأنبياء والصالحون .

وهذه الأنواع الثلاثة من أنواع الشفاعة لم يخالف فيها أحد .

٤ - الشفاعة في إخراج الموحدين من النار .

٥ - الشفاعة في عدم دخول النار لمن استحقوا دخولها .

وخالف في هذين النوعين الأخيرين المعتزلة والخوارج . . واستدلوا على مذهبهم هذا بما يلي .

١ - بقول الله تعالى : وهو يحكي أسباب دخول المجرمين « سقر » عن المجرمين (فما تنفعهم شفاعة الشافعين(١)) .

---

(١) المدثر : ٤٨ .

٢ - قوله تعالى : « واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا » (١).

٣ - وقوله تعالى : « فما لنا من شافعين » (٢) .

وترد هذه الأدلة الثلاث ... بما يلى :

(أ) عمومها قد خصص بالشفاعة لزيادة الدرجات حيث اتفق على حصولها للمؤمنين فحينئذ يجوز تخصيصها بخبر الواحد وهو قوله ﷺ « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » .

(ب) فى القرآن آيات كثيرة تدل على حصول الشفاعة فدفعا للتعارض نقول إن الشفاعة المنفية هى شفاعة الكفار والشفاعة المثبتة هى الشفاعة لمذنبى هذه الأمة .

٣ - حكمها :

الشفاعة واجبة سمعاً بالكتاب والسنة .

أما الكتاب فقوله تعالى : « ما من شفيع إلا من بعد إذنه » .

وقوله تعـــالى : « فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم » (٣) .

وصاحب الكبيرة مؤمن واستغفار النبى مقبول .

وأما السنة فقوله - ﷺ - « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » ولأن غفران الذنوب غير الكفر جائز عقلا وسمعاً بدون شفاعة فبالشفاعة أولى.

---

(١) البقرة ٤٨ .   (٢) الشعراء ١٠٠ .
(٣) محمد - ١٩ .

أما غفران الكفر فهو جائز عقلا ممتنع سمعاً لقوله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) .

ولعل الحكمة الكامنة وراء غفران جميع الذنوب عدا ذنب الشرك هى أن الكافر لا يعتقد نقص نفسه فلا يخاف عقاباً ولا يرجو عفواً بخلاف العاصى فإنه يعتقد نقص نفسه فيخاف العقاب ويرجو العفو (١) .

٤ - متى تكون الشفاعة :

الشفاعة العظمى تكون حين يشتد هول الموقف وقبل بدء الحساب .. وأما بقية أنواع الشفاعة فإنها تكون بعد ذلك كل فى وقته المحدود له وفائدتها .

(ا) إظهار مزية الشافع وكرامته عند ربه :

(ب) لولا الشفاعة لجاز البقاء فى النار وعدمه بحسب الظاهر لنا وعليه فتكون المسألة من باب القضاء المعلق .

---

(١) لنا مزيد بحث عن موضوعها هـــذا تحت عنوان الكبيرة حكمها وآراء العلماء فيها إن سمح لنا الوقت بذلك .

الحساب

بعد شفاعة الرسول ﷺ لإنهاء الموقف تلك الشفاعة العظمى لإنهاء الموقف الذى يشتد أمره على الناس يبدأ الحساب ليعرف كل فرد نتيجة عمله فى الدنيا ويجنى ثمرة فعله .

فامعنى الحساب .. ؟ وما الدليل عليه .. ؟ وماهى كيفيته .. ؟ وما الحكمة منه .. ؟ ولمن يكون .. ؟

تعريفه :

الحساب هو توقيف الله العباد على أعمالهم بكيفية يعلمها هو .

الدليل عليه :

الإيمان بالحساب واجب فنكره كافر والدليل عليه هو :

١ - قوله تعالى : فوربك لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون) (١) .

٢ - قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) .

٣ - الإجماع . فقد أجمع المسلمون على وجوب حساب الخلائق يوم القيامة .

---

(١) الحجر ٩٢ - ٩٣ .

لمن يكون الحساب :

والحساب يكون لجميع المكلفين من إنس وجن مؤمنين وكافرين إلا من وردت السنة بدخولهم الجنة بغير حساب تكريماً لهم أو دخولهم النار إهانة لهم ـ فالناس بالنسبة للحساب طوائف ثلاثة :

(ا) طائفة تدخل الجنة بغير حساب .

ففي الحديث (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً ليس عليهم حساب) فهؤلاء لا يسألون .

(ب) طائفة تدخل النار بغير حساب لاشتداد غضب الله عليهم لقوله تعالى : « فيومئذ لا يسأل عن عن ذنوبهم المجرمون » .

(جـ) طائفة توقف للحساب .

كيفية الحساب :

الحساب منه العسير ومنه اليسير والسر والجهر والفضل والعدل أما كيفية محاسبة الخلائق فللعلماء فيها مذاهب ثلاثة :

١ — مذهب ابن عباس .

أن يوقف الله الناس بين يديه ويأتيهم كتب أعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم وهو مرجوح لأن الحساب غير قاصر على هذه الكتب فقد ورد أن الكافر يفكره فتشهد عليه جوارحه .

٢ — مذهب الفخر الرازي .

أن يخلق الله في قلوبهم علوماً بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب .

٣ مذهب بعض العلماء .

يوقف الله العباد بين يديه ويكلمهم فى شأن أعمالهم وكيفية مآلها من ثواب وعقاب بكلامه القديم فيسمعونه .

ولا تشغله سبحانه وتعالى محاسبة أحد عن أحد بل يحاسب الناس جميعاً فى وقت واحد حتى يظن كل واحد أنه المحاسب وحده .

الحكمة من الحساب :

(أ) إظهار تفاوت المراتب فى الكمال .

(ب) بيان فضل المتقين تتميم لمسرتهم .

(ج) الإفصاح عن فضائح الكفار .

فروع :

هناك أمور عدة لها صلة بالحساب لا مندوحة لنا من مسها مساً رقيقاً لتكتمل صورة الحساب الذى جاءت به عقيدتنا الإسلامية .

وهذه الأمور هى :

الفرع الأول :

الحسنة والسيئة هما عملة يوم القيامة اللتان تقودان بمتلكهما إلى الجنة أو إلى النار - ولما كانتا هكذا شأنهما فقد اقتضى المقـــام - أن نوضح فقط معناهما .

فما هى الحسنة ؟ .. ولماذا سميت الحسنة حسنة ؟

وما هى السيئة ؟ .. ولماذا سميت السيئة سيئة ؟

يجيب علماء العقيدة على هذه التساؤلات بما يلى :

الحسنة : هى ما يمدح فاعلها شرعا وهى تضاعف تفضلا من الله تعالى :

والحسنة التى تضاعف هى من اكتملت فيها ثلاثة شروط :

١ — أن تكون مقبولة — فلو كانت مردودة برياء أو نحوه فإنها لا تضاعف لأن أصلها مرفوض أساساً فهى لا شيء ومضاعفة اللاشيء لا شيء .

٢ — أن تكون أصلية — فلو كانت حاصلة بالتضعيف فإنها لا تضاعف ثانياً .

٣ — أن تكون معمولة للعبد أو عملها له غيره فإنها فى حكمها . فلو لم تكن معمولة له أو عملها غيره له كأن هم بها لكنه لم يعملها فإنها تكتب واحدة لا تقبل التضعيف كذلك إذا هم بمعصية ثم تركها حسبة لله فإنها تكتب حسنة لكنها غير قابلة للتضعيف .

والتضعيف من خصائص الأمة المحمدية — وأقل مراتب التضعيف عشرة وقد تضاعف إلى سبعمائة ضعف أو أكثر — وتفات مراتب التضعيف راجع إلى ما يقترن بالحسنة من إخلاص .

وسميت الحسنة حسنة لأنه يحس فعلها ولأن الشرع حسنها .

السيئة : هى ما يذم فاعلها شرعاً — وهى مقدرة بمثلها ولله سبحانه وتعالى أن يعفوا عنها إلا إذا كانت كفرا — ذلك لأن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

والسيئة : قد يعملها العبد حقيقة كأنه يسرق أو يقتل مثلا وقد يعملها المرء حكما بأن يطرح عليه من غيره لظلمه .

وسميت السيئة سيئة لأنها تسوء فاعلها يوم القيامة .

— الفرع الثانى :

كذلك من الأمور ذوات الصلة الوثيقة بالحساب الصحف .. التى يقول الله سبحانه وتعالى بشأنها .

(وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا(١) .

فما هى الصحف ؟

وما هو الدليل عليها ؟

ولمن تكون ؟

وكيف يقرؤها صاحبها؟

وما حكم من أنكرها ؟

ما هى الصحف ؟

الصحف هى الكتب التى كتب فيها الملائكة مافعله العباد فى الدنيا .
وأما كيفيتها هل هى صحيفة واحدة أم صحف متعددة ؟ أمر ذلك مرده لله تعالى :

ما الدليل عليها ؟ ،

هناك أدلة سمعية عدة على الصحف ،

(١) الاسراء ١٣ - ١٤

١ - فمن القرآن الكريم . . قوله تعالى : (فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه(١) .

٢ - ومن السنة قول الرسول ﷺ فيما ذكر البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له . . أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا حتى إذا قرره بذنوبه ورآى فى نفسه أنه قد هلك قال فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته) .

وروى الإمام أحمد عن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ (يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير ، وأما الثالثة فعند تطير الصحف فى الأيدى فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله(٢) .

٣ - الاجماع :

لمن تكون الصحف :

هذه الصحف تكون لجميع الأمم ويستثنى من يأخذون الصحف .

١ - الأنبياء .
٢ - الملائكة .
٣ - من يدخلون الجنة بغير حساب .

---

(١) الحاقة ١٩ .

(٢) النصان من كتاب الكواشف الجلية عن معانى الواسطية لعبد العزيز المحمد السلمان ص ٣٤٣ .

كيف يأخذها صاحبها ؟ وكيف يقرؤها ؟

يختلف العلماء فى كيفية أخذ العباد الصحف وكيف تدفع إليهم إلى رأيين أخذا من القرآن الكريم .

الرأى الأولى :

أن الريح تطيرها من خزانة تحت العرش فلاتخطىء صحيفة عنق صاحبها ولعل أصحاب هذا الرأى قد قالوا بة أخذا من قوله تعالى .

(وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامه كتابا يلقاه منشورا) .

الرأى الثانى :

أن كل واحد يدعى فيعطى كتابه .

ولعل أصحاب هذا الرأى قد قالوا به أخذا من قوله تعالى .

(فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا)

وللتوفيق بين الروايتين تقول بأن الريح تطيرها أولا فتتعلق بعنق صاحبها ثم تناديهم الملائكة فتأخذها من أعناقهم وتناول كل إنسان صحيفته فالطائع يتناولها من الملك بيمينه .

أول من يأخذ كتابه بيمينه عمر بن الخطاب ثم أبو سلمه عبد الله بن عبد الأسد فعند قراءة ما فيه من الأعمال الصالحة يبيض وجهه .

والكافر يتناول كتابه بشماله ، أو من وراء ظهره فعند قراءته يسود وجهه لما يرى فيه من أعمال خاسرة .

وأول من يأخذ كتابه بشماله الأسود بن عبد الأسد أخو أبو سلمه ذلك لأنه أول من بادر النبي بالحرب يوم بدر .

أما المؤمن الفاسق ففي أخذه الصحيفة قولان .

١ - يأخذها بيمينه .
٢ - يأخذها بشماله .
٣ - الوقف لعدم مايدل عليه .

أما كيف يقرؤها .

فقد اختلف العلماء في قراءة كتابه على أقوال ثلاثة .

١ - أنها حقيقة فكل شخص يقرأ كتابه ولو كان أميا وهو الرأى الأرجح . كما يطلب الطائع من الآخرين قراء كتابه فرحا .
ومن الآخذين من لا يقرأ كتابه ذهولا ودهشة لاشتماله على القبائح .

٢ - القراءة مجاز عن علم كل إنسان بماله وما عليه وليست هناك هناك قراءة على الحقيقة .

والصحف ثابته بالقرآن والسنة والاجماع فمنكرها كافر .

٥ - الفرع الثالث :

بعد أن يطلع كل فرد على سجل حسناته وسيئاته يريد أن يعرف غلبة أحدهما على الآخر فيأتي دور وزن الأعمال وتقديرها لمعرفة الراجح والمرجوح .

فما معنى الميزان والوزن ؟

وما الدليل عليه :

ما هى مذاهب العلماء فى الميزان ؟ هل هو ميزان واحد أم موازين متعددة .. ؟

ما هى مذاهب العلماء فى الموزون ؟

ماهى فائدة الوزن وحكمته

ما معنى الوزن والميزان :

الوزن .. لغة التقدير

وإصطلاحا . تقدير أعمال العباد

وأما الميزان فهو آلة تقدر بها أعمال العباد فى الآخرة يفوض علم حقيقة إلى الله تعالى .

ما الدليل عليه :

الدليل على ثبوت الوزن والميزان يوم القيامة .

(ا) قوله تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين »(١) .

وقوله تعالى : « فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون »(٢) .

---

(١) الأنبياء ٤٧ (٢) المؤمنون ١٠٢/١٠٣

(ب) ومن السنة : ما رواه أبو داود عن عائشة رضى الله عنها أنها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله ﷺ : (ما يبكيك) ، قالت : ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة . فقال رسول الله ﷺ : (أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل وعند الكتاب حين يقال هاؤم اقرأوا كتابيه حتى يعلم اين يقع كتابه فى يمينه أم فى شماله أم وراء ظهره وعند الصراط إذا وضع بين ظهرى جهنم)(١) .

ولذلك فإن منكره كافر .

والعلماء فى خفة الموزون وثقله رأيان

١ — يكون على صورتهما فى الدنيا فالخفيف ترتفع كفته والثقيل تنخفض .

٢ — وقيل على العكس فالثقيل يصعد والخفيف ينزل .

من توزن أعماله ومن لا توزن :

الوزن لا يكون إلا لمن يعطى الكتاب إستعدادا للحساب أما من اعفو من الحساب فلا يعطون صحفا ولا توزن لهم أعمال وهؤلاء هم .

١ ـ الأنبياء .

٢ ـ الملائكة .

٣ ـ من يدخل الجنة بغير حساب .

ذلك لأن الوزن فرع الحساب وهؤلاء لا حساب لهم .

---

(١) من كتاب الكواشف الجلية عن معانى الواسطية تأليف عبد العزيز المحمد السلمان ، ص ٣٤٤ .

أما فيما عدا هـذه الأصناف الثلاثة فإن أعمالهم توزن والوزن يكون لجميع العباد حتى للكفار وأما قوله تعالى فى حق الكفار : فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً . فالمراد لا نقيم لهم وزناً نافعاً .

والراجح أن الكفر لا يوزن إذ لا فائدة فى وزنه لأن عذابه دائم لا يخفف . وقد اعترض على وزن أعمال الكافر بنفى الفائدة من وزنها إذ ليس له حسنات تقابل السيئات كما هو الحال فى المؤمن .

ورد هذا الإعتراض بأن للكافر أعمالا لا تتوقف على النية كصلة الرحم ومواساة الناس وعتق المماليك ونحو ذلك فهذه حسنات تقابل بالسيئات غير الكفر فتخفض من عذابها وقيل يجازى عليها فى الدنيا بسعة الرزق .

أهو ميزان واحد أم موازين متعددة ؟

يختلف العلماء فى كونه ميزانا واحدا أم موازين متعددة إلى مذهبين :

١ — المشهور أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال والجمع فى الآيات للتعظيم .

٢ — أنه متعدد : لكل شخص أو لكل نوع من أنواع الأعمال .

ما هى مذاهب العلماء فى الموزون ؟

للعلماء فى الموزون مذاهب :

الأول — مذهب جمهور المفسرين :

وأصحاب هذا المذهب يرون أن الموزون هى الكتب التى اشتملت على أعمال العباد بناء على أن الحسنات لها كتاب خاص والسيئات كتاب خاص .

ويستشهد أصحاب هذا الرأى بحديث البطاقه (١) الذى رواه عبد الله ابن عمر بن العاص عن الرسول صلى الله عليه وسلم والذى ذكر فيه معناه أن الله سبحانه وتعالى يأتى بشخص يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا يعترف بكل مافيها من سيئات ثم توضع فى كفة حسناته بطاقة فيها كلمه التوحيد فتطيش السجلات لأنه لايثقل مع اسم الله تعالى شيء.

وهذه البطاقه لاتكون إلا لعبد أراد الله له الخير.

الثانى : مذهب بعض العلماء :

يرى هذا الفريق من العلماء أن الموزون أعيان الأعمال ذلك لأن الأعمال الصالحه تصور بصورة حسنه نورانيه ثم تطرح فى كفه النور وهى اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله — تعالى.

أما الأعمال السيئة فتصور بصورة قبيحة مظلمة : ثم تطرح فى كفة السيئات وتثقل حسنات المؤمن بفضل الله وتثقل سيئات الكافر بعدل الله.

الثالث : مذهب بعض آخر من العلماء :

يرى هذا الفريق من العلماء أن الموزون هو الشخص نفسه لحديث ابن مسعود رجله فى الميزان أثقل من جبل أحد.

والذى أراه أن المذهب الثانى هو أصح الآراء فالموزون هى الحسنة بعد أن تصور بصورة نورانية ثم توضع فى الكفة اليمنى والسيئة بعد تصور بصورة مظلمة وحجم يتناسب ثقله مع مقدار جرم هذه السيئة : ثم توضع فى الكفة اليسرى كفة السيئات.

(١) البطاقة ورقة صغيرة

ماهى الحكمة من الوزن ؟

يذكر العلماء للوزن حكما ثلاث هى :

١ - جعله علامة لأهل السعادة والشقاوة بإظهار محاسن المتقين وقبائح الفجار على رءوس الأشهاد زيادة فى المساءة للترغيب فى الطاعات والتنفير من السيئات .

٢ - تعريف العباد مالهم وما عليهم .

٣ - إقامة الحجة على العباد بإظهار كمال عدل الله .

هذا وللمعتزلة مذاهبهم فى الميزان والوزن فهم يرونه رمزا للعدالة المطلقة لله تعالى وليس هناك ميزان حقيقى أو وزن حقيقى ذلك لأن الأعمال - فى رأيهم - عرض والعرض لا يوزن .

وترد شبهة المعتزلة بأن الله تعالى قادر على أن يصورهما بصورة يقبلان بها الوزن والله على كل شىء قدير .

الثواب والعقاب

- ما معنى الجنة والنار
- مذاهب العلماء فى وجود الجنة والنار
- مذاهب العلماء فى طبقات الجنة والنار
- مكان الجنة والنار
- أبدية الثواب والعقاب
- مصير غير المكلفين من الثقلين
- لماذا يؤجل الثواب والعقاب ليوم يقوم الناس فيه من قبورهم؟
- بعض الشبهات حول العقيدة الإسلامية فى الثواب والعقاب . وردها

إن ما يقع من الناس فى حياتهم من خير وشر لابد وأن تكون له آثاره الحسنة أو السيئة لهم أو عليهم .

فالمحسن يلقى جزاء ما قدم فى هذه الحياة من خير والمسىء يلقى حساب ما فرط فى جنب الله .

والقرآن الكريم ينبه الأذهان إلى هذا فيقول : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون(١) .

وحديثنا عن الثواب والعقاب يتضمن النقاط الآتية :

(أ) ما معنى الجنة والنار ؟

(ب) هل هما موجودتان فى الماضى والآن ؟

(د) لماذا يؤجل الثواب والعقاب ليوم يقوم الناس فيه لرب العالمين ؟

(أ) مامعنى الجنة والنار ؟

الجنة : لغة - البستان .

واصطلاحا : هى دار الثواب التى أعدها الله للمؤمنين لتكون دار إقامه خالدة مؤبدة معدة للسعداء الذين فارقوا الدنيا على الإيمان . ويدخل فى السعداء عصاه المؤمنين لأنهم لايخلدون فى النار .

النار : لغة - جسم لطيف محرق .

واصطلاحا : هى دار العقاب التى أعدها الله - تعالى - لعذاب العصاة من الجن والإنس .

---

(١) المؤمنون : ١١٥

(ب) وجود الجنة والنار :

يتساءل الباحثون : هل الجنة والنار موجودتان الآن وفيما مضى أم أنهما سيوجدان يوم القيامة ؟

علينا الآن أن نوضح آراء العلماء فى ذلك وأدلتهم ، ثم نوضح المذهب المختار .

(أ) مذهب أهل السنة :

يرى أهل السنة أن الجنة والنار موجودتان فيما مضى والآن وفى المستقبل لأنهما دار خلود .

أدلتهم :

لأهل السنة على مذهبهم أدلة نذكر منها :

١ - قصة آدم وحواء اللذان أسكنهما الله الجنة تلك القصة التى يحكيها القرآن الكريم فى أكثر من سورة كما تذكرها السنة الشريفة ويعترض على هذا الدليل بأن آدم - عليه السلام كان على ربوه فعصى ربه فأنزله إلى بطن الوادى .

ويرد هذا الاعتراض بأن الأوصاف التى ذكرها الله لجنة آدم - عليه السلام - هى أوصاف جنة الآخرة واتحادالأوصاف يرجح اتحادالموصوف

٢ - وقوله تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) (١) .

---

(١) آل عمران : ١٣٣ .

٣ - حديث الإسراء والمعراج - الذى فيه ﷺ - دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا فقالوا لعمر بن الخطاب .

٤ - إجماع الأمة على ذلك قبل ظهور المخالفين .

ومذهب أهل السنة فى قضيتنا هذه هو المذهب المختار .

وإذا ثبت وجود الجنة على هذا المذهب ثبت وجود النار إذ لا قائل بثبوت الجنة دون ثبوت النار .

(ب) مذهب الفلاسفة :

الفلاسفه ينكرون وجود الجنه مطلقاً .

دليلهم :

أن الجنه وحدها موصوفة بأن عرضها كعرض السموات والأرض وهذا فى عالم العناصر محال وفى عالم الأفلاك إدخال عالم فى عالم أو عالم آخر خارج عنه مستلزم لجواز الخرق والالتئام وهو باطل - ذلك لأن الأفلاك لا تقبل الخرق والالتئام فلا يخالطها شيء من الكائنات الفاسدة .

هكذا يرى الفلاسفه :

وترد هذه الشبهه بأن وصف الجنه بأن عرضها السموات والأرض لا يعنى تحديد ذلك بل المراد السعه والبسط (١) .

(ج) مذهب أبى هاشم وعبد الجبار من المعتزلة :

يرى أبو هاشم وعبد الجبار وهما علمان من أعلام الفكر المعتزلى أن الجنة والنار ليستا موجودتين اليوم ولكنهما ستوجدان يوم القيامه .

---

(١) لنا مزيد بحث قضيتنا فى مطول آخر إن شاء الله .

أدلتهم :

لهذين على مذهبهم أدلة عدة منها ما يلى :

(أ) أن الفائدة من خلقهما هى المجازات بالثواب والعقاب وذلك غير مستحق الآن إجماعا فلا فائده فى خلقهما الآن وإلا كان عبثا يتنزه الله عنه ويرد على هذا بما يلى :

١ - أنه يوجد عقاب وثواب قبل يوم القيامه بدليل قوله تعالى :

« أغرقوا فادخلوا نارا » .

. وقوله تعالى « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا » .

. قول الرسول ﷺ « إن أرواح المؤمنين فى الجنه وإن أرواح الكافرين فى حواصل طير سود تأكل من النار » .

٢ - أن الفائدة لاتنحصر فى المجازاه بل يجوز أن تكون الفائدة أمرا لا نعلمه .

(ب) الجنه والنار لو وجدتا الآن لفنيتا عند النفخه الأولى فلايكون أكل الجنه وظلها دائم .

ويرد هذا بما يلى :

١ - لايلزم من وجودهما الآن فناؤهما عند النفخه الأولى لأن الآيتين اللتين دلتا على الفناء - « كل شىء هالك إلا وجهه » و « كل من عليها فان » من العام المخصوص ببعض الأفراد فالجنه والنار من هذه الأفراد المستثنيات .

٢ - الفناء والهلاك فى الآيتين معناهما القابليه ولا يلزم من قابليه الفناء الفناء بالفعل .

٣ - المراد بالدوام فى قوله (أكلها دائم) الدوام العرفى وهو عدم طريان العدم زمنا يعتد به . وعلى ذلك يجوز هلاكهما لحظة ولا ينافى دوامها العرفى وحين ذاك فإنه لا تعارض بين النصين .

جـ - قالوا إن وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والأرض لايتصور إلا بعد فناء السموات والأرض لامتناع تداخل الأجسام ولأننا لسنا الآن فى الجنة ولو كانت الجنة عرضها السموات والأرض لكنا الآن فيها .

ويرد هذا بأن المراد عرضها كعرض السموات كما ورد مصرحا بذلك فى آية أخرى لا أن المراد أن يكون عرضها عرضهما بعينه حتى بعد فناء السموات والأرض لأنه يمتنع أن يقوم عرض واحد بمحليين .

وبعد أن انتهينا من بيان مذهب هذين المفكرين وأدلتهما ورددنا أدلتهما فإننا ننتقل إلى مذهب الجهمية لنرى رأيهما فى قضيتنا هذه .

د - مذهب الجهمية :
يرى الجهميه أن الجنة والنار يوجدان يوم القيامة ويفنيان ويفنى أهلاهما لينفرد الله وحده بالبقاء .

أدلتهم :

١ - إن دوام الاحراق مع بقاء الحياة غير جائز لأنه لابد للحياة من البنية واعتدال المزاج .

ويرد هذا الدليل من أدلة الجهمية بأن اشتراط البنية واعتدال المزاج المبنى عليهما هذا الدليل لاحاجة بالحياة الآخرة إليهما ذلك لأن الحياة يخلق الله تعالى وقد يخلقها دائما أبدا أو يخلق فى الحى قوة لاتحرق معها

بقيته بالنار مع كونه متأذيا منها ، كما خلقها فى بعض الحيوانات مع عدم التأذى بها مثل النعامة فإنها تأكل النار ولا تتأذى بها ومثل السمندر وهو حيوان معروف فى بلاد الترك له وبر يتخذ منه بعض المنسوجات فإذا اتسخت طرحت فى النار ليذهب وسخها وتبقى سالمة لا تعمل فيها النار . ولذلك كانت الشجرة الملعونة فى القرآن فتنة للناس فإنهم لما سمعوا أن الجحيم تحرق الحجارة ثم سمعوا أن هـــذه النار تنبت فيها شجرة الزقوم ابتعدوا عن الإيمان ، ولقد جهلوا وضلوا فإن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الشجرة من جنس لا تأكله النار .

كما أنه يرد على دليل الجهمية هـــذا بقوله الله تعالى : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) .

١ — إن النار تفنى الرطوبة التى بها تماسك الأجزاء فلا تبقى الحياة فلا يدوم العقاب .

ورد هذا الدليل . بأن إفناء الرطوبة وإبقاؤها لله وحده فالله تعالى قادر على إبقاء الرطوبة مع وجود الإنسان فى النار وبذلك تتماسك الأجزاء وتدوم الحياة فى النار .

٣ ـ إن القوة الجسميه متناهيه فلابد أن تفنى فيفنى مايتبعها من الحس والحركة فلا يتصور عذاب ولا نعيم بعد فناء الحس والحركة .

ويرد هذا الدليل بأن هذا المذهب مبنى على تناهى القوة الجسميه وعلى تأثيرها فى الجسم والحركة وهذا غير مسلم لدينا لأن المؤثر الحقيقى هو الله تعالى .

جـ . . . مذاهب العلماء فى طبقات الجنه والنار . ؟

يختلف العلماء فى عدد طبقات الجنه والنار . . وعملنا الآن أن نوضح مذاهب العلماء فى عدد طبقات كليهما . . فما هى مذاهب العلماء فى ذلك .

أولا . . مذاهب العلماء فى عدد طبقات الجنه . .

يختلف العلماء فى تحديد عدد طبقات الجنه وتتعد مذاهبهم .

المذهب الأول :

يرى أصحاب هذا المذهب أن عدد طبقات الجنه أربع .

هى : ١ - جنه النعيم ؛ ٢ - جنه المأوى. قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان (١) ٣ - جنه عدن ٤ - جنه الفردوس وهما المشار إليهما بقوله تعالى : (ومن دونهما جنتان) (٢) .

فالدليل عند أصحاب هذا المذهب على أنها أربع جنات قوله تعالى : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) ثم قوله مع هذا القول (ومن دونهما جنتان) فهى إذن جنان أربع .

---

(١) الرحمن ٤٦ :
(٢) الرحمن ٦٢ :

المذهب الثانى وهو لابن عباس :

يرى هذا المذهب أن الجنات سبع جنات متجاورة أفضلها وأوسطها الفردوس وهى أعلاها وفوقها عرش الرحمن ومنها تنفجر أنهار الجنة. فهى إذن : ١ ـ الفردوس ٢ ـ عدن ٣ ـ الخلد ٤ ـ النعيم ٥ ـ المأوى ٦ ـ دار السلام ٧ ـ دار الجلال .

والجنات السبع متصلة كلها بمقام الوسيلة لينعم أهلها بمشاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم .

المذهب الثالث .

يرى أصحاب هذا المذهب أنها جنة واحدة وأن الأسماء السبعة جارية كلها عليها تتحقق فيها معانيها . والناس فى الموقف يكونون على حالتهم التى كانوا عليها فى الدنيا أما فى الجنة فإنهم يكون مردا أبناء ثلاثة وثلاثين .

ثانياً . . . عدد طبقات النار :

يرى بعض العلماء أن عدد طبقات النار سبع . . هى .

١ ـ جهنم وهى أعلا طبقة فى النار . . وهى لمن يعذب من المؤمنين وبعد خروجهم منها تصير ترابا .

٢ ـ لظى . وهى لليهود .

٣ ـ الحطمة وهى للنصارى .

٤ ـ السعير .. وهى للصابئين .

٥ - سقر وهى للمجوس .

٦ - الجحيم : وهى لعبدة الأصنام .

٧ - الهاوية : وهى للمنافقين

ويرى بعض آخر أنها نار واحـــدة تختلف طبقاتها ويتفاوت شدة العذاب فيها كما يقول سبحانه وتعالى (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) ، وقد أخبر الله - سبحانه وتعالى عن إعداد الجنة والنار وكونها دارى الثواب والعقاب فى كثير من آى القرآن الكريم كقوله تعالى (تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا) وقوله تعالى (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً) .

فالجنة والنار حقيقتان ثابتتان بالقرآن والسنة والإجماع ولم ينكرهما إلا الفلاسفة الذين ينكرون البعث وتوابعه ورأيهم باطل

مكان الجنة والنار :

أما مكان الجنة والنار الآن فلم يرد نص صريح بتعيينه ، ويرى كثير من العلماء أن الجنة فوق السموات السبع وتحت العرش ، وأن النـــار تحت الأرضين السبع ، والحق تفويض علم ذلك لله

ابدية الثواب والعقاب

نصوص القرآن صريحة فى استمرار الجنة والنار وعدم فنائهما ، ففى كثير من الآيات يذكر سبحانه الخلود على وجه التأبيد ليدل على استمرار البقاء يقول سبحانه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا) ويقول فى الكافرين (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً ، خالدين فيها أبداً لايجدون وليا ولا نصيراً) ولا يشد عن هذا الإجماع غير الجهمية الذين قالوا بفنائهما بعد النعيم والعذاب

والخلود فى النار للكافرين ، أما عصاة المؤمنين فانهم يخرجون منها ويدخلون الجنة فيخلدون فيها

فالمؤمنون هم السعداء المخلدون فى الجنة ، والكفار هم الاشقياء المخلدون فى النار ، وهم المقصودون بقوله سبحانه (فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض إلا ما شاء ربك عطاء غـــير مجذوذ) ، والمقصود بالسموات والارض المعلق بقاء أهل الجنة والنار على بقائهما فيها هى الجنة وأرضها وسماء النار وأرضها وليس المقصود سماء الدنيا وأرضها لانهما بدلتا : (يوم تبدل الارض غير الأرض والسموات) وتعليق البقاء على المشيئة للدلالة على أن بقاء الجنة والنار ومن فيهما ليس واجبا لذاته ، ولا واجبا عليه سبحانه ، وإنما هو جائز فى حد ذاته تفضل به سبحانه ولزومه جاء من ناحية وعده ووعيده

مصير غير المكلفين من الثقلين :

المكلف من الثقلين إما أن يموت على الإيمان فيكون سعيداً ، أو يموت على الكفر ، ليكون شقيا ، وقد رحم الله البشر لجعل تكليفهم مشروطا بالبلوغ أما من مات دون البلوغ فإما أن يكون من أولاد المؤمنين أو من أولاد الكفار .

فأولاد المؤمنين فى الجنة ، وهذا هو رأى الجمهور ، وغير الجمهور قال: إن أولاد الأنبياء فى الجنة وأولاد غيرهم من المؤمنين فى مشيئة الله ، والصحيح رأى الجمهور .

أما أولاد غير المؤمنين ، فالصحيح أنهم فى الجنة كذلك وهناك رأى آخر أنهم فى النار ، ورأى ثالث أنهم على الأعراف ، وهى أقوال يعوزها الدليل .

أنواع النعيم والعذاب :

الجنة مشحونة بأنواع النعيم ، فيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وفيها مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ، وفيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم .

والنار مشحونة بأنواع العذاب والأهوال ، فوقودها الناس والحجارة، ويسقون ماء حميما يقطع أمعاءهم ، لايذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميما وغساقا ، ويقال لهم انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ، انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب ، إنها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر ، ويقال للملائكة خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه . ثم فى سلسلة

ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه . إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، فليس له اليوم ههنا حميم ، ولا طعام إلا من غسلين ، لا يأكله إلا الخاطئون .

وقد حثنا عليه السلام على أن نستعيذ بالله من النار وعذابها ، وأن نسأله الجنة ونعيمها ، فالدعاء الخالص مرجو الإجابة ، يقول عليه السلام ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار يارب إن عبدك فلانا استجار منى فأجره ، ولا سأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة يارب إن عبدك فلانا سألنى فأدخله الجنـــة ، رواه أبو يعلى بإسناد على شرط الشيخين ، وفى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن الكريم يقول : قولوا : اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات .

٢ - لماذا يؤجل الثواب والعقاب ليوم يقوم فيه الناس من قبورهم بعد موتهم .. ؟

كثيراً ما يسأل الإنسان نفسه هذا السؤال الذى أذاع اليهود نبأه فى الدنيا منذ أزمان وأزمان .

إذا كان العدل يقتضى أن يثاب الطائع وأن يعاقب العاصى من البشر فلماذا لا يثاب طائعهم ويعاقب عاصيهم فى هذه الحياة ؟

كيف ينتظر - من يزرع الشر فيثمر السوء - هذه الآماد الطويلة بعد أن تحال جرائمه إلى هذا اليوم الذى يطول بالناس انتظاره ؟

إن الأجـــدى فى تربية الأمم .. أن يسارع بالترهيب والترغيب ليزداد المحسن إحساناً .. ويرعوى المجرم عن إجرامه .

ولا يستطيع أحد أن ينكر قدرة الله التي لا يدركها عجز ولا علمه الذي أحاط بكل شيء ولا إرادته الخير للانسان .

كذلك يتضح أن تأجيل الثواب والعقاب ليوم يقوم فيه الناس لرب العالمين لا يخلو من حكم(١) نوجزها فيما يلي :

١ ـ لاشك لدى العاقل المتدبر أن هـــذه الحياة المحدودة الموقوتة لا تتفسح لآماله ورغباته .. وأنه لا بد من حياة أخرى وراء هذه الحياة حياة ممتدة باقية يجني فيها ذلك العاقل المتدبر ما غرسه في دنياه القصيرة المتوازية .

وفي واقع حياتنا هذه وعلى مسرح أحداثها الكثير من ذلك فقد يغرس المرء بيده ما يجني ثماره أبناؤه أو أبناء أبنائه وهو معتقد ذلك كما أن المرء يعمل اليوم ما يجني ثمرته في غده .. على أن الغد الحق هـــو الغد الذي لا غد بعده وهو اليوم الآخر «وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون»(٢) .

---

(١) وهذه الآية من الشبه الكثيرة التي أثارها اليهود ليختلط بها الأمر على الناس وليصدفوا بها [illegible] الثواب والعقاب على ما سيتضح .

(٢) العنكبوت رقم ٦٤

يقول السيد المسيح .

« لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون .. بل أكنزوا لكم كنوزاً فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون إنه حيث يكون قلبك يكون كنزك أيضاً »(١) .

وبذلك فإن هذه الدنيا المحدودة الضيقة الوقت والآمال لا تكفى لهذا الثواب وذاك العقاب الكبيرين .. فلابد إذن من حياة أرحب ساحة وأطول وقتا :

٢ — عقيدة الثواب والعقاب الأخرويين تبدد يأس الكثيرين الذين لفظتهم الحياة ورمتهم بالآفات منذ ولدوا . كما أنها تطمئن أولئك المحرومين الذين عضهم الفقر بنابه والمقهورين والمظلومين الذين استبد بهم الأقوياء وتسلط عليهم الطاغون .

هذه الصفوف الطويلة العريضة التى تملأ وجه الأرض اللاحب والتى ليس لها حمى أو مــلاذ كما لا تطمع من دنياها فى جديد تتحول به حالتها تلك .. ولولا أنها تمتد ببصرها وبصيرتها إلى مابعد الحياة لا استبد بها يأس قاتل وهم ثقيل :

فالحياة الأخرة وما فيها من ثواب وعقاب تفتح آمالا عريضة لأولئك الذين فقدوا أية بارقة من أمل فى دنياهم هذه .

٣ — لو كان الثواب والعقاب دنيويين ، لتجردت الإنسانية من شعورها ووجدانها وضميرها ولأصبحت الفضيلة سلعة تبــاع وتشترى

---

(١) إنجيل متى ، الإصحاح ١١ .

ولما اتسم الإحسان بهذه السمة بلى ولأوضحت وجوه الخير كلها تفعل لا لقصد الخير ولكن بقصد الجزاء عليه فهى تجارة يبغى بها الثمن الربيح لا ذات العمل وهذا ما يتنافر مع الخير والإحسان وما ترفضه الفضيلة .

وقد يشبه على البعض أن هذا المقتضى قائم حتى ولو كان الثواب والعقاب أخرويين بل هو أجلى فيه لو كان أخرويا ذلك أن الحسنة هنا قد تكون بمثلها ـ لكنها فى الآخرة بعشر أمثالها ، وبأكثر من ذاك ـ وليس كذلك فإن الجزاء الفورى ، هو مناولة يد بيد فليست فيه مخاطرة كالتى تقع فى بيع العاجل بالآجل وكون الآجل أضعافا مضاعفة للعاجل لا يرفع عنه خطر المخاطرة ، وخاصة ذلك الأجل الطويل الذى يمتد به الزمن أمد لا يعلمه إلا الله والذى تتخلله أحداث مذهلة كالموت وتحلل الأجساد ثم العودة ثانية : أى الجزاءين يكون فيه الإنسان تاجراً يتجر فى الفضائل ويتعامل بها فى جشع ونهم ؟ . أذلك الذى يبيع الشىء بمثله وله أمل فى المزيد فى دنياه يداً بيد ، أم ذلك الذى يبيع الشىء بعشرة أمثاله بعد آماد طويلة لا يدفعه إلى الثقة بها إلا إيمان عميق بالله وحده واعتقاد لا يخالجه شك فى أنهم يعقدون مع الله صفقة رابحة :

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ـ يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (١) .

٤ ـ لو كان الثواب والعقاب فوريين دنيويين لاختفت من الحياة صور هذه المنكرات من قتل وسرقة وزنى ـ إذ من ذا الذى سيرتكب جريمة يعلم أنه سيقتص منه فوراً قبل أن يغادر مسرح جريمته .

---

(١) القوبته رقم .

أيسرق إنسان وهو يرى يدى الشرطى تمتد له لتقيده بهذا الغل الثقيل أم يقتل وهو يرى بندقية مثل البندقية التى يصوبها إلى غريمه مصوبة إليه ولو خلت الحياة من ذاك لتخلت عن طبيعتها التى جبلت عليها ولكان نباتها ملائكة أو جماد وما بهذا أو ذاك تستقيم الحياة التى هى مزيج من من الخير والشر وتتكون من الطيب والخبيث .

وبذلك يتضح أن الثواب والعقاب الأخرويين لا بد منهما لتصح أوضاع الناس فى الحياة ويعتدل ميزانها .

الثواب والعقاب الآخر كما يعتقد المسلمون .

لاشك لدينا فى أن الغاية التى من أجلها كان بعث الناس من قبورهم . هى ، إثابة طائعهم ومعاقبة عاصيهم لأن عدل السماء اقتضى هذا لذلك .

ولقد رسمت الشريعة الإسلامية صورة محيرة ليوم القيامة أبرزت فيها كيف ينعم المنعمون وكيف يعاقب الآثمون .

ولا شك أن العقاب هو أسلوب الحياة الذى يرد الناس عن ارتكاب الشرور كما أن الثواب هو أسلوب الحياة فى دعوة الناس إلى الخير وإغرائهم به فإذا أضيف الثواب والعقاب إلى قوة قاهرة لايفلت منها أحد ولايخفى عليها خافية كانت مفعوليه الثواب والعقاب ذات آثار بالغة وكان سلطانها على النفوس سلطانا متمكنا من الأشرار والأخيار جميعاً فأما عن إثابة الطائعين فلقد بين القرآن الكريم أن الله أعد للطائعين جنات بينتها آياته حيث قالت : «سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض

أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (١) .

ثم بينت ما أعد لهم فيها من صنوف النعيم فقالت « ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين . إدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون » (٢) .

كما قالت آية أخرى « مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهاراً من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم » (٣) .

كما يبين أن هذا النعيم خالد لايبلى باق لايفنى فقال :

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا » (٤) .

ومن هذا الاقتباس الموجز لآيات القرآن التي بينت كيف يثاب الطائعون يوم القيامة ندرك أن أهل الجنة يحملون معهم نفوسا بشرية لها رغباتها كما أن لها منازعها ومن شأن النعيم الحق . أن يلبي هذه الرغبات وتلك المنازع . حتى يكون نعيما حقا .

كما ندرك أن للانسان ألف عجيب لهذه الحياة وحب لها وتعلق بها لايموت

---

(١) الحديد : ٢١
(٢) الزخرف الآيات من : ٦٨ إلى ٧٣ .
(٣) محمد : ١٥ (٤) النساء : ٥٧

برحيله عنها ولكنه يصحبه فى آخرته . حيث يرحل عنها ونفسه تمتلىء بكل ما عرف فى حياته من ألوان الملذات .

ثم ندرك أن النعيم الأخروى هو النعيم الأبدى الخالد الذى تجد فيه النفوس ما تمنته فى حياتها فقصرت يدها عن مناله ، فهو واحة الآمال والأحلام التى امتلأت بها الصدور فى الحياة الدنيا وحالت الأقدار دون تحقيق ما صبت إليه النفوس .

بقى علينا أن نزيل شبهات قد تظهر فى أعين بعض الناس معكرة صفو هذا النعيم الأخروى المقيم .

الأولى : أن النفس بطبيعتها تمل الحياة الرتيبة حتى ولو كانت فى أعلى مستويات الحياة وأن الطعام الواحد إذا حبس عليه الإنسان حتى ولو كان من طعام أهل الجنة فإنه سيتحول مع الزمن إلى شىء عف لا تقبل النفس عليه ولا تشتهيه فإن لم تفعل فإنه سيتحول إلى عادة تذهب متعته ولذته وتطيح بماله على غيره من فضل ومكانة ؛

وهكذا شأن الجنة التى يتحدث عنها القرآن الكريم .

وترد هذه الشبهة بأن أهل الجنة ليسوا فى حياة رتيبة كما يتصور البعض بل هم كما وصف القرآن الكريم فى شغل فاكهون .

لقد وصف القرآن هذا النعيم بأنه محقق لكل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين إذن فهناك أشياء وطالب الذى يجعله مرغوباً محبوباً ، أنهم ليسوا فى أجازة طويلة مملة كما يتصور البعض إنهم يتقلبون فى أحوال شتى وينتقلون من نعيم إلى نعيم .

والمتتبع لآيات القرآن الكريم التى وصفت أهل النعيم فى الآخرة يتبين أن أهل الجنة ليسوا على حال واحدة

فلائكة الله تحييهم وترحب بقدمهم ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »(١)

ثم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ، يطوفون عليهم بأكواب وأباريق وكأس من معين ، ثم وثم ، أحوال وأحوال لاحاجة بنا إلى سردها .

ومن ذلك يتضح أن أهل الجنة يتقلبون فى النعيم أفراداً وجماعات يغدون ويروحون ويسرحون ويمرحون متنقلين من حال إلى حال فهم إذن ليسوا فى حياة رتيبة مملة كما يتصور البعض .

الثانية : إن لذة الحياة ألا يجد الإنسان كل مايشتهى فإذا نال الإنسان كل مايريد أضحت الحياة مملة لامعنى لها .

وهكذا شأن الحياة مع الإنسان لتربطه بها فلم تعطه إلا القليل الذى يضمن إستمرار تعلقه بها وشوقه إليها وجريه وراءها ولو أعطته كل مايريد لعافها أفيكون هذا شأن الجنة ؟

إن أهل الجنة لهم أن يطلبوا كل مايشتهون فإذا كل مطلوب حاضر عتيد بين أيديهم وهذا - بلا شك - وبالقياس على ماذكرنا - يؤدى إلى أن يعاف أهل الجنة ويكرهون مقامهم فيها .

وترد هذه الشبهة ، بأن ماقيل قد يكون مقبولا لاغبار عليه لو جمدت الحياة التى يحياها الإنسان وانحصرت فى دوريها قبل الموت وبعده ولا يستطيع أحد أن يقول ذلك .

---

(١) الرعد ٢٣ - ٢٤

فإن تغير الحياة التى يحياها الإنسان وتغير سنن الوجود الذى كان عليه قبل موته أمر لابد منه .

فلابد إذن أن تتغير هذه الحياة بما يوائم الحياة الثانية الجديدة ويلائم ناموسها .

فالناس فى الدنيا يلذلهم أن يجاهدوا وأن يقتطفوا ثمرة جهادهم بأيديهم فإذا كانت حياتهم فى الجنة تحرمهم لذة الكفاح ، كما يرى البعض فإن الجنة ثمرة كفاح مرير طويل قاساه الإنسان فى حياته هذه مجاهداً نفسه وهواه فالجنة دار ثواب لا دار عمل .

وبذلك فإن طبيعة الحياتين تختلف بما يجعل قياس الثانية على الأولى أمر لامكان بل وغير صحيح ومن هنا فإن تلبية مطالب أهل الجنة دون حبس شىء مما يشتهون ليس بدافع المنعم فيها أن يعاف نعيمها .

الثالثة : أن الشريعة الإسلامية وصفت نعيم الجنة بوصف حيوانى بحت وهذا ما يؤخذ على الشريعة الإسلامية (١) جهلا أو حقداً .

فحياتهم كلها طعام وشراب وتنعم بالحور العين ، أليس هذا ما فى القرآن عن النعيم الأخروى .

إن فى الجنة ما كان فى الدنيا من لذات جسدية يتنازعها الناس فيما بينهم ويجدون فى تحصيلها غاية ما هنالك من فرق بين ما فى الدنيا وفى الجنة أن تلك الشهوات الدنيوية غير متاحة لكل إنسان ومن تتاح له فبقدر

(١) وهذه واحدة من المطاعن التى يرمى بها الغربيون شريعة الإسلام حيث يذيعون عنها أنها شريعة جاءت لترضى الجانب الحيوانى فى الإنسان وأنها بذلك لاتناسب إلا حياة البادية وما فيها من جوع وحرمان .

وبمشقة وعناء أما فى الجنة فليس كذلك فهى تحصل للمنعمين بالقدر الذى يريدون ودون مشقة أو عناء وترد هذه الشبهة .

لاشك أن أهـــل الجنة يحملون معهم مشاعر بشرية لها رغباتها ولها مناز عها والإنسان لا يسمى إنساناً إلا إذا كان مكوناً من روح وجسد للروح مطالبها كما أن للجسد مطالبه سواء أكان ذلك الإنسان فى حياته الأولى أم فى داره الآخرة فى الجنة أم فى النار .. فالانسان هو الإنسان فى كلتا الدارين فالجنة بما فيها من مطعم ومشرب وملبس وحور عين وولدان مقربون كل ذلك مما يتطلبه الإنسان وهو عامل سعادته مادام الإنسان لم يتحول إلى عالم الملائكة ولم يصر روحا مجردة من الجسد .

ولكى يلقى الإنسان جزاءه الحسن أو القبيح ويذوق طعمه مرارة أو حلاوة فإنه ينبغى أن يكون على طبيعته فى جميع أحوله الدنيوية والأخروية على حد سواء وأن تصحبه تلك الشخصية فى كل مراحل وجوده . . كل هذا ليظل الإنسان إنسانا ويذوق ثمرة خيره فى دنياه أو جزاء شره فيها .

وعليه فإنه لاضير أن يكون فى جنة الخلد لحم طير مما يشتهون وكأساً دهاقاً ، وحور عين وغلمانا خدما ، لترضى الإنسان ، الذى هو إنسان بما تحمل هذه الكلمة من معانى الجسدية والروحية معاً .

على أن الاسلام ليس بدعا فى ذلك فإن الديانة المسيحية رغم إرتدائها لباس الروحانية فإنها تعرض صور هذا النعيم الأخروى فى قوالب حسية فقد ذكر متى فى إنجيله .

أن السيد المسيح بينما هـــو يؤاكل تلاميذه ويشرب معهم : ذكر لهم أنهم سيشربون معه خمراً فى ملكوت الله يوم القيامة فقال لهم .

(إنى لست شاربا من ابنة هذه الكرمة حتى أشربها معكم تارة أخرى

فى ملكوت السموات(١) كما قال لهم :

ستأكلون وتشربون إلى مائدة أبى(٢) كما قال لهم .

ما أكثر ، الغرف والمساكن عند أبى(٣) .

إن الإنسان لايدرك معنى السعادة أوالشقاوة إلا إذا كان إنسانا(٤) .

الرابعة .. إن الجنة بهذا الوصف يمكن أن يحققها بعض الناس فى الحياة الدنيا .

ولقد بدأ لبعض الأثرياء المدلين بثرائهم أن يفعل ذلك ولا سيما فى فى عصرنا هذا الذى أخذت الأرض فيه زخرفها ويوشك أن تزين :

وترد هذه الشبهة :

بأن نعيم الدنيا وجنتها المصطنعة ليتضاءلان تضاؤلا تاما أمام ما فى الآخرة من جنة ونعيم :

إذ كيف تطاول جنة الدنيا — لو جاز التعبير هذا — جنة الآخرة .

والأولى قصيرة الأمد ، والأمل . . مهددة بالزوال والفناء فى كل وقت وآن .

والثانية باقية خالدة مؤمنة اليوم والغد هذه واحدة ،

والثانية أن النعيم الحسى ليس هو كل نعيم أهل الجنة فهناك مسرات

---

(١) إنجيل متى : الاصحاح ٢٦ — ٢٩ .

(٢) إنجيل متى الاصحاح ٢٢٠ — ٢٣٠ .

(٣) إنجيل يوحنا الاصحاح ١٤ — ٢٠

(٤) بمعنى إلا إذا كان مكونا من روح وجسد .

الروح التى يتحدث عنها القرآن الكريم حيث يقول « تعرف فى وجوههم نضرة النعيم »(١) .

ثم لاخوف ولا حزن ولا حزن « إدخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون »(٢) .

ثم أن نجاتهم من النار ونظرتهم إلى المعذبين الأشقياء نعيم لايعدله نعيم « وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور . . . . الذى أحلنا دار المقامة من فضله لايمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب»(٣)

هذا هو النعيم النفسى الخالد الذى يجد الإنسان فيه السعادة المطلقة .

هذا هو نعيم الآخرة وهذه جنتها هل تطاولها هذه الشهوات الجامحة التى أقامها بعض الأدباء لأنفسهم فى دنيا متقلبة الأوضاع والأشكال مهددة بالزوال والفناء فى كل لحظة .

ولاشك أننا أطلنا الوقوف مع الأبرار فى جنتهم فلنذهب إذن لنرى كلمة الإسلام فى عقاب العاصين فإننا سنراه يقرر أن هناك نكالا ينتظر هؤلاء العاتين المتجبرين فى هذه الحياة .

والواقع أن الذى يقرأ آيات القرآن الكريم التى تحدثت عن النار وما فيها من عذاب وبوار فإن نفسه تجيش بمشاعر الفزع والألم .

ولقد أطال القرآن الكريم فى وصفه للنار وفى وصف أدوات التنكيل

---

(١) سورة المطففين : ٢٤
(٢) « الزخرف : ٧٠
(٣) « فاطر : ٣٤

والتعذيب بها وفى وصف الأطعمة والأشربة بها ، وفى وصف حراسها ، وفى بيان حال المعذبين حتى تنفر القلوب منها وتعمل جاهدة لتبتعد عنها .

وسنكتفى فى كل عنصر من هذه العناصر الذى كون بها الإسلام عقيدته عن النار بآية واحدة .

مخافة الإحالة وتدع للقارىء النظر فى القرآن الكريم متى أراد المزيد .

فى وصف أصحاب النار وبيان حالهم . . يتحدث القرآن الكريم :

« والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ، ولا يخفف عنهم عذابها كذلك نجزى كل كفور ، وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير » (١) .

وفى وصف النار . يقول :

« كلا . لينبذن فى الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التى تتطلع على الأفئدة إنها عليهم موصدة فى عمد ممدده » .

وفى وصف أدوات التنكيل بها . يقول :

« ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه » (٣) .

« ولهم مقامع من حديد » (٤) :

---

(١) سورة فاطر : ٣٥ — ٢٦

(٢) « الهمزة : ٤ — ٩

(٣) « الحاقة : ٣٢ .

(٤) « الحج : ٢١

وفى وصف الأطعمة والأشربة التى تقدم لأهل النار، يقول :

« ليس لهم طعام إلا من ضريع — لايسمن ولايغنى من جوع »(١).

« وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا »(٢) :

وفى وصف حراسها والقائمين بالتعذيب فيها . يقول :

« عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »(٣).

هذه أمثلة فردية من آيات عديدة تناثرت فى القرآن الكريم تشرح ماسيكون عليه العصاة يوم القيامة :

ولكن الإسلام الذى أطال فى عرضه لما ينتظر المجرمين يوم القيامة هو نفسه الذى أفسح لهم باب الرجاء والخلاص منها :

فلقد جاءت الشريعة الإسلامية — بعد أن ذكرت جانب العذاب ، والنكال — لتذكر جانباً آخر تدنى منه مواكب الأمل وتفتح لهم دواعى العمل للجنة وسنوجز هذه الدواعى فيما يلى :

١ - فتحت للعاصى باب المتاب :

والتوبة تدبير حكيم وأمر عجيب لم تختص ببار ولا بفاجر بل من زلت قدمه فآب إلى ربه بنية خالصة صادقة وعزم أكيد ألا يعود إلى الجريمة

---

(١) سورة الغاشية : ٦
(٢) « الكهف : ٢٩
(٣) « التحريم : ٩

ثانية وكان حراً مختار فى هذه الأوبة وهو سليم معافى وجد الله غفاراً لذنبه ماحياً له :

وهذا الطريق الكريم سلكه آدم فتاب الله عليه يوم أكله من الشجرة كما سلكه موسى فنال محو ذنبه يوم قتل المصرى انتصاراً للاسرائيلى وسلكه يونس وهو فى ظلام بطن الحوت فأخرجه آمناً وتاب عليه والأمثلة كثيرة والتوبة تمحو اليأس من النفوس ويزيل منها قنوطها من رحمة الله :

٢ - بينت أن العمل الصالح يمحو الذنوب الصغائر من الذنوب وأن الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها وفى هذا زيادة ضخمة فى رصيد العامل .

لقد كان العدل يقتضى أن الحسنة بمثلها ، كما أن السيئة بمثلها ولكن رحمة به أحاطت الناس وشملتهم بعطفها ورحمتها .

ولك أن تنظر معى إلى إنسان يسىء عشرة مرات ويحسن واحدة فقط هل هذا إنسان ، لقد اعتبره الإسلام إنساناً ناجياً من عذاب الله ، أى فضل غامر مثل هذا الذى يغمر الله به عباده ، إن تسعة أعشاره فى الظلام وعشرة فى النور ثم هو مع ذلك لا يزال فى سجل الناجين المباركين :

« ويقول ابن مسعود رضى الله عنه : هلك من غلبت واحدته أعشاره » .

٣ - رفع القنوط من رحمة بعد أن بين أنها وسعت كل شىء وأنها تشمل الذنوب كلها عدا الشرك به ، فهو يدعو الخاطئين جميعاً مهما كان جرمهم ، غير الشرك ، ألا ييأسوا من رحمته ، « ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ، ثم لا تنصرون » .

وبذلك نرى أن الإسلام رسم سياسة فى الترغيب والترهيب لم تضارعها

سياسة مهما بلغ شأنها فهى أعدل سياسة يستقيم إليها شأن الناس وتصلح بها دنياهم وآخرتهم معا :

يقول الرسول ﷺ : «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع فى جنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد» :

ومن هنا ندرك أن عقيدة الإسلام فى اليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب تقوم بين اليأس والرجاء ، أما الرجاء المطلق فهو كاليأس المطلق يفقد العزيمة ويقضى على العمل والمبادرة إليه :

وقد بين أن الطريق إلى الجنة ليس طريق الأمانى والأحلام وإنما هو طريق العمل والكفاح ومغالبة النفس ونهى الشهوات وأن تجنب النار يكون بتجنب طريقها ونقض يده من المآثم التى تدعو إليها .

وبذلك أرانى : قد «أوضحت عقيدة الإسلام فى الثواب والعقاب الآخرويين» .

باقى مشاهد يوم القيامة

- الصراط
- الحوض
- العرش
- الكرسى
- القلم
- اللوح
- الكاتبون
- الملائكة
- الجن

بقيت من السمعيات مشاهد شتى سمعنا عنها من كتابنا الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقالها لنا الأمين على وحى الله والصادق المصدوق - ﷺ فوجب علينا الإيمان بها فمنكرها كافر وهذا الفصل الأخير من حديثنا عن العقيدة الإسلامية يتناول بإيجاز بيان العقيده الإسلامية عن هذه المخلوقات العجيبة التى خلقها الله - تعالى لحكمة انفرد بها وعجز العقل البشرى عن إدراك سرها أو كشف له الحجاب عن بعضها دون البعض الآخر مثل : الصراط - الحوض - العرش - الكرسى - القلم - اللوح - الكاتبين - الملائكة - الجن .

فهذه جميعها مخلوقات وجب علينا الإيمان بوجودها بموجب سماعنا عنها من القرآن الكريم أو السنة المطهرة وسنشاهدها يوم القيامة فما هى حقيقتها والدليل على وجودها - الفصل التالى يوضح ذلك فإلى هناك .

• - الصراط :

عندما ينتهى الحساب يأخذ الناس طريقهم إلى الجنة أو النار فيعترض الصراط طريقهم إلى هذه الغاية فيمرون من عليه ليصلوا إلى دار ثوابهم أو عقابهم .

فما هو الصراط . . ؟ وما هى مذاهب العلماء فى حقيقته . . ؟ وما هى أوصافه ؟ . . وما حكم من أنكر وجوده ؟ وما الحكمة من وجوده ؟

(أ) ما هو الصراط :

الصراط لغة .. الطريق الواضح .

واصطلاحا . . جسر ممدود على ظهر جهنم يرده الأولون والآخرون فتمر عليه جميع الخلائق حتى الأنبياء والصديقون والذين يدخلون الجنة

بغير حساب ويستثنى مَن الذين يمرون من على الصراط طائفة من الكفار يعجل بإلقائهم في النار . . والصمت يعم جميع المارين إلا الأنبياء فإنهم يقولون سلم سلم .

(ب) مذاهب العلماء في حقيقته :

للعلماء في حقيقة الصراط مذاهب شتى نذكر منها ما يلي :

١ — أهل السنة :

الصراط جسر ممدود على ظهر جهنم جبريل في أوله وميكائيل في وسطه ليسألا الناس عن شبابهم فيما أبلوه وعن عملهم فيما عملوا به وعلى جنبيه كلاليب مأمورة أن تأخذ من أمرت به من العصاة فتلقى به النار وأن به طريقين اليمين لأهل السعادة والشمال لأهل الشقاء ، والصراط عند أهل السنة حقيقة لأنه ليس هناك ما يمنع من وجوده على حقيقته بتلك الصفات فحقيقته بتلك الصورة ممكنة وقد ورد ذكره في القرآن الكريم والسنة الصحيحة وليس هناك ما يدعو لتأويل النصوص وصرفها عن ظاهرها .

٢ — مذهب المعتزلة :

الصراط طريق الجنة وطريق النار أو كناية عن الأعمال المروية التي يؤخذ بها العبد كأنه يمر عليها ، فالمعتزلة لم يعترفوا بالصراط على حقيقته المشهورة بل صرفوه عن ظاهره فليس هناك — في مذهبهم — صراط حقيقي ممدود عن متن جهنم يمر عليه الناس كما يرى أهل السنة بعد أن اشتبه عليهم ماذكرت الأحاديث للصراط من أوصاف خالوها متعارضة .

٣ — مذهب بعض العلماء :

الصراط هو الأدلة الواضحة ، فليس هناك صراط بالمعنى الحقيقي الذي ذهب إليه أهل السنة .

(ج) وصف الصراط :

للعلماء فى وصف الصراط أقوال ثلاثة :

الرأى الأول :

أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف وأن الملائكة تقوم على حافتيه وعلى جنبيه كلاليب وأن به طريقين طريق اليمين لأهل السعادة وهو ينتهى بهم إلى الجنة وطريق الشمال للأشقياء حيث ينتهى بهم إلى النار وقد استند أصحاب هذا المذهب فيما ذهبوا إليه - من وصف الصراط - إلى مايلى :

قال أنس بن مالك : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وإن جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتى وإنى لأقول يارب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير)(١) .

فالحديث إذن يوضح لنا أن الصراط موصوف بأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف .

وقال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله ﷺ :

(يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطا طيف

(١) الحديث من كتاب إحياء علوم الدين للغزالى . ص ٢٩٧٧ مطبعة دار الشعب وقد نبه عن الحديث فى الهامش بأنه رواية البيهقى فى الشعب وقال هذا إسناد ضعيف ثم يقول الهامش « وروى عن زياد النميرى عن أنس مرفوعا الصراط كحد الشعرة أو كحد السيف قال وهى رواية صحيحة انتهى رواه أحمد من حديث عائشة وقيل ابن لهيعة ،

تختطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم)
الحديث متفق عليه مع اختلاف الألفاظ .

فالحديث يوضح لنا ما على الصراط من كلاليب وخطاطيف وملائكة ، وهذا الرأى هو المشهور .

الرأى الثانى :

الصراط عريض وبه طريقان طريق لأهل الجنة وطريق لأهل النار .

الرأى الثالث :

أصحاب هذا المذهب حاولوا التوفيق بين المذهبين السابقين فقالوا : الصراط يدق تارة ويتسع أخرى بحسب الأعمال وبحسب ضيق النور وانتشاره فإن نور الشخص لا يتعداه إلى غيره ، وعلى هذا فإن الصراط يكون دقيقا فى حق قوم وعريضا فى حق أقوام آخرين .

(د) أقسام العباد فى مرورهم على الصراط :

يقسم العلماء الناس فى مرورهم على الصراط إلى فريقين :

١ - الفريق الأول سالم من الوقوع فى النار وهذا الفريق الناجى من الوقوع فى النار تتفاوت سرعة مروره من على الصراط بقدر إعراضه عن حرمات الله فمن كان أسرع إعراضا عن حرمات الله كان أسرع جوازاً للصراط . . إذن فالمدة التى يقضيها هذا الفريق الناجى متفاوتة .

٢ - فريق غير سالم من الوقوع فى النار وهم الكفار والمنافقون وبعض عصاة المؤمنين ، وهذا الفريق الغير سالم ينقسم إلى قسمين :

. القسم الأول : يبقى بعد سقوطه من على الصراط فى النار أبد الأبدين فلا يخرج من النار أبدا . . وهم الكفار والمنافقون .

القسم الثانى : يبقى فى النار بعد سقوطه فيها فترة قد تطول أو تقصر بقدر المعصية ثم ينجو بعد ذلك من النار .

(هـ) حكمة المرور من على الصراط :

الحكمة من مرور الناس من على هذا المعبر هى :

١ - ظهور فضل الله - تعالى - على عباده - لمنة النجاة من النار وفوزهم بعبور الصراط .

٢ - تحسر الكفار والمنافقين بسقوطهم فى النار ورؤيتهم المؤمنين يعبرون وينجون .

(و) حكم من أنكر وجوده :

من أنكر وجود الصراط أصلا فهـو كافر لانكاره ماثبت بالقرآن الكريم والسنة لكن من أنكر كيفيته فإنه يكون فاسقا فقط .

(ز) الدليل عليه :

الصراط ثابت بالقرآن والسنة والإجماع .

فقد ورد ذكره فى القرآن الكريم فى آيات كثيرة منها :

(فاستبقوا الصراط) (١) .

وقوله تعالى : (فاهدوهم إلى صراط الجحيم ، وقفوهم إنهم مسئولون) (٢)

ومن السنة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ (يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أول من يجيز بأمته من الرسل ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم) .

---

(١) الصافات ٢٣ - ٢٤

وكذا الإجماع فقد أجمع السلف الصالح على وجود الصراط. وفي نهايته يختلف العلماء فبعضهم يرى أن نهايته الجنة والبعض الآخر يرى أن في نهايته مرج الجنة الذي به الدرج الموصل للجنة .

تعقيب :

مرور جميع الخلائق فوق الصراط المنصوب فوق متن جهنم يفسر قول الله تعالى (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ، ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) (١) .

فجميع الخلائق ترد جهنم بمرورهم فوق الصراط حتى الأنبياء والشهداء والصالحون فتأخذ الكلاليب العصاة والكفار فتلقيهم في النار وينجو المؤمنون الصالحون والشهداء والأنبياء ومرور الناس من على الصراط يختلف بالأعمال فمنهم من يجتازه كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق الخاطف أو كالطير أو كالجراد ومنهم من يجتاز سعيا أو مشيا أو حبوا .

أما المادة المخلوق منها الصراط وطوله الحقيقي وعرضه وغير ذلك من الأوصاف الدقيقة فإن علمه مفوض إلى الله . تعالى .

وأن المؤمنين جميعاً يعترفون بالصراط في الجملة والمعتزلة يصرفون النصوص عن ظاهرها وأهل السنة يبقون على ظاهرها فكلتاهما تعترف بالصراط لكنهما يختلفان في حقيقة .

والصراط هو المكان الذي يكون عليه الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات يوم القيامة (فعن عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله

---

(١) مريم : ٧١ - ٧٢ .

ﷺ عن قوله عز وجل « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات فأين يكون الناس يومئذ يارسول الله ؟ فقال على الصراط(١) والصراط ممكن فإن الله القادر على أن يطير الطير فى الهواء قادر على تسيير الإنسان على الصراط .

• ـ الحوض :

عندما يشتد الموقف بالناس يظهر الله سبحانه وتعالى كرامة هذه الأمة وخصائصها فتكون للرسول ﷺ هذه المكرمات .

(أ) الشفاعة العظمى .

(ب) أن يكون هو وأتباعه أول من يجوزون الصراط .

(جـ) أن يمد للأمة المحمدية حوض من شرب منه لايظمأ حتى يدخل الجنة . فما هو هذا الحوض ؟ وما الدليل عليه ؟ وما هو محله ؟ ومن الذى يرده ومن الذى لايرده . وما هى آراء العلماء فى حقيقته ؟

[illegible]

الحوض [illegible] متسع الجوانب يكون على الأرض المبدلة من شرب منه لايظمأ أبداً [illegible] محمد ﷺ ولكل نبى حوض ترده أمته المؤمنة بدعوته .

---

(١) صحيح مسلم ج ١٧ [illegible]

٢ - الدليل عليه .

الحوض ثابت بالسنة فقد روى الصحيحان عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما . أن رسول الله ﷺ قال :

(حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبداً) .

وإذا كان من يشرب من الحوض لا يظمأ أبداً فلماذا يشرب أهل الجنة فى الجنة ؟ . والجواب أن الشرب فى الجنة للتلذذ و التنعيم لا للظمأ .

والحوض بهذه الأوصاف التى ذكرها الحديث تكاد تبلغ مبلغ التواتر وكلها مجمعة على نسبة الحوض إلى نبيا محمد ﷺ وإن اختلفت فى سعته وبعض أوصافه .

فنى بعضها أن سعته مسيرة شهر وفى البعض الآخر أنه مسيرة شهرين وفى بعضها كالمسافة بين مكة وأيلة أو كالمسافة بين عدن وعمان والمسافة بين كليتهما مسيرة شهر أو ما بين صنعاء والمدينة وذلك مسيرة شهرين أو بين المدينة وبيت المقدس ذلك لأن الغرض بيان أنه واسع جدا ولأن الرسول كان يقصد تقريب الفهم إلى السامعين فيمثل لكل فئة بما تفهم فليس فى ذكر الأوصاف تعارض أو تغاير أو اختلاف ولأن الله - تعالى قد يتفضل باتساعه شيئاً فشيئاً فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بالمسافة القصيرة . أولا ثم بالطويلة . ثانياً فالأطول . ثالثاً والمعول عندنا أطول المسافات .

٣ – مكان الحوض :

لم يرد فى السنة الصحيحة تحديد لمكان الحوض وبناء عليه فقد اختلفت الأقوال فيه إلى ثلاثة أقوال .

(أ) الجمهور . الحوض محله قبل الصراط واستأنسوا لذلك بأن الناس سيخرجون من قبورهم عطاشا فيردون الحوض .

(ب) بعض العلماء الحوض محله بعد الصراط واستأنس ذاك البعض لرأيه هذا بأن مياه الحوض ترد إليه من نهر الكوثر وهو نهر بداخل الجنة فلو كان الحوض قبل الصراط لحالت النار بينه وبين الماء الذى ينصب فيه من الكوثر .

وقد اعترض على أصحاب هذا المذهب بأنه لو كان بعد الصراط عند الجنة لما كانت هناك حاجة إليه ذلك لأنهم أصبحوا فى دار الثواب التى بها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فليست هناك والحالة هذه حاجة إلى شربة ماء من الكوثر .

وقد أجيب عن هذا الاعتراض بأن الناس تحبس بعد الصراط فى موقف القصاص لأجل أن يتحللوا من المظالم التى بينهم فيحتاجون إلى الشرب منه حينئذ .

(جـ) بعض العلماء للنبى ﷺ حوضان أحدهما قبل الصراط والثانى بعده وهذا الرأى فى تقديرجاء للتوفيق بين الرأيين السابقين ، وأصح الآراء فى تقديرى هو الرأى الأول والذى يجب إعتقاده أن للنبى ﷺ حوضاً ولا يضر بعد ذلك كونه قبل الصراط أو بعده فمن أنكره يفسق لثبوته بالحديث فقط .

٤ - من الذى يرده ومن الذى لا يرده ؟

يرد هذا الحوض ويشرب منه من وفى بهذا العهد الذى أخذه الله تعالى على الناس وهم فى عالم الذر حين قال لهم : ألست بربكم ، قالوا : بلى شهدنا فمن استمر على عهده ولم يشرك بالله شيئا نال هذه الميزة وأول من قال بلى شهدنا على أنفسنا هو نبينا محمد ﷺ .

وهذا الوصف وإن شمل مؤمنوا الأمم السابقة إلا أنه خلاف الظاهر من الأحاديث التى تدل على أنه لا يرده إلا مؤمنوا هذه الأمة لأن كل أمة إنما ترد حوض نبيها .

وأحوال الناس فى الشرب مختلفة فمنهم من يشرب للظمأ ومنهم من يشرب للتلذذ ومنهم من يشرب لتعجيل المسرة ، وأطفال المسلمين ذكورهم وإناثهم حول الحوض يسقون آباءهم وأمهاتهم إلا من سخط لفقدهم .

وأما الذين لا يردون هذا الحوض ولا يشربون منه فهم المطرودون لتغيرهم العهد وتبديلهم إياه حتى ماتوا على ذلك وهذا الصنف المحروم من ورود الحوض يشمل مايلى :

(ا) المرتد .

(ب) من أحدث فى الدين ما لا يرضاه الله تعالى كأهل الزيغ والبدع .

(جـ) من خالف ما أجمع عليه المسلمون .

(د) المجاهر بالكبائر المستخف بعصيان الله الجرىء على حدوده .

(هـ) الظلمة والجائرون .

لكن هل هذا الطرد أبدى أم موقوت العلماء فى ذلك فريقان الرأى .

الأول : يرى أن طردهم أبدى وهو رأى مرجوح .

الرأى الثانى : أن المطردين قسمان .

(ا) قسم يطرد حرمانا وهم الكفار وهؤلاء لايشربون أبدا .

(ب) قسم يطرد عقوبة له ثم يشرب بعد ذلك وهم عصاه المؤمنين فيشربون قبل دخولهم النار لاستيفاء فترة العقاب وهو الرأى الراجح .

٥ - آراء العلماء فى حقيقة الحوض :

العلماء فى حقيقة الحوض فريقان :

(ا) المعتزلة : . . ويرون المراد من الحوض إنما هو نوع من رضوان الله تعالى ونعمته . . وليس هناك فى اعتقادهم حوض بالمعنى المتبادر الظاهر من الأحاديث موصوفا بهذه الصفات التى ذكرتها . . ولعل الذى دفع المعتزلة إلى مذهبهم هذا هو ما أبصروه من تضارب روايات الحديث فى ذكر صفات الحوض .

(ب) أهل السنة وهؤلاء يرون أن المراد بالحوض هو الحوض بهذه الصفات التى ذكرتها روايات الحديث الكثيرة المتواترة وفى رأيهم أنه ليس هناك ما يمنع أن يكون رضوان الله بهذه الصورة التى وردت فى الأحاديث ، وليس هناك مايدعو إلى صرف هذه النصوص عن ظاهرها مادامت الحقيقة ممكنة .

- العرش والكرسى :

الله سبحانه تعالى هو الخالق المتصرف ومن مظاهر عظمة الألوهية وجلالها أن يكون له - سبحانه وتعالى - عرش وكرسى وقد ثبت وجودهما بالقرآن الكريم قال تعالى :

(الرحمن على العرش استوى) وقال تعالى : (وكان عرشه على الماء) وقال تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض) :

وقد وردت آثار تدل على أن العرش فوق الكرسى وأن الكرسى يحيط بالسموات السبع وأن العرش من فوقه يحيط بالعالم فهو كروى أو كالقبة فوق العالم وأنها أجسام نورانية أو مخلوقات من زبرجد خضراء أو من ياقوته حمراء والأولى فى تقديرى الإمساك عن الخوض فى هذه التفاصيل التى لم يرويها نص متواتر .

ونظراً لتعدد الأوصاف التى ذكرتها الآثار فإن العلماء يختلفون فى بيان حقيقة العرش إلى أقوال ثلاثة .

القول الأول : يذهب إلى أن العرش جسم عظيم علوى نورانى كروى محيط بجميع الأجسام .

القول الثانى : يذهب إلى العرش جسم عظيم علوى نورانى ليس كرويا بل هو قبة فوق العالم ذات أعمدة أربعة تحمله فى الدنيا أربعة ملائكة وفى الآخرة ثمان لزيادة الجلال والعظمة .

القول الثالث : يذهب إلى الإمساك عن بيان حقيقة العرش لعدم القطع بها وهذا هو الرأى الأول فى تقديرى ويكفى أن نؤمن بأن هناك عرشا

وأن العرش يحمله الآن أربعة من الملائكة كما وردت فى بعض الأحاديث وفى تحميله ثمانية لقول الله تعالى: (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) لزيادة الجلال والمهابة .

وكما اختلف العلماء فى حقيقة العرش لتعدد أوصافه اختلفوا كذلك فى الكرسى لتعدد أوصافه إلى ثلاثة أقوال :

القول الأول : للحسن البصرى ويرى أن الكرسى فوق العرش .

القول الثانى : لإبن عباس ويرى أن الكرسى جسم عظيم نورانى تحت العرش ملتصق به فوق السماء السابعة .

القول الثالث : الإمساك عن الجزم بتعين حقيقته لعدم العلم بها وهو الأولى . فيجب الإيمان بأن لله تعالى كرسيا لأن القرآن قال (وسع كرسيه السموات الأرض) أما عن بيان حقيقته فإن القرآن قد أمسك عن ذكرها فيجب علينا أن نتوقف عندما وقف القرآن الكريم وهو الأسلم والأحوط .

• — القلم واللوح والكاتبون:

ورد ذكر ثلاثها فى القرآن الكريم . فقال الله تعالى يقسم بالقلم والكاتبين : ن والقلم ومايسطرون) وقال عن اللوح : (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) فما هى حقيقة كل ؟ وماهى الحكمة من خلق هذه المخلوقات؟

ما هو القلم ؟

القلم هو جسم عظيم نورانى خلقه الله تعالى وأمره أن يكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة .

وقد قيل إن القلم هو اليراع من القصب وقيل غير ذلك والأولى أن تمسك عن حقيقته فإنه من الأمور الغيبية التى لم يخبرنا بها الصادق الأمين فيكفى الإيمان به ويفوض العلم بحقيقته لله تعالى .

ماهو اللوح ؟

اللوح : هو جسم نورانى كتب فيه القلم بإذن الله ما كان وما يكون إلى يوم القيامة .

فهو يكتب فيه الآن على التحقيق من أنه يقبل المحو والتغيير .

وقد قيل إن اللوح له وجهان : أحدهما من ياقوتة حمراء والآخر من زمردة خضراء وهذا فى تقديرى رأى مرجوح والأولى الإمساك عن بيان حقيقته لما ذكرناه سلف فى القلم .

الكاتبون :

ينقسم الملائكة الكاتبون إلى ثلاثة أقسام :

١ — الكاتبون على العباد أعمالهم فى الدنيا .

وقد اختلف فى هذه الكتابة ماحقيقتها فقيل إنها كتابة حقيقية وقيل إنها كناية عن الحفظ والعلم . فيجب الإيمان بأن هناك كتابة مفوض علم حقيقتها إلى الله فمن أنكرها أصلا يكون كافر والحكمة منها أن يقبل العبد على الطاعة ويستحى من المعصية .

٢ — الكاتبون من اللوح المحفوظ ما فى صحف الملائكة الموكلين بالتصرف فى العالم كل عام .

٣ — الكاتبون من صحف الملائكة كتابا يوضع تحت العرش .

تعقيب :

١ ــ هذه المخلوقات من عرش وكرسى وقلم ولوح وملائكة يكتبون وجدت لا لحاجة الله إليها لأن الله غنى عن من وما سواه كما ذكرنا عند حديثنا عن صفة القيام بالنفس فهى إما أن تكون قد وجدت لحكمة عليا يعلمها سبحانه وتعالى وقد يدرك العقل البشرى شيئا من ذلك وقد لا يدركه فيجب تفويض علمه إلى الله تعالى مع وجوب الإيمان به فهو سبحانه وتعالى لم يخلق العرش للاتقاء ولا الكرسى للجلوس عليه ولا القلم لتدوين ما قد ينساه أو يغفل عنه ولا الكاتبين لتدوين ما قد يغيب عنه ولكن لحكمة يعلمها هو ـ تعالى ـ أو بدون حكمة لأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

٢ ـ يجب الإيمان بهذه المخلوقات جميعها لورودها فى الكتاب والسنة فمنكرها كافر والإيمان بها تعبدى .

ــ الملائكة :

الملائكة عالم غيبى غير محسوس لا يعلم حقيقته إلا الله وحديثنا عن الملائكة ينحصر فى هذه النقاط الآتية :

١ ــ من هم الملائكة ؟

٢ ــ أصنافهم .

٣ ــ أوصافهم .

٤ ــ عصمتهم ورد الشبهات حولها .

٥ ــ التفاضل بينهم وبين الأنبياء .

فلنبدأ على خير .

١ — من هم الملائكة :

الملائكة فى اللغة جمع ملك أو ملاك وهو مشتق فى اللغة من الألوكة بمعنى الرسالة حيث أن بعضهم كان واسطة بين الله وخلقه لتبليغ الوحى .

وأما فى الشرع فهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل بالاشكال الحسنة فقط .

وكان الرسل عليهم الصلاة والسلام يرونهم تارة على صورتهم الحقيقية وتارة بأشكال أخرى ونحن لم نكلف بمعرفة جوهر الملائكة ولا أشكالهم فإذا أخبرنا أنهم ذوو أجنحة فهم كذلك من غير أن نخوض فى شكل الأجنحة ولا كنهها وإنما وجب علينا التسليم بما جاء به القرآن والسنة كما وجب علينا أن نقف عندما توقف .

٢ ـ أصنافهم :

الملائكة عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . لم تركب فى تكوينهم الشهوة . وهم ليسوا ذكورا ولا إناثا من وصفهم بالذكورة فهو فاسق ومن وصفهم بالانوثة فهو كافر لتكذيبه قول الله ـ تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون) .

وهم جند الله لا يعلم كنههم ولا مقدار عبادتهم ولا هيآتها إلا الله لقوله تعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو) .

ولكن ورد لهم تصنيف بحسب ما يوكل إليهم من أعمال فما هي أصنافهم بهذا الاعتبار .

١ — الحافظون والكاتبون .

الحافظون هم فريق من الملائكة عهد الله - تعالى إليهم بحفظ خلقه من المضار . وهؤلاء الحافظون هم لأفراد الإنس خاصة - وقيل إن للجن حفظه كذلك . أما الملائكة فالظاهر أنه لاحفظة عليهم .

يقول الله - سبحانه وتعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفة يحفظونه من أمر الله) وهؤلاء الحافظون غير الكاتبين .

فالحافظون للحفظ فقط الكاتبون لتدوين مايفعل الإنسان من خير أو شر والكتبة ملكان لكل إنسان كل منهما رقيب أى حافظ وعتيد أى حاضر فليس أحدهما رقيبا والآخر عتيدا كما يتوهم البعض ولكن كلا منها موصوف بأنه رقيب عتيد أى حافظ حاضر قال تعالى ، (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) كما ثبت أن الكتبة يفارقون الإنسان فى ثلاث حالات عند قضاء الحاجة وعند الجماع وعند الغسل ويجعل الله لهم علامة على ما يصدر من العبد فى هذه الحالات الثلاث فيكتبونه . وليست الكتابة - كما ذكرنا سلفا - لحاجة دعت إليها فإنه سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور وإنما ليقيم الحجة على العبيد يوم يعطى كل منهم كتابه فيقول (ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرا ولايظلم ربك أحدا) .

وقد ثبت أن أحد الملكين مختص بكتابة الحسنات والآخر مختص بكتابه السيئات وأن ملك الحسنات أمير على ملك السيئات .

بقى سؤال هل المباحات تكتب أم لا ؟ . . رأيان أصحهما أنها تكتب لقوله تعالى (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) كما ثبت أنهما يلازمان الإنسان منذ ميلاده إلى وفاته وقد ثبت أنهما إثنان ثابتان كما ورد أنهما يتعاقبون اثنان نهارا وإثنان ليلا يتعاقبون

عند صلاة العصر وعند صلاة الصبح ، كل هذا ثابت بالأحاديث الصحيحة ولكن ...

هل الكتابة حقيقة ؟ وهل هي على قرطاس ؟ وما الأدوات التي تستعمل فيها ؟ وماهى لغة الكتابة ؟ هذه كلها أمور التفويض فيها مطلوب بل واجب لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخبرنا بتفاصيلها فيترك علمها لله .

على أن هناك فريقا آخر من العلماء يرى أن الحفظة هم الكاتبون فالحفظة والكاتبون صنف واحد من الملائكة هذا الصنف موصوف بأنه حافظ كاتب .

وهذا الفريق يستدل على مذهبه هذا بقوله تعالى :

(وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون) فالكرام الكاتبين هم الحافظون فهم صنف واحد .

والرأى الأول : هو الأصح ذلك لأن كراما كاتبين فى الآية الكريمة معطوف على الحافظين بغير حرف عطف ذلك لأن مهمة الحفظة تخالف مهمة الكاتبين . وعدد الحفظة غير عدد الكاتبين .

٢ — حملة العرش :

هم أربعة من الملائكة ويوم القيامة سيزيدون إلى ثمانية قال تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) .

٣ — الحافون حول العرش :

وهم غير حملة العرش ويحدثنا القرآن الكريم عن هذا الصنف من الملائكة فيقول (وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم) .

٤ — ملائكة الجنة .

وهم جمع من ملائكة الله سيستقبلون عباد الله التائبين فى الجنة ويهنئونهم بها قال تعالى : (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) وعلى رأسهم رضوان .

٦ — ملائكة النار .

وهم جمع من ملائكة موكلون بالكفار والعصاة فى النار وهم المسمون بالزبانية قال تعالى : (فليدع ناديه سندع الزبانية) وقال تعالى : (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) ورئيس هذه الفئة هو مالك خازن النار ، قال تعالى فى شأن الكفار وهم ينادونه (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون) .

٦ — الموكلون بأحوال هذا العالم .

وهذا الصنف من الملائكة هو المعنى فى هذه الآيات :

(والصافات صفا) وبقوله : (والذاريات ذروا) ، أما قوله تعالى : (فالمقسمات أمرا) .

٧ ـ أكابر الملائكة :

وهذا الصنف يجمع هذا الجمع من ملائكة الذين ذكر القرآن الكريم والسنة الصحيحة أسماءهم مثل :

جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورضوان ومالك ومنكر ونكير وغيرهم .

٣ - أوصافهم :

لملائكة الله تعالى صفات عدة نذكر منها ما يلى أخــذاً من القرآن الكريم .

(ا) أنهم مقربون من الله والمراد من القرب هنا ليس قرب المسافة ولا المكان لأن الله منزه عن المكان والزمان وإنمــا المراد هنا القرب بالشرف .

(ب) أنهم عباد طائعون لايعصون الله أبداً ذلك لأنه لا سلطان للشيطان عليهم ولا مكان للشهوه فى تكوينهم ، قال تعالى (يسبحون الليل والنهار لايفترون) .

(جـ) أنهم لايفعلون شيئاً إلا بوحيه وأمره - تعالى قال تعالى فى شأنهم (لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) .

(د) أنهم متصفون بالقدرة الخارقة وآية ذلك متمثلة فيما يلى :

١ - أن ثمانية منهم تحمل عرش الرحمن يوم القيامة وإن الكرسى لهو دون العرش وجملة السموات السبع والأرض دون الكرس لقوله - تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض) .

٢ - أن صاحب الصور . وهــو القرن الكبير . بالغ من القوة ما يستطيع بها فى نفخة واحدة أن يصعق من فى السموات ومن فى الأرض ثم يستطيع بالنفخه الثانية أن يعيد من صعقوا ثانية إلى الحياة .

قال تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) .

إلى غير ذلك من الآيات التى تبين للناظرين مدى قدرتهم الخارقة المذهلة

(هـ) أنهم متصفون بصفة الخوف من الله تعالى : قال تعالى : (يخافون ربهم من فوقهم) .

٤ - عصمتهم :

لاشك فى عصمه الملائكة فهم كما ذكرنا خلق ركبوا من الطاعة وحدها وتساموا عن الشهوات وخلق هكذا تركيبه فإنه لاشك معصوم من الزلات قال تعالى فى شأنهم .

« لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) .

ولكن قد وردت بعض النصوص التى تدل بظاهرها على عدم عصمتهم ووقوعهم فى المعصية تمسك بظاهرها قوم فقالوا بعدم عصمتهم تكتفى منها فى مختصرنا هذا بهاتين الشبهتين ثم تبين كيف نرد عليها .

الشبهة الأولى :

عندما خاطب الله الملائكة بقوله (إنى جاعل فى الأرض خليفة) .
فقد اعترض الملائكة على قول الله هذا وردوا بما يحكيه القرآن الكريم عنهم .

(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) .

تقولهم هذا يعتبر أعتراضا ومعصية تخرجهم عن العصمة .

وترد هذه الشبهة بما يلى :

١ — أن سؤالهم هذا لم يكن اعتراضا وإنما كان استفهاما حقيقيا ولذلك كانت إجابتهم على سؤالهم هذا (إنى أعلم مالا تعلمون) فكأنهم -

إذن - كانوا يستفسرون عن الحكمة من خلق هذا النوع من المخلوقات الذى سيعصيه فأجيبوا بما أجيبوا به فالسؤال - إذن - لم يكن اعتراضا مؤديا إلى المعصية وإنما كان استفهاما عن حكمة غابت عنهم وذلك مشروع لا ينافى العصمة .

٢ - أن سؤالهم لم يكن للاعتراض وإنما كان على سبيل التعجب من كمال حكم الله وإحاطة علمه بما خفى عليهم .

٣ - قيل إن العبد المخلص فى حب سيده يكره أن يكون له عبد آخر يعصيه فكان سؤالهم على وجه المبالغة فى أعظام الله ، عز وجل :

الشبهة الثانية :

قصة هاروت وماروت فقد قيل إنهما ملكا وقعافى معصية تعليم الناس السحر فهذا دليل على عصمة الملائكة .

وترد هذه الشبهة بأن القصة التى رويت فى هذا الموضوع مختلفة من أساسها وهى أكاذيب اليهود الذين طعنوا فى عصمة الأنبيـــاء وعصمة الملائكة .

وقد رد الله سبحانه وتعالى على افتراءاتهم فى نفس الآية : (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) .

فكما كذب اليهود على سليمان - عليه السلام - وكفروه كذبوا كذلك على الملكين ونسبوا إليهما المعصية وقد أخبر الله سبحانه أنهما نزلا فتنة للناس واختبارا قال تعالى : (وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر) .

وهذا صريح فى طاعتهما وتنفيذهما أوامر الله سبحانه وتعالى : بأن يعلما الناس السحر امتحانا لإيمانهم وطاعتهم ، وقد حرم الله عليهم السحر، فهل ينتهون عنه أم يغريهم به الشيطان فيفرقون به بين المرء وزوجه وهذا يسير مع طبيعة التكليف (الم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)(١) .

• – آراء العلماء فى التفاضل بينهم وبين الأنبياء :

الله وحده هو الخالق لأجناس هذا العالم وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى : أن يتفاوت الخلق ويتفاضلون لحكمة يعلمها سبحانه :

وليس للعقل البشرى مجال فى إدراك هذا التفاضل إلا بقدر والمعول عليه فى هذا الأمر هو السمع ، وقد وردت نصوص تفيد أفضلية بعض العوالم على البعض الآخر ومن ذلك قوله تعالى :

« ولقد كرمنا بنى آدم » الآية(٢) :

فهذه المخلوقات البشرية فضلها ربها وكرمها سخر لهم ما فى السموات والأرض . . على أن بنى آدم ليسوا سواء فى التكريم بل إنهم يخضعون لهذا القانون العام « إن أكرمكم عند الله أتقاكم»(٣) .

ويشاركهم فى هذا التكريم ملائكة الله فهم عباد الله المكرمون .
ولقد اختلف العلماء تقدم الملائكة على الأنبياء أو تقدم الأنبياء على الملائكة فى هذا السبيل. نذكر هنا رأى الأشاعرة ثم نردفه برأى

(١) سورة العنكبوت : ١ ، ٢
(٢) « الإسراء
(٣) « الحجرات

الماتريدية ، وإن كان الأولى ، تقديرى الإمساك عن مثل هذه القضايا فإن الصمت حيالها أولى من الكلام فيها لكنها مسألة من مسائل العقيدة أثارها رجال الفكر الإسلامى رأيت إنما من الفائد أن أوجز ما قالوه عنها فاذا قال الأشاعرة ثم ماذا قال الماتريدية فى مسألتنا هذه .

(١) الأشاعرة :

يرى الأشاعرة أن أفضل الخلق على الإطلاق هو خاتم النبيين محمد ﷺ ويشاركهم فى هذا الرأى جميع المتكلمين إلا الزمخشرى الذى يرى أن جبريل عليه السلام أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم : ويستدل على مذهبه هذا بما يلى :

١ — بأن جبريل كان معلما لمحمد ﷺ . والأستاذ أفضل من التلميذ ، لكن هذا منقوض بأن التلميذ قد يفوق أستاذه .

٢ — بأن الله تعالى : قد وصف جبريل عليه السلام بأوصاف الخير الكثيرة واقتصر فى جانب محمد ﷺ بنفى الجنون وفى هذا مايدل على فضل جبريل على محمد عليهما السلام قال تعالى :

« إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وماصاحبكم بمجنون »(١) .

فقد وصف جبريل عليه السلام : بأنه رسول كريم ذى قوة ومكين ومطاع وأمين .

ثم بعد ذلك نفى الجنون عن محمد عليه السلام فقط فقال فى شأن « وما صاحبكم بمجنون » .

---

(١) سورة التكوير : ١٩

لكن يرد هذا بأن الآيات لم تسق لبيان التفاضل بين سيدنا جبريل وسيدنا محمد عليهما السلام حتى تكون دليلا على ما ذهب وإنما هذه الآيات سيقت للرد على القائلين: (إنما يعلمه بشر) والقائلين (افترى على الله كذبا أم به جنة) فاقتضى المقام وصف جبريل بهذه الأوصاف الكثيرة ونفى هذه الصفة عن محمد فقط ولو كان المقام مقام المفاضلة والموازنة لاختلف الوصف تماما على أن رسولنا - صلى الله عليه وسلم - قد وصف فى القرآن الكريم بأوصاف الخير كما فقال تعالى فى حقه : (وإنك لعلى خلق عظيم) وقوله (بالمؤمنين رءوف رحيم).

من هنا ندرك أن ماذهب إليه الزمخشرى من تفضيل جبريل على محمد - عليهما السلام لم يطعن فى إجماع الأمة على أن محمداً - ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق ثم يليه فى الفضل الأنبياء وهم متفاوتون فيما بينهم يقول الله تعالى. (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات»(١).

والرسل أفضل من الأنبياء لأنهم جمعوا بين النبوة والرسالة ولأن مهمة الرسول أشق من مهمة النبى وأولوا العزم أفضل الرسل ومن هنا فإن الأشاعرة يرتبون من حيث الفضل، أولى العزم من الرسل هكذا محمد ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم نوح عليهم جميعاً السلام ويلى أولى العزم فى المرتبة بقية الرسل ثم الأنبياء.

هذا ولا يصح الخوض فى تفضيل بعض الأنبياء على بعض وبعض الرسل على بعض بما ينقص من منزلتهم بل إن الأدب يقتضينا أن نمسك حتى لا تزل بنا القدم وقد قال عليه السلام (لا تفضلونى على يونس بن متى) تواضعاً منه عليه السلام وتعليما لنا حتى لا نخوض فى هذا الباب.

---

(١) سورة البقرة.

ثم يأتى بعد ذلك أكابر الملائكة ثم عامتهم فالترتيب حسبما يرى الأشاعرة هكذا . —

أفضل الخلق محمد ﷺ ثم يليه بقية أولى العزم عليهم السلام إبراهيم . فموسى فعيسى فنوح ثم بقيه الرسل ثم بقية الأنبياء ثم تأتى منزلة الملائكة ورؤسائهم فى المقدمة مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورضوان ومالك ثم بقية الملائكة ثم بقية البشر .

(ب) الماتريدية .

لقد فصل الماتريدية القول فى ذلك فقالوا الأنبياء أفضل من رؤساء الملائكة ورؤساء الملائكة أفضل من عامة البشر غير الفساق وعامة البشر غير الفساق أفضل من عامة الملائكة والعبرة فى التفضيل على هذا الرأى كثرة الثواب فعوام البشر الطائعون أفضل من عوام الملائكة لأن الملائكة معصومون أما عوام البشر الطائعون فإنهم يغالبون فى سبيل الوصول إلى ثواب الله هوى النفس والشيطان لكن الملائكة مجبولين على طاعة الله تعالى .

وبذلك نخلص إلى أن الماتريدية يرون أن الأنبياء أفضل المخلوقات يليهم فى الفضل رؤساء الملائكة ثم عامة البشر الطائعين ثم عامة الملائكة لمغالبة عامة البشر للشهوة دون الملائكة الذين جلبوا على طاعة الله تعالى

تعقيب :

١ — ليس هذا التفضيل داخلا فى أصل العقيدة ولذلك فإن لا يضير اعتقاد أحد الرأيين أوعدم اعتقاد أى شىء من ذلك والأسلم عدم الخوض وترك الأمر لله سبحانه وتعالى يحكم فيه بما يشاء .

٢ — يجب الإيمان إجمالا بأن لله تعالى ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله

وتفصيلا بمن ثبت تعينه بالشخص كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزائيل ومالك ورضوان أو ثبت تعينه بالنوع كحمله العرش والحفظة والكتبة فمنكر وجودهم كافر .

٥ - الجن :

من الأمور السمعية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم الجن والشياطين حيث يقول سبحانه وتعالى : (شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا)(١) .

فما هي حقيقة الجن . . ؟ وهل الجن هي الشياطين أم لا . . ؟ وما هو الدليل على وجود الجن . . ؟ فلنبدأ على خير إن شاء الله .

ماهى حقيقة الجن . . ؟

الجن أجسام نارية قادرة - بقدرة الله - على التشكيل بالأشكال الحسنة والقبيحة تحكم عليهم الصورة مكلفون بأصل الخلقة يأكلون ويتناسلون ويوصفون بالذكورة والأنوثة ومنهم الطائع والعاصى .

فالجن أجسام صافية هوائية لا لون لها وعنصرها النار كما أن عنصرنا التراب والنار والهواء عنصران لا لون لهما لكن اللون قد يحدث لهما عند امتزاجهما برطوبات ما تشتمل من وقود قال تعالى : (والجان خلقناه من قبل من نار السموم)(٢) .

---

(١) الأنعام : ١١٢ (٢) الحجر : ٢٧

هل الجن هي الشياطين . . ؟

الجن خلق من مخلوقات الله اختلف المفكرون فى العلاقة بينهم وبين الشياطين هل الشياطين هم الجن أم أن الشياطين خلق آخر غير الجن ليسوا من فصيلتهم رأيان . . ؟

الرأى الأول . . نسب إلى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما - أن نسل إبليس هم الشياطين وأما الجن فهم خلق آخر هم ولد الجان والشياطين كلهم عصاه وهم الذين يقومون بالوسوسة للإنسان أما الجن فإن فيهم المؤمن والكافر الطائع والعاصى . وهذا الرأى مرجوح .

الرأى الثانى . . نسب إلى الحسن البصرى . . . وهذا الرأى يرى أنه لا فرق بين الشياطين والجن فى الانتساب إلى فصيلة واحدة فكلاهما من نسل إبليس كما تناسل الإنس من نسل آدم .

والرأى الاول هو الاقرب إلى الصواب فقد ذكر الله سبحانه وتعالى أنه خلق الجان من مارج من نار وقال فى حق إبليس إنه كان من الجن ففسق عن أمر ربه وقال على لسانه (خلقتنى من نار) فالجن إذن مخلوقة من النار فإبليس إذن جنى والشياطين نوع من فصيلة الجن فلا فرق بين الجن والشيطان من حيث الجنس لكن الشيطان هو عاصى الجن وهو جندى من جنود إبليس مهمته تزيين الشر للانس والجن وإبعاده عن الحق أما الجن فنهم الطائع والعاصى مثل الإنس .

الدليل على وجود الجن وشبه النافين لهذا الوجود وردها :

ثبت وجود الجن بالقرآن والسنة .

فمن القرآن سميت سورة بأكلها باسمهم هى سورة الجن .
كما وردت آيات كثيرة تتحدث عنهم منها .

(أ) (يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان) (١) :

(ب) قوله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين) (٢) .

(ج) وقول حاكيا عنهم فى هذه السورة التى سميت باسمهم فقد قالوا عن أنفسهم (وأنامنا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) (٣) .

(د) أخباره تعالى عنهم بأنه سيخاطبهم يوم القيامة بقول (يا معشر الجن والإنس ألم يأتيكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى) (٤) .

ومن السنة الكثير . . فالسنة مشحونة بأن الرسول - ﷺ قابلهم وبلغهم الدعوة واستمعوا إلى القرآن وآمنوا به .

وقد أثنى عليهم ، ﷺ لما قرأ سورة الرحمن على الناس فسكتوا فقال إن الجن كانوا أحسن منكم ما قرأت عليهم فبأى آلاء ربكما تكذبان إلا قالوا ولا بشىء من آلائك ربنا تكذب فلله الحمد .

ورغم قيام هذه الادلة الدامغة فإن فريقا من علماء الكلام أنكروجود

---

(١) الرحمن - ٣٣ .   (٢) الأحقاف - ١٩ .
(٣) الجن - ١٤ - ١٥ .   (٤)

الجن وصرف الآيات عن ظاهرها وأدعى أن المقصود بالجن والشياطين هم أولئك الكفرة من الإنس وأنكر هذا العالم من مخلوقات الله تعالى .

وهذا قول بعيد عن الحق لمخالفته لصريح القرآن الكريم الذي يعلن عن وجود هذا العالم ومشاركته للإنس في التكليف .

يقول ابن حزم الأندلسي الظاهري فيما نحن بصدده

(لم ندرك بالحواس ولا علمنا وجوب كونهم ولا وجوب امتناع كونهم في العـــالم أيضاً بضرورة العقل لكن علمنا بضرورة العقل إمكان كونهم لأن قدرة الله تعالى لا نهاية لها وهو عز وجل يخلق ما يشاء ولا فرق بين أن يخلق خلقاً عنصرهم التراب والماء فيسكنهم الارض والهواء والماء وبين أن يخلق خلقاً عنصرهم النار والهواء فيسكنهم الهواء والنار والارض بل كل ذلك سواء وممكن في قدرته لكن لما أخبرت الرسل الذين شهدوا الله ، عز وجل . لهم بصدقهم بمـــا أبدى على أيديهم من المعجزات المحيلة للطبائع ، بنص الله عز وجل على وجود الجن في العالم وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم وقد جاء النص بذلك وبأنهم أمـــة عاقلة مميزة متعبدة موعودة متوعدة متناسلة يموتون وأجمع المسلمون كلهم على ذلك نعم والنصارى والمجوس والصائبون وأكثر اليهود حاشا السامرة فقط من أنكر الجن أو تأول فيهم تأويلا يخرجهم به عن هذا الظاهر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال قال تعالى : افتتخذونه وذريته أولياء من دوني) . أهـ (١) .

---

(١) الفصل في الملل والاهواء والنحل . . للامام علي بن حزم الاندلسي الظاهري جـ ٥ ص ١٢ مطبعة الخانجي .

وقد قلت سلفا إن هناك فريقا من الباحثين قــد أنكر وجود الجن وصرف الآيات الواردة فى شأنهم عن ظاهرها فما هى أدلة هذا الفريق النافى لوجود الجن على ماذهب إليه ؟ .

لهذا الفريق نذكرها ثم نردفها بمـا يبطلها .

الدليل الأول ورده .

أن الشيطان لوكان موجودا لـكان إما جسم لطيفا أو جسما كثيفا لـكن كونه جسما لطيفا أو كثيفا باطل فبطل ما أدى إليه من وجود الجن وهو المطلوب تفصيل الدليل .

أن الموجود الذى تنتفى عنه الجسمية هو الله وحده أما بقية الموجودات فلابد أن تـكون أجساما والجسمية لاتخرج عن هذين الصنفين فهى إما أن تـكون كثيفة أو لطيفة .

أما بطلان كون الجن جسما لطيفا ، فذلك لأنه لوكان جسما لطيفا لوجب أن يتمزق أو يتفرق عند هبوب الرياح أو زمجرة العواطف كما لزم عن كونه جسما لطيفا عجزه عن الإتيان بالأعمال الشاقة مع أن مثبتو وجود الجن ينسبون إليه أعمالا شاقة لهذا نفينـا أن يـكون الجن جسما لطيفا .

وأما بطلان كون جسما كثيفا فذلك لأن لوكان جسما كثيفا لوجب أن يراه كل من كان سليم الحس إذ لو جاز أن يكون بحضرتنا أجسام كثيفة ونحن لانراها لجاز أن يكون بحضرتنا جبال وشموس مضيئة ونحن لانراها وهذا باطل عقلا . لهذا بطل وجود الجن .

ويرد هذا الدليل :

بأنه مبنى على امتناع كون الجن جسما فلم يجوز أن يكون الجن جوهرا مجردا عن الجسمية على أنه فى مقدور الله أن يخلق جسما لطيفا لا تفرقه الرياح أو كثيفا . ثم يحجبه عن العيون السليمة المستقيمة الخلقة(١) .

الدليل الثانى ورده :

أن الجن لو كانوا حاضرين مخالطين للبشر فإن وجودهم ومخالطتهم البشر يقتضى واحدة من إثنتين :

إما الصداقة بمعنى أن يصادق الإنس الجن فينتج عن ذلك المنافع والخير للبلاد والعباد .

وإما أن تحدث العداوة . . بين الإنس والجن التى تؤدى بدورها إلى الضرر الذى يقع على البلاد والعباد لذلك .

فى وجود الجن إذن لو كانوا موجود آثار تدل عليهم سواء أكانت آثارا نافعة أو ضارة لكن هذه الآثار ليست بالموجودة فنفيها يدل على نفى المؤثر وهم الجن . . فالجن إذن ليست موجودة .

ويرد هذا الدليل بأنه ليس هناك تلازم قط بين وجودهم وبين مصادقتهم

---

(١) إرجع إلى كتاب مفاتيح الغيب للامام الرازى ص ٧٧ ج ١ : الطبعة البهية المصرية .

ومعاداتهم للبشر الذى ينتج عنها الخير والشر والتى بانتفائها ينتفى وجودهم . جائز جداً أن يخلق الله خلقاً يقاسموننا هـذا العالم ولا يصادقوننا أو يعادوننا ، لكنهم يقطنون الأماكن المهجورة من هـذه الأرض التى استخلفنا الله إياها ويقيمون فى البحار والهواء فصادقتنا لهم ، أو عداوتنا إياهم لا يزيد عن يكون لمجرد احتمال لا ينفى الوجود المصرح به فى القرآن والسنة .

الدليل الثالث ورده :

أن الطريق إلى معرفة الأشياء فهى إما الحس وإما الخبر وإما الدليل وحيث أنه لم يثبت لا بالحس ولا بالخبر ولا بالدليل وجود الجن فإن إثبات وجود الجن باطل .

وتفصيل هذا الدليل . . أن إدراك الموجودات راجع إلى واحد من طرق ثلاث فالإنسان إما أن يدرك الشىء بطريق الحس ، فيلمسها أو يراها أو يسمعها أو يشم رائحتها ، وإما ألا يحسها لكنه يخبرها من معصوم موثوق بقوله وإما ألا يحسها أو يخبر عنها من موثوق به لكنه يقام له الدليل الدامغ على وجودها .

لكن المشاهد أن دعوى وجود الجن لم تخضع لواحدة من هذه الثلاثة ذلك لأن أحداً لم يحس الجن بالرؤية أو سماع أصواتهم أو لمسهم والذين أدعوا ذلك ضرب من الدجالين أو المجـانين الذين لا يوثق فى أقوالهم ولا تصدق دعواهم .

كما أن إثبات هذه الأشياء بواسطة أخبار الأنبياء والرسل هو قول باطل يناقضه الواقع ذلك لأن هذه الأشياء لو ثبتت بأخبار الأنبياء والرسل لبطلت نبوة الأنبياء .

ذلك لأن تقدير نبوتها يؤدى إلى القول بأن كل ما تأتى به الأنبياء من المعجزات إنما قد حصل بإعانة الجن والشياطين (١) وكل فرع يؤدى إلى إبطال الأصل يكون باطلا وإثبات الجن بأقوال الرسل فرع عن إثبات النبوه لهم فإثبات الجن بأقوال الانبياء باطل .

كما أن إثبات هذه الاشياء بطريق الدليل قول باطل كذلك ذلك لأننا لا نعرف دليلا عقليا واحداً يدل على وجود الجن والشياطين . . .

فثبت إذن أنه لاسبيل لنا إلى العلم بوجود الجن فوجب القول إذن بأن القول بوجود الجن باطل .

وترد هذه الشبهة بأنه لا علاقة البتة بين إثبات الأنبياء لوجود الجن وبين إثبات نبوتهم لأن نبوتهم ثابتة بالمعجزات التى أيدهم الله بها والتى هى فعل الله الذى يعجز غيره من ملك أو جن عن الإتيان بمثلها وقد بينا ذلك سلفا .

فإثبات وجود الجن إذن بالقرآن والسنة وهو حق :

لما سميت الجن جنا . . ؟

(١) أنهم سموا بذلك لاستتارهم ذلك لأن لفظ الجن مأخوذ من

---

(١) ذلك لاننا لو جوزنا هذا القول فلم لايجوز أن يكون حنين الجذع للرسول بواسطة الجن وشق البحر لموسى بواسطة الجن وإبراء الامة والابرص لعيسى بواسطة الجن مثلا .

الأستتار ومنه الجنة لاستتار أرضها بالأشجار . ومنه الجنة لكونها ساترة للإنسان . ومنه الجن لاستتارهم عن العيون . ومنه الجنون لاستتار عقله ومنه الجنين لاستتاره فى بطن أمه .

(ب) قيل إنهم سموا بذلك لأنهم كانوا فى أول أمرهم خزان الجنة والتعليل الثانى هو الأصح(١) .

(١) ارجع إلى مفاتيح الغيب للإمام الرازى ص ٨٢ ج ١

الفرق بين الملائكة والجن :

هناك فروق عدة بين الملائكة والجن يمكننا أن نحصرها فيما يلي :

الملائكة	الجن
١ ـ أجسام نورانية	أجسام نارية
٢ ـ تتشكل بالأشكال الحسنة فقط .	تتشكل بالأشكال الحسنة والقبيحة
٣ ـ لا تحكم عليهم الصور	تحكم عليهم الصور
٤ ـ غير مكلفين أو مكلفون تشريفا .	مكلفون
٥ ـ لا يأكلون ولا يتناسلون	يأكلون ويتناسلون
٦ ـ لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة فمن وصفهم بالذكورة فقد فسق ومن وصفهم بالأنوثة فقد كفر	يوصفون بالذكورة والأنوثة
٧ ـ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون	منهم العاصي ومنهم الطائع

هل إبليس جن أم ملاك . . . ؟

إختلف الباحثون فى جنسية ابليس ، هل هو من الملائكة أم من الجن . . ؟

رأيان لكل أدلته نذكرها ثم نردف كل رأى منهما بأدلته ثم نرجح الرأى المختار منهما .

الرأى الاول :

يرى أصحاب هذا الرأى أن إبليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة وهو الرأى الاصح وهو رأى كثير من المتكلمين وعلى رأسهم المعتزلة .

وقد استدل هذا الفريق على مذهبه بما يلى . .

(ا) قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » (١) .

فهذه الآية تصرح أن إبليس من الجن والجن غير الملائكة لقوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهـــؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون » ولما أثبتناه سلفا من الفرق بين الملائكة والجن .

(ب) أن لإبليس ذرية والملائكة لاذرية لهم . فأما ذرية إبليس فقد ذكرها القرآن الكريم حين قال : « أفتتخذونه وذريته أوليـــاء من دونى » (٢) .

---

(١) الكهف ٥٩ . (٢) الكهف ٥٠

وكون الملائكة لا ذرية لهم فلأن الملائكة ليسوا إناثا وليسوا ذكورا فقد قلنا سلفا عنهم أن من وصفهم بالذكورة فقد فسق ومن وصفهم بالانوثة فقد كفر قال تعالى : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون » (١) .

وحيث لم توجد أنوثة أو ذكورة لم يوجد توالد :

(ج) أن الملائكة معصومون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وعصيان إبليس إذن يدل على أنه ليس من الملائكة لكنه من الجن .

(د) أن إبليس مخلوق من النار لقوله تعالى حاكيا عن إبليس « خلقتني من نار » والملائكة ليسوا كذلك فإن الملائكة خلقوا من النور :

الرأى الثانى :

أن إبليس من الملائكة وهو لكثير من الفقهاء وبعض المتكلمين .

وقد استدل أصحاب هذا الرأى على مذهبهم بما يلى :

(ا) أن الله استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد إما دخول المستثنى فى جنس المستثنى منه أو يصح دخوله فيه وذلك يوجب كونه من الملائكة فقد استثناه الله ، تعالى ، من جملة الملائكة فى قوله تعالى « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس » .

ويرد هـذا الدليل بأن الاستثناء منقطع وليس متصلا ذلك لأن الاستثناء كما يكون متصلا وهو أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه

---

(١) الزخرف ١٩ .

كقام القوم إلا محمداً يكون المستثنى منقطعا وهو ألا يكون المستثنى من جنس المستثنى منه . كقام القوم إلا حماراً وعلى ذلك فإن هذا الدليل يصبح لا محل له من الاعراب (١) .

(ب) لو لم يكن إبليس من الملائكة لما كان عاصيا بترك السجود لآدم ولما كان أمر الله بالسجود لآدم شاملا له لكن إبليس أعتبر عاصياً بترك السجود لآدم وحيث أن الأمر كان للملائكة وحدهم وقد شمل ابليس لاعتباره عاصيا بعدم السجود فهو اذن من الملائكة .

ويرد هذا الاستدلال بأن ابليس من الملائكة لكنه صدر اليه الأمر بالسجود فى قوله تعالى مخاطباً اياه : « قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك » وبذلك يسقط هذا الدليل .

ويثبت أن إبليس كان من الجن لنص القرآن الكريم الصريح فى ذلك وهو الرأى المختار .

---

(١) للامام الرازى الذى نحن عالة عليه فى هذا البحث تحفظ فى رد هذا الدليل لامكان له فى مختصرنا هذا . وعلى طالب المزيد الرجوع إلى كتاب مفاتيح الغيب ص ٢١٤ ح ١ ، ص ٢١٥ ح ١ .

هل تعلم الجن الغيب ؟

يقول البعض : أن الجن تعلم الغيب ثم اختلف القائلون بهذا الرأى فى طريق معرفتهم للغيب . فقال بعضهم : إن فيهم من يصعد إلى السماء أو يقرب منها ويخبر ببعض الغيوب على ألسنة الملائكة . وقال البعض الآخر : إن لهم طرقا فى معرفة الغيب لا يعلمها إلا الله لكنهم يعلمون الغيب .

وهذا فى تقديرى رأى باطل ذلك لأن القرآن الكريم بين أنهم بقوا فى قيد سليمان محبوسين بعد موته مدة طويلة لا يعلمون بموت سليمان عليه السلام فلو كانوا مدركين للغيب لأدركوا موت سليمان وما لبثوا فى هذا العذاب المهين .

يقول الله تعالى :

« ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور . فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين(١) » .

---

(١) سبأ : ١٢ - ١٤ .

كيف توسوس الشياطين للإنسان ؟
وما حقيقة الوسوسة ؟

يبين بعض الباحثين كيف يوسوس الشيطان للإنسان فيذكر أن الشيطان يغوص فى باطن الإنسان ويضع رأسه على قلبه والقلب أمير الجسد ثم يلقى إليه بالوسوسه .

ثم احتجوا على ما ذهبوا إليه بما ورد عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم ألا فضيقوا مجاريه بالجوع » .

وقال عليه السلام : « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السموات(١) » .

ولا غريب فى هذا فقد ثبتت وسوسة الشيطان الإنسان بالنص القرآنى وأمرنا باستعاذة به من شر هذا الوسواس فقال تعالى : « قل أعوذ برب الناس ملك الناس . إله الناس . من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس . من الجنة والناس(٢) » .

كما ثبتت بالسنة التى ذكرناها سلفا نقلا من كتاب مفاتيح الغيب أما كيفية الوسوسة فالأفضل ترك علمها فقد بأن فيهم قوة خاصة يتوصلون بها إلى قذف مايوسوسون به فى نفس مايوسوس إليهم .

والوسوسة أمر لاينكره العقل ولا يستغربه فللنفس البشرية تأثير على جسدها فقد يحمر وجه الإنسان حين يخجل ويصفر حين يخاف فالنفس

---

(١) سورة الناس .

(٢) ارجع إلى كتاب مفاتيح الغيب للامام الرازى ص ٨٣ ج ١

إذن تؤثر على جسدها هى فلا عجب أن تكون فى نفوس الجن قوى تأثيرها أقوى من تأثير النفس الواحدة على جسدها فيمتد هذا التأثير إلى النفوس البشر فيقذفون فيها بالشر الذى يبعدها عن القصد المستقيم الذى أمرنا الله أن نستعيذ من شره .

هل رؤية الجن ممكنة ؟

أخبر الله تعالى : أنهم يروننا ونحن لا نراهم ، قال تعالى : « إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » :

فمن إدعى أنه يراهم أو رآهم فهو كاذب ولذلك وجب رفض ما يدعيه الدجالون فى أيامنا هذه . ولكن الأنبياء قد يرونهم على السبيل المعجزة كما حدث لسيدنا سليمان عليه السلام ، أو على سبيل تعليمهم شعائر الدين وإبلاغهم الدعوة كما حدث لسيدنا محمد ﷺ .

نهاية المطاف

بقيت من قضايا العقيدة الإسلامية بعض المسائل التى لامندوحة لنا من الإماءة إليها فى عنصرنا هذا وهذه تشمل على :

(ا) الكليات التى أوجب الشارع حفظها .

(ب) حكم من أنكر ماهو معلوم من الدين بالضرورة .

(ح) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

(د) التوبة

فلنبدأ على بركة الله تعالى :

الكليات التى أوجب الشارع حفظها

الإنسان هو ذاكم النوع من مخلوقات الله تعالى الذى فضله ربه على كثير من خلقه بل جعله سيد هـذا الكون المداثل استخلفه فى أرضه وأخضع له كثيرا من مخلوقاته، وأسجد لأبيه ملائكة وميزه بالعقل وجعله مناط التكليف لما ركب فيه من عقل وشعور .

ولما كان الإنسان بطبعه ميالا لتحقيق رغباته فى هذه الحياة فقد كانت الشرائع السماوية لتحدد للانسان الطريق الأمثل لتحقيق ماركب فى جبلته فبينت له وهى تخط له طريقاً يسيراً يرتاده وسط ديجور الحياة أن له حقوقاً عليه أن يطلبها ولا يكل فى طلبه لها و نفرته من التكركص عن طلب هذا الحق كما بينت له أن عليه واجبات هو مطالب بأدائها وتوعدت تارك فعل الواجب بالعقوبات الرادعات ثم بينت أن عليه واجباً ضخماً نحـــو دينه ووطنه ومجتمعه وواجباً أضخم نحو نفسه ، وقد تحدثنا عن ذلك

سلفاً فيما هو منشور فى بحثنا هذا وهذه اللطيفة من العقيدة الإسلامية معقودة للحديث عما يجب على الإنسان نحو نفسه فما هى واجبه نحوها ؟

يذكر الباحثون أن واجب الإنسان نحو نفسه منحصر فيما تسميه علماء العقيدة بالكليات الخمس التى أوجب الشارع حفظها والدفاع عنها بل أجمعت الشرائع كلها على ذلك . . وهذه الكليات الخمس هى :

١ — الدين .

والدين هو أول ما يجب على المرء المحافظة عليه .. فيه تكون النجاة فى الآخرة .

وقد شرع الله تعالى : جهاد الكفار والمرتدين والملحدين محافظة على الدين والعقيدة ، وأوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر محافظة عليه كذلك وأمر بطاعة أولى الأمر ماداموا يقيمون شعائر الدين .

٢ — النفس :

وقد أمرت الشريعة بالمحافظة على النفس وحرمت إزهاق الروح بغير حق ، فالإنسان بنيان الرب ملعون من هدمه . وجعلت جزاء القاتل المتعمد جهنم خالداً فيها . وشرع القصاص محافظة على النفس ، « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » . كما حرم الانتحار وجعل جزاءه أن يعذب بمثل مافعل بنفسه فى نار جهنم .

أخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله عليه السلام قال : من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار

جهنم فيها خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً .

٣ - النسب والعرض :

والمحافظة على النسب تقوى أواصر المودة بين الأسر وتجعل العلاقة بين الوالدين والمولودين وبين الأقرباء علاقة محبة وتعاون ، وقد أمر الإسلام بالمحافظة على العرض والنسب ، ولذلك شرع الزواج ، وتوعد من تعدى على العرض والنسب ، ولذلك شرع الزواج ، وتوعد من تعدى على العرض والنسب بقذف أو زنا بالعذاب فى الدنيا والآخرة . يقول سبحانه وتعالى : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة » ، أما عذاب الدنيا فهو حد القذف وحد الزنا ووصفه بالفسق إلا أن يتوب فيتوب الله عليه . أما عذاب الآخرة فما أعد للفساق والمعتدين من عذاب أليم .

٤ - العقل :

هو النعمة العظمى التى ميزت الإنسان عن الحيوان ، وبه كان مكلفا ، والاعتداء عليه اعتداء على أهم ما يملك الإنسان فى هذه الحياة ، ولذلك أمر الإسلام بالمحافظة عليه ، وشرع القصاص لمن جنى عليه ، كما شرع حد الشرب إن سكر الشارب لما فى ذلك من إهدار للانسانية .

٥ - المال :

من النعم التى تفضل بها سبحانه على الإنسان نعمة التملك ، وأباح للمالك أن ينتفع بملكه فى الحدود المشروعة ، وقد وصف الله المال بأنه زينة

الحياة الدنيا ، وحرم إنفاقه فى غير مصلحة « ولا تبذر تبذيراً . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً » كما حرم كنزه ومنع الانتفاع به « والذين يكنزون الذهب والفضة ثم لا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هـذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » وحرم الاعتداء على مال الغير بطريق الغصب والنهب « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » وشرع حد السرقة محافظة على أموال الناس من الاعتداء خفية « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » وقد جمع معظم هذه الكليات قول الرسول عليه السلام فى حجة الوداع : إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا .

حكم إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة

الأحكام التي جاءت بها الشريعة الإسلامية بعضها واضح ذائع مشتهر يدركه العالم والعامي مثل رسالة محمد ﷺ ووجود الله وإثبات صفات الجلال والكمال ومثل وجوب الصلاة وصوم رمضان والحج مثلا ومثل حرمة القتل والزنا وشرب الخمر مثلا . وغير ذلك من الفرائض الذائعة والشائعة الذي يستوى العالم والجاهل في العلم بها هذه الأمور هي ما يسميها علماء العقيدة المعلوم من الدين بالضرورة .

أي أن العلم به أصبح ضرورياً لا يحتاج إلى أعمال فكر ونظر فهو بدهي وهي بعض الأحكام التي قد تخفى حتى على المثقفين في عصرنا هذا فهي غير ذائعة شائعة لا يدركها إلا الخاصة من الناس أمثال العلماء كاستحقاق بنت الابن السدس مع وجود البنت مثلا فهذه الأحكام لا يقال عليها أنها معلومة من الدين بالضرورة . . فهي إذن تحتاج في معرفتها إلى أعمال فكر ونظر .

وكما أن هناك أموراً معلومة من الدين بالضرورة وأموراً ليست كذلك فإن هناك أحكاما ثبت بالقرآن والسنة والإجماع أي إجماع من يعتبر اجماعهم من الأمة سواء أكان إجماعاً صريحاً أم إجماعاً سكوتياً .

وهناك أمور أخرى اجتهادية وقع الخلاف فيها .

وعلى ضوء ما ذكرنا نستطيع أن نوضح موقف المنكر لبعض أحكام الإسلام هل يؤدي به هذا الإنكار إلى الكفر أم إلى الفسق لننظر .

(ا) من أنكر المعلوم من الدين بالضرورة ســـواء يثبت العلم به

بالكتاب أو السنة أو الإجماع الصريح فقد ارتد عن الإسلام فهو كافر لأنه كذب القرآن وكذب الرسول وخرج عن إجماع الأمة الصريح .

والمرتد يقتل كفراً لا حداً أى أننا نعامله معاملة الكفار فهناك فرق واضح بينه وبين الفاسق الذى يقام عليه حد القتل مثلا ذلك لأن المرتد يموت كافراً ولكن الفاسق يموت مسلما عاصياً .

فلو فرضنا أن رجلا أنكر ماهو معلوم من الدين بالضرورة فأضحى مرتداً فأقيم عليه حد الردة وهو القتل ومسلم آخر قتل مسلما متعمداً أو زنى وهو محصن فقتل القاتل ورجم الزانى المحض حتى الموت فا الفرق بينهما وبين المرتد . . المرتد لا تجرى عليه أحكام الإسلام لأنه يعتبر كافراً فلا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين .

أما القاتل الذى حد بالقتل وكذا الزانى المحض الذى رجم حتى الموت فإنهما تجرى عليهما أحكام الإسلام السالفة الذكر .

٢ — من أنكر ماليس معلوما من الدين بالضرورة فإنه ليس بكافر .

٣ — من أنكر حكما اجتهاديا اختلف فيه ولم يصلوا فيه إلى رأى قاطع أو حكما أجمع عليه المسلمون إجماعا سكوتيا فليس بكافر ، لأن التمسك بالرأى المرجوح لا يؤدى إلى الكفر ، كما أن الإجماع السكوتى دلالته ظنية لا قطعية .

٤ — من استباح ما حرمه الإسلام وعلم تحريمه من الدين بالضرورة بأن ثبت تحريمه بالقرآن والسنة والإجماع الصريح فقد كفر ، أما إذا استباح مالم يعلم تحريمه من الدين بالضرورة أو أجمع المسلمون على تحريمه إجماعاً سكوتياً فليس بكافر .

على أنه لا فرق عندنا فى استباحة المحرمات بين الصغائر والكبائر بل العبرة فقط أن يكون معلوما من الدين بالضرورة ثابتاً بالإجماع الصريح .

كما أنه لا فرق بين أن يكون تحريم الشيء لذاته كتحريم الزنا والسرقة وقطع الطريق مثلا أو أن يكون تحريمه لغيره كتحريم صوم يوم العيد لا لذات اليوم والصوم فيه ولكن للاعراض عن ضيافة الله تعالى .

وعدم التفرقة بين المحرم لذاته والمحرم لغيره فى الحكم هنا هو رأى جمهور أهل السنة أما بعض الماتريدية فرقوا فجعلوا استباحة المحرم لذاته تؤدى إلى الكفر أما استباحة المحرم لغيره فإنه لا يؤدى إلى الكفر .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تمتاز الشريعة الإسلامية على غيرها من الشرائع بتوزيع المسئوليات على جميع الأفراد ، وتعاونهم على تنفيذ الأحكام وإقامة مجتمع فاضل يسوده الخير ويرفرف عليه السلام ، وقد طلبت الشريعة أموراً على طريق الندب أو الايجاب ، ونهت عن أمور أخرى على سبيل التحريم أو الكراهة ، وشرعت حدوداً لمن يرتكب بعض هذه المنهيات ، وتوعدت من يرتكب البعض الآخر بعذاب يوم القيامة ، وزيادة في إقامة الحجة على الناس ندبت فريقا منهم ليذكر بأوامر الله ونواهيه فيحث على الخير وينهى عن الشر ، يقول سبحانه (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .

والمقصود بالمعروف ما عرف من الشرع خيره وطلبه على سبيل الندب أو الوجوب .

والمقصود بالمنكر : ما أنكره الشرع ونهى عن فعله على سبيل الكراهة أو التحريم .

وقد مدح الله هذه الأمة بأنها خير أمة خرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، كما لعن الذين كفروا من بني إسرائيل لأنهم كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه .

وكل فرد من أفراد المسلمين مطالب بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في حدود علمه وقدرته ، لذلك يقول عليه السلام (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان) والناس يتفاوتون في قدراتهم ومراكزهم وسلطاتهم فيتفاوتون تبعاً

لذلك فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فرب الأسرة قادر على أن يغير بعض المنكرات فى حدود أسرته ، أما الغريب عنهم فلا يمكنه إلا أن ينصح بلسانه أو ينكر بقلبه والحاكم يستطيع أن يغير بعض المنكرات بماله من سلطان وهكذا .

ويندب الأمر بالمندوب والنهى عن المكروه ، أما الأمر بالواجب والنهى عن الحرام فهو واجب وجوبا كفائيا ، فإذا قام به البعض سقط عن الإثم الباقين ، فإن سكتوا جميعا أثموا جميعا ، ويجب الأمر والنهى فور وقوع المخالفة وعنادها فإذا تأخر أثم .

وإنما يكون الأمر والنهى واجبين على من تحققت فيه شروطهما وهى :

١ — أن يكون الداعى عالما بالحكم الذى يدعو إليه . أما الجاهل فلا يجب عليه لأنه قد يأمر بمنكر وينهى عن معروف .

٢ — ألا يؤدى إنكاره إلى منكر أشد بأن تترتب عليه فتنة مثلا .

وفقد أحد هذين الشرطين يحرم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٣ — أن يغلب على ظن الداعى أن أمره أو نهيه سيترتب عليه الامتثال فإذا قطع بأنه لن يؤثر سقط عنه الوجوب وأصبح جائزاً فحسب ، فإذا فعل أثيب وإذا لم يفعل لم يؤاخذ ، أما إذا شك فى تحصيل أثر الأمر والنهى ندب له .

والصحيح ، كما يقول العلماء ، عدم اشتراط هذا الشرط ، فالذى عليه هو الأمر والنهى لا القبول ، كما يقول سبحانه (ما على الرسول إلا البلاغ) وقد أمر سبحانه بالتذكير من غير اشتراط تحقق النتيجة كما يقول (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) أما قوله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) فمعناه إذا قمتم بجميع ما طلب منكم ، ومنه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فلا يضركم ضلال من ضل بعد ذلك .

ففيها دلالة على وجوب الأمر والنهى ، يقول ابن مسعود : إن من أكبر الذنوب عند الله أن يقال للعبد . أتق الله فيقول : عليك بنفسك .

وجوب اجتناب المنكرات : وإن كان من واجب المسلم أن يذكر غيره ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر فواجبه نحو نفسه أشد ، فعليه أن يقى نفسه من عذاب الله بالابتعاد عن محارمه ، فان لكل ملك حمى ، وحمى الله محارمه ، واجتناب المناهى فى إستطاعة كل فرد ، أما المأمورات فقد يستطيع بعضها ولا يستطيع البعض الآخر ، لذلك يقول عليه السلام (إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما أستطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه) .

والتخلى عن المحرمات وتطهير النفس من الموبقات من ألزم الواجبات . لذلك كان الشارع الحكيم حريصاً على تبغيض الناس فى المحرمات وتصويرها لهم بصورة بشعة قاتمة — وسنذكر أمثلة للمحرمات التى لم يشرع لها حد فى الدنيا وأجل جزاءها إلى يوم القيامة .

النميمة : نقل كلام بعض الناس إلى البعض الآخر على سبيل الإفساد ، أو هى كما يقول الغزالى : كشف ما يكره كشفه بالقول أو الكتابة أو الرمز أو نحوها ، سواء أكان المنقول من الأعمال أم الأحوال ، وسواء أكان عيباً أم غيره ، فليست النميمة قاصرة على نقل الكلام .

وقد حرم الشارع النميمة لما يترتب عليها من الفساد وقطع أواصر المودة بين الناس . يقول عليه السلام (لا يدخل الجنة نمام) .

الغيبة : ذكرك أخاك بما يكره ، ولو كان فيه . فقد سئل عليه السلام : أرأيت إن كان فى أخى ما ذكرت ؟ قال (إن كان فيه فقد أغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته) أى افتريت عليه الكذب والبهتان فارتكبت إثمين ، وقد

صور سبحانه الغيبة تصويراً بشعاً فجعلها كأكل لحم الأخ الميت ، ولمـــا قالت عائشة رضي الله عنها لرسول الله حسبك من صفية — ضرتها — كذا وكذا ، تعني أنها قصيرة ، فقال لها عليه السلام (لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته) أي لغيرت طعمه وريحه من شدة نتنها وقبحها .

كما حرم الإسلام جميع الخصال الذميمة كالعجب بما يفعل من خـــير ، والكبر وهو بطر الحق وغمط الناس ، كما يقول عليه السلام فيما رواه عنه مسلم (لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من الكبر . فقالوا : يارسول الله إن أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال إن الله جميل يحب الجمال ، ولكن الكبر بطر الحق وغمط الناس) .

وكذلك الحسد : وهو تمنى زوال نعمة الغير ، وهو خسة في الخلق . ولو تمنى أن يكون له مثل ما لغيره لكان حسنا فهذه غبطة ولا حرج على فضل الله .

ومن الخصال الذميمة المراء والجدال بغـــير حق ، يريد إثبات قوله وإبطال قول خصمه وهو يعلم أنه على غير حق ، وإنما يستغل قدرته على التلاعب بالألفاظ كما يفعل بعض المحامين للحصول على أحكام لصالح موكليهم وهم يعلمون ألا حق لهم فيها ، كما يقول عليه السلام ، قد يكون أحدكم ألحن بحجته من صاحبه فأقضى له ، فمن قضيت له بشيء ليس له فإنما قضيت له بقطعة من النار فليأخذها أو فليدعها .

التوبة

هي لغة مطلق الرجوع ، وكذلك المتاب وهو مصدر ميمي بمعنى التوبة وشرعاً الاقلاع عن الذنب والندم على فعله والعزم على ألا يعود ، فلو لم يقلع أو لم يندم أو عزم على العود فليس بتائب .

والتوبة واجبة فوراً على من ارتكب ذنبا سواء أكان صغيرة أم كبيرة فتأخير التوبة ذنب آخر . ويتفاوت هذا الذنب باعتبار التأخير .

وعند المعتزلة يتعـــدد الذنب بالتراخي فتتراكم الذنوب كلما تأخر في التوبة .

فإذا كان الذنب يتعلق بحقوق الناس فلا تصح التوبة حتى يرد المظالم إلى أهلها ، كما مر ، ولا تقبل التوبة إلا في حال السعة ، أما إذا ضاقت الحياة عند الغرغرة فلا تقبل التوبة ، يقول سبحانه (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار) (١) .

أما دليل وجوب التوبة فقوله سبحانه : (وتوبوا إلى الله جميعاً أيهـــا المؤمنون لعلكم تفلحون)(٢) .

وعند المعتزلة يثبت الوجوب بالعقل ، لأن العقل يدرك حسنها

---

(١) النساء (٢) النور

شروط التوبة :

يتضح من هذا أنه يشترط لصحة التوبة وقبولها :

١ ـ الإقلاع عن الذنب .

٢ ـ الندم على فعله .

٣ ـ العزم على عدم العودة إليه .

٤ ـ رد المظالم إلى أهلها .

٥ ـ أن تكون التوبة قبل الغرغرة .

هل العود إلى الذنب ينقض التوبة ؟

يرى المعتزلة : أن العود إلى الذنب ينقض التوبة فيعود ذنبه الذى تاب منه بعوده إليه ، فشرط صحة التوبة عندهم ألا يعاود الذنب بعد التوبة .

وعند الصوفية : معاودة الذنب بعد التوبة أقبح من سبعين ذنبا بلا توبة . وهما رأيان ضعيفان ، لأنهما يصدان الناس عن التوبة إذ لا يعلم أحد ماذا تأتى به الأيام .

أما أهل السنة : فيرون أن العود إلى الذنب لا ينقض التوبة ، مادام عازما عند التوبة على عدم العود ، وعليه إن وقع فى الذنب مرة أخرى أن يجدد توبة أخرى وهكذا ، فلا يضر إلا الإصرار على المعاصى ، يقول سبحانه : « إن الله يحب التوابين » وهم الذين يتوبون كلما أذنبوا ، ويقول فى وصف المؤمنين : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » ، ويقول عليه السلام : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ، ويقول:

« والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم » .

قبول التوبة : وقد تفضل سبحانه فوعد بقبول التوبة إذا استجمعت شرائطها حيث يقول : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم » ويقول سبحانه : « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون » فهذا وعد كريم ووعد الكريم لا يتخلف ، وإنما ندعو بقبولها خوفا من أن تكون شروطها غير متحققة من الإخلاص وحسن النية ، وهذا رأى الإمام الأشعرى .

أما إمام الحرمين والقاضى فلم يقطعا بالقبول بل هى معلقة بالمشيئة .

وقد أجمعوا على توبة الكافر غير مقبولة بدليل قوله تعالى : « قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين » .

أى أن توبة الكافر المصر على كفره الذى مات وهو كافر أما إذا تاب ورجع عن كفره فإن توبته تعتبر مقبوله

إختبار

س : ١

ما هو اليوم الآخر ؟ وما هي الأسماء التي أطلقت عليه ؟ وهل له نهاية أم لا ؟ بيني مذاهب العلماء في ذلك .

س : ٢

ما هو الموقف ؟ إذكري هذه الشدائد مذيلة كل واحدة منها بنص من القرآن أو السنة . ثم بيني من الذي ينجو من هذه الأهوال .

س : ٣

عرفي الشفاعة لغة وشرعا ثم بيني مواردها في القرآن الكريم . من الذين سيشفعون ؟ وما الذي اختص به رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم؟ وما هي أنواعها ؟ وما هو حكم الإيمان بها ؟ وما هو الدليل عليها ؟ ومتى تكون ؟ .

س : ٤

(ا) ما هو الحساب ؟ وما هو الدليل عليه ؟ ولمن يكون ؟ وما هي وما هي الحكمة من الحساب ؟

(ب) ما هي الحسنة ؟ ولماذا سميت هكذا ؟ وما هي شروط الحسنة التي تتضاعف ؟ وهل المضاعفة من خصائص الأمة المحمدية أم لا ؟ وما هي السيئة ؟ ولماذا سميت كذلك .

(ج) ما هي الصحف ؟ وما هو الدليل عليها ؟ ولمن تكون ؟ وكيف يأخذها صاحبها وكيف يقرؤها . بيني آراء العلماء في قراءة الشخص كتابه .

س : ٥

مامعنى الوزن ؟ وماهى مذاهب العلماء فى الموزون ؟

وما معنى الميزان ؟ وما الدليل عليه ؟ وما هى مذاهب العلماء فى خفة الموزون وثقله . ومن الذى توزن أعماله ومن الذى لا توزن ؟ وهل هو ميزان واحد أم موازين متعددة ؟ وما هى الحكمة من الميزان .

س : ٦

(ا) ماهى الحكمة من الثواب والعقاب ؟ ما معنى الجنة والنار ؟ هل الجنة والنار موجودتا الآن أم لا ؟ بين مذاهب العلماء فى ذلك وأدلتهم . وما هو المذهب المختار لديك ؟ ولماذا ؟

حدثينا عن مذاهب العلماء فى عدد طبقات الجنة والنار . وأين تقع كليتهما ؟ .

(ب) أجيبى عن هذه التساؤلات تدعمين إجابتك بالأدلة التى تدفع شبهات المشتبهين .

. — هل الثواب والعقاب دائما وأبدا أم أن لهما نهاية ؟

. — لماذا يؤجل الثواب والعقاب ليوم يقوم الناس فيه لرب العالمين ؟ .

س : ٧

عرفى الصراط لغة واصطلاحا . . ومتى يكون الصراط ؟ وما هى مذاهب العلماء فى حقيقة ؟ وماهى أقوال العلماء فى وصف الصراط ؟ وماهى أقوال العلماء فى أقسام العباد فى مرورهم من على الصراط ؟ وماهى الحكمة من مرور العباد عليه ؟ وما الدليل على وجود الصراط ؟ وما هو حكم من أنكر وجوده ؟ .

س : ٨

يقول علماء العقيدة الإسلامية : إن لرسول الله ﷺ بعد المكرمات يوم القيامة حدثنا عنها . ثم أجبي عما يأتي .

ما هو الحوض ؟ وما هو الدليل عليه ؟ وما هو مكانه ؟ ومن الذى يرده ومن الذى لا يرده ؟ وما هى آراء العلماء فى حقيقة الحوض .

س : ٩

حدثنا عما يلى من حيث التعريف والدليل وآراء العلماء فى حقيقة متى اختلف العلماء فى حقيقته . وما هو حكم الإيمان بها ؟

(ا) العرش (ب) الكرسى (ج) القلم (د) اللوح (هـ) مكاتبون

س : ١٠

من هم الملائكة ؟ وهل يرون أم لا ؟ وما هى أصنافهم ؟ وما هى أوصافهم ؟ وهل هم معصومون أم لا ؟ وما هى الشبهات التى أثيرت حول عصمتهم وكيف يرد عليها ؟

حدثنا عن آراء العلماء فى التفاضل بينهم وبين الملائكة مع ذكر دليل كل رأى تذكرتين :

س : ١١

ماهى حقيقة الجن ؟ وهل الجن هى الشياطين ؟ ماهو الدليل على وجود الجن أوماهى شبه النافين لوجوده وكيف يرد عليها ؟ ولماذا سميت الجن جنا ؟

حدثنا عن الفرق بين الجن والملائكة :

هل إبليس جن أم ملاك ؟ هل تعلم الجن الغيب ؟ هل توسوس الشياطين للانسان ؟ وماهى حقيقة الوسوسة ؟

س : ١٢

ما هى الكليات التى أوجب الشارع حفظها ؟ ما هو حكم من أنكر ماهو معلوم من الدين بالضرورة ؟ وما هو حكم من أنكر ما ليس معلوما من الدين بالضرورة أو حكما إجتهاديا أو استباح ما حرمه الإسلام وعلم تحريمه من الدين بالضرورة .

س : ١٣

ماهو المعروف ؟ وماهو المنكر ؟ وماهو حكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ وما هى شروطهما ؟

س : ١٤

ما معنى التوبة ؟ وماهو الدليل عليها . وما هى شروطها ؟ وهل العودة إلى الذنب ينقض التوبة .

مبحث الإيمان والإسلام

١ - لماذا قدم الإيمان على الإسلام ؟

٢ - الإيمان .

(أ) مراتب الإيمان .

(ب) تعريف الإيمان والمذاهب فيه - وأدلتها .

- مذهب جمهور المحققين وأدلته . والاعتراض عليه . ورده
- مذهب الإمام أبي حنيفة وبعض العلماء . وأدلته . والرد عليها .
- مذهب المعتزلة . وأدلتهم . والرد عليها .
- أدلة الجمهور لاثبات مذهبهم .

(جـ) هل الإيمان يزيد وينقص أم لا ؟

(د) الفرق بين التصديق والمعرفة .

٣ - الإسلام .. لغة وشرعاً

٤ - الصلة بين الإيمان والإسلام .

الايمان هو الجانب القلبى فى الدين ، والاسلام هو الجانب العملى فيه ولا شك أن الجانب القلبى أسبق فى الوجود من الجانب العملى . ذلك لأن الانسان يعتقد أولا ثم يترجم عن هذا الاعتقاد الحبيس فى نفسه بالشهادة والصلاة والصوم والزكاة والحج وما إلى ذلك .

ومن هنا أبحث لنفسى أن أبدأ الحديث بالكلام عن الايمان ثم أثنى الحديث عن الاسلام حسب ترتيبهما فى الوجود .

(ا) الايمان :

الحديث عن الايمان يتناول هذه النقاط الآتية :

- ١ مراتب الايمان :

يقسم صاحب الجوهرة الايمان إلى خمسة أقسام يذكرهم مرتبا اياهم ترتيبا تصاعديا على هذا النحو الآتى :

(ا) إيمان عن تقليد : وهو الايمان الناشىء عن الأخذ بقول الغير من غير دليل كإيمان العوام .

(ب) إيمان عن علم : وهو الايمان الناشىء عن معرفة العقائد بأدلتها وهو إيمان أصحاب الأدلة .

(ج) إيمان عن عيان : وهو الايمان الناشىء عن مراقبة القلب لله بحيث لا يغيب عنه طرفة عين وهو إيمان أهل المراقبة ،

(د) إيمان عن حق : وهو الايمان الناشىء عن مشاهدة الله تعالى بالقلب وهو إيمان العارفين . . ويسمى مقام المشاهدة .

(ه) إيمان عن حقيقة : وهو الايمان الناشىء عن كونه لا يشهد إلا

الله ، وهو إيمان الواقفين ويسمى مقام الفناء ، لأنهم يفنون عن غير الله ولا يشهدون إلا اياه .

وأما حقيقة الحقيقة فهى للمرسلين . وقد منعنا الله من كشفها فلا سبيل إلى بيانها .

٢ - تعريف الإيمان :

الإيمان . . . لغة . . مطلق التصديق .

ولا يعنى التصديق هنا نسبة الصدق إلى الخبر من اذعان له بل لابد هنا من الاذعان الذى تطمئن إليه النفس .

فمعنى الصدق المراد الاذعان لحكم الخبر وقبوله وجعله صادقا والمراد من الاذعان ، الاعتقاد الجازم المطابق للواقع والملزم للقبول مع طمأنينة النفس وجعل الخبر صادقا :

ومنه قوله تعالى . فيما يحكيه القرآن الكريم عن أخوة يوسف عليه السلام - أنهم قالوا لأبيهم « وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » .

وشرعا :

فيه مذاهب تذكر كل مذهب منها مذيلا بأدلته .

المذهب الأول . . مذهب جمهور المحققين . . وهو أن الإيمان هو التصديق بجميع ما جاء به النبي - ﷺ وعلم من الدين بالضرورة : والنطق شرط لاجراء الأحكام الدنيوية . والعمل الصالح شرط كال والمراد بتصديق النبي ﷺ . الاذعان لما جاء به والقبول له واطمئنان القلب اليه ، وليس المراد من التصديق نسبة الصدق إلى ما جاء به النبي فقط دون الإذعان له

فان كثيرا ممن لم يؤمنوا بدعوته كانوا يعرفون حقيقة نبوته ورسالته ﷺ ومع اعترافهم بصدقها كانوا لا يؤمنون بها والقرآن يبين ذلك حين يقول «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» .

والمراد بجميع ما جاء به ﷺ : الايمان إجمالا فيما عرف من الدين إجمالا وتفصيلا فيما بين الدين والتفصيل .

فيكفي التصديق الاجمالي فيما يلاحظ إجمالا كغالب الملائكة والأنبياء والكتب المقدسة .

ويشترط التفصيل فيمن ذكر لنا تفصيلا كالملائكة الذين ذكروا بأسمائهم كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورضوان ومالك ورقيب وعتيد وحملة العرش ، وكالأنبياء الخمسة والعشرين الذين ذكروا في القرآن الكريم فذكرت سورة الأنعام ، منهم ثمانية عشر هم من ذكروا في هذه الآيات .

«(وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ، ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين)(١) .

ثم ذكر في القرآن متفرقا سبعة آخرون هم إدريس ، هود وشعيب وصالح وذو الكفل وآدم ومحمد عليهم جميعا السلام .

---

(١) الأنعام ٨٣ - ٨٥ .

وقد اختلف فى نبوة ثلاثة هم ذو القرنين . والعزيز . ولقمان :

وأما الخضر فلم يذكر اسمه فى القرآن صراحة وإن كان المفسرون قد أرجحوا أنه المذكور فى الآية الكريمة (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما)(١) .

وكذا يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام فانه لم يذكر اسمه صراحه بل عبر عنه بفتى موسى فى قوله تعالى : (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا)(٢) ، فقد قال المفسرون كذلك : أن يوشع بن نون .

ومعنى كون الايمان واجبا بهم تفصيلا أو من أنكر واحدا منهم بعد عرف به يكون كافرا وليس المراد حفظ أسمائهم .

والمراد من العلم بالدين بالضرورة :

أن العلم به أشتهر وذاع وأقيمت عليها من الأدلة ما جعلته فى الجزم به كأنه ضرورى .

ولكنه فى الواقع نظريا فى أول أمره ولكن لكثرة الأدلة التى أقيمت إثباتا له [illegible] كأنه ضرورى . بحيث يعلمه العامى من غير افتقار إلى نظر واستدلال كوجود الله ووحدانيته وقدرته الخ .

وأما النطق بالشهادتين فإنه شرط لا شطر : بمعنى أنه شرط لاجراء

---

(١) الكهف : ٦٥

(٢) الكهف ٦٠ ومجمع البحرين ملتقاهما - ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق - أو امقضى حقبا أى أسير زمنا طويلا .

الأحكام الدنيوية وليس شطراً بمعنى أن النطق بالشهادتين على مذهب الجمهور ليس جزءاً من الايمان .

والنطق بالشهادتين ليس شرطاً لأجراء الأحكام الدنيوية عند كل الناس . بل هو شرط مثلا بالنسبة لكافر يريد أن يدخل فى الإيمان ذلك لأن الإيمان خفى فلابد له من علامة تدل عليه وهى النطق بالشهادتين فى حق القادر على النطق . أو مايقوم مقام النطق بهما فى حق العاجز عن النطق .

فمن صدق بقلبه من الكفار ونطق بالشهادتين فهو مؤمن عند الله من أهل الجنة ومؤمن عندنا فنعامله معاملة المسلمين .

ومن صدق بقلبه ولم ينطق بالشهادتين فهو مؤمن عند الله وليس بمؤمن عندنا فلا نعامله معاملة المسلمين .

لكن النطق بالشهادتين ليس شرطاً لاجراء الأحكام الدنيوية على من بلغ من أولاد المسلمين فهو مؤمن عندنا ولو لم ينطق بهما مدة حياته لأن الأصل فيه الإيمان إلا إذا ظهر عليه ما ينافى الإيمان فنحكم عليه بالكفر وذلك .

كأن يسجد لصنم .

أو يصف المولى سبحانه وتعالى بما لايليق بذاته المقدسة أو يسب واحداً من أنبيائه أو ملائكته أو يهزأ بواحد من كتبه المنزله أو يستخف بالمصحف أو الكعبة أو يستهزىء بالشريعة ، أو يستحل محرما مجمعا على تحريمه كشرب الخمر أو الزنا أو القتل مثلا أو ينكر أمراً معلوما من الدين بالضرورة — كوجوب الصلاة والصوم والزكاة والحج .

ذلك لأن حدوث واحد من هذه الأشياء منه دليل على أن قلبه ليس عامراً بالإيمان.

فلابد إذن والحالة هـــذه من العودة إلى النطق بالشهادتين كالكافر الأصلي تماما .

والنطق بالشهادتين واجب وجـــوب الفروع مرة في العمر على كل مكلف كحمد الله تعالى والصلاة على النبي محمد ﷺ فتاركه مؤمن آثم .

وأما الأعمال الصالحة :

فهي شرط كمال للايمان : لايفقد الإيمان بفقدها فمن فعلها فقد حصل الكمال ومن تركه فهـــو مؤمن لكنه فوت الكمال إذا لم يكن مع ذلك إستحلال أو عناد للشارع أو شك في مشروعيته وإلا فهو كافر فيما علم من الدين بالضرورة .

دليل الجمهور على مذهبهم :

ذكر جمهور المحققين لمذهبهم في الإيمان . . من أنه تصديق فقط بجميع ما جاء به النبي ، ﷺ . . وأما الإقرار باللسان فليس ركنا بل هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية فقط والعمل الصالح شرط للكمال .

ذكر الجمهور لمذهبهم هذا أدلة عدة نذكر منها ما يلي :

(ا) من القرآن الكريم :

١ — قوله تعالى : « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » فالإيمان إذن محله القلب .

٢ — قوله تعالى : (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) فلا عبرة

فى بقاء الايمان وانتفائه بما يتردد على اللسان طالما أن القلب مزعن مطيع مقر مستسلم .

٣ — قوله تعالى : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) .

فدلت الآية على أن الايمان محله القلب . . وليس الاقرار باللسان ولا العمل بالأركان من حقيقة الايمان وأجزائه .

ولو كان الايمان هو التصديق وشيئاً آخر لقال القرآن الكريم فى مثل قوله تعالى : (أولئك كتب فى قلوبهم الايمان) فقال : (أولئك كتب فى قلوبهم وألسنتهم وجوارحهم الايمان) . ولكن القرآن لم يقل لنا أكثر من كتب فى قلوبهم . . فدل على أن الايمان محله القلب فهو التصديق فقط .

(ب) من السنة :

١ — قوله عليه الصلاة والسلام : (اللهم ثبت قلبي على دينك وطاعتك) .

٢ — قوله عليه الصلاة والسلام : (هلا شققت عن قلبه) .

والنصوص الذى ذكرها الجمهور كلها تدل على مذهبهم من أن الايمان هو التصديق فقط دون تعرض لذكر الشرط الذى هو تتمة المذهب وهو النطق بالشهادتين .

ذلك لأن مذهب هذا الفريق مركب من أمرين :

الأول : التصديق وهو الايمان .

الثاني : شرط لهذا التصديق وهو النطق بالشهادتين .

والنصوص التي ذكروا محلها عدا النص الأخير نزل على أن الإيمان محله القلب فهو التصديق .

وأما النص الأخير هلا شققت عن قلبه فانه يدل على أن الاقرار شرط لاجراء الأحكام الدنيوية ذلك قصة الحديث هكذا .

عن اسامة بن زيد رضى الله عنهما قال بعثنا رسول الله — ﷺ : إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله فكف الأنصارى فطعنته بروحى حتى قتلته ، فلما قدمنا بلغ النبى ﷺ فقال : يا أسامه أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ قلت كان متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت إنى لم أكن اسلمت قبل ذلك اليوم .

وعبر القرآن عن التصديق بما هو محل للتصديق وهو القلب . . فقال : (كتب فى قلوبهم) (إلا من اكره وقلبه مطمئن) وغير ذلك مما ذكرت .

وقد اعترض على هذا الدليل فقيل .

إن أعمال القلب كثيرة فمنها التصديق والعفة والشجاعة والقدرة وهذه النصوص وإن دلت على أن الايمان محله القلب فهى لاتدل على خصوص التصديق دون سائر أعمال القلب :

ورد هذا الاعتراض بجوابين .

(ا) أن ماعدا التصديق من أعمال القلب ليس من الايمان باتفاق الخصوم وإنما خلافهم هل الايمان تصديق وشىء آخر أو هو تصديق فقط فلم يتنازع أحد فى أعمال القلب الأخرى غير التصديق من عفة وشجاعة وغير ذلك هل هى أجزاء من الايمان أم لا ؟ بل الخلاف هل التصديق

وحده هو الايمان أم أنه التصديق والنطق بالشهادتين . أو أنه التصديق والنطق والعمل الصالح . وغير ذلك من المذاهب ؛ فهذا الاعتراض إذن خارج عن ساحة النزاع .

(ب) الايمان لغة التصديق : ولم يعين فى الشرع لمعنى آخر كما عين لفظ الصلاة والصوم والزكاة ، فلو كان له معنى آخر غير التصديق لبينه لنا الشارع إذ لو لم يبينه لنا لكان مخاطبا لنا بما لا نفهمه وهو غير ممكن لأنه لا يتناسب ورفع الحرج .

وإنما وقع بيان من الشارع عن المؤمن به لا عن الايمان . عن متعلق الايمان الذى يبينه الرسول ﷺ حين قال عن الايمان : أن تؤمن بالله وملائكته .. الخ .

ولم يبين الرسول معنى الايمان لأنه معروف لغة فدل على ذلك على أنه لم ينقل من معناه اللغوى إلى معنى آخر فى الشرع .

لايمان لغة وشرعا هو التصديق لكنه يزيد فى الشرع على ماهوفىاللغة بيان متعلق الايمان وهو ماجاء به الرسول من عند الله .

وخلاصة القول : أن الايمان معناه التصديق لغة وشرعا ولم يزد فى الشرع لا المتعلق .

وعلى هذا لو ثبت من الشارع أن محل لايمان هو القلب صرف إلى التصديق دون سائر أعمال القلب وبهذا يسقط الاعتراض .

المذهب الثانى :

بعض العلماء واختاره الامام نجم الدين عمر النسفى فى كتابه العقائد

النسفية .. وهو أن الايمان هو التصديق بما جاء به النبي ﷺ من عند الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة والاقرار باللسان - فالايمان هنا تصديق وإقرار إلا أن الركنين ليسا فى مرتبة واحدة .

فالتصديق ركن لا يحتمل السقوط ويجب أن يكون بجميع ما جاء به النبي ﷺ مما هو معلوم من الدين بالضرورة .

وعلى هذا فلو صدق شخص بوحدانية الله سبحانه وتعالى وأقر بصفاته وأنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فانه لا يكون مؤمنا شرعا إن وكان مؤمنا بحسب اللغة وكذلك من صدق بالله واتخذ معه شريكا ولذلك يقول الله تعالى : (ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) .

والتفصيل ليس واجبا عند هؤلاء بل يكفى للخروج من العهدة - عهدة التكليف الاجمالى ، فالايمان إجمالا بأن جميع ماجاء به الرسول حق كاف فى الخروج عن شغل الذمة الذى يتطلبه الايمان ولا تنحط درجة هذا الايمان الإجمالى عن درجة التفصيل أى فى الخروج من العهدة وإن كان التفصيلى أفضل من الإجمالى .

والركن الثانى : وهو الاقرار باللسان ركن يحتمل السقوط ، فقد يسقط حال الاكراه والخرس مثلا بخلاف الركن الأول فانه لايحتمل السقوط وقد اعترض على هذا المذهب باعتراضين .

الأول : أن أطفال المؤمنين لاتصديق عندهم وهم مؤمنون فيكون التصديق ساقط فى حقهم ، فكيف تقول أن التصديق ركن لايسقط .

ويرد هذا الاعتراض : بأن الايمان حقيقى وحكمى .. فالحقيقى هو الذى لايسقط فيه التصديق والايمان الحكمى هو الذى يسقط فيه التصديق

وأطفال المؤمنين إيمانهم حكمى لأن من باب الحاق المعدوم بالمحقق لأن النبي عليه السلام جعل إيمان أحد الأبوين إيمانا للأولاد .

الثانى : أن النائم والغافل مؤمنان مع أنهما لاتصديق عندهما .

ورد هذا الأعتراض بجوابين :

(ا) أن التصديق موجود عند النائم والغافل وإنما الغفلة عن حصوله وقد أعترض على هذا بأنه ينافى قول المتكلمين أن النوم ضد الإدراك . فذلك يفيد أن التصديق غير موجود عند النائم ورد هذا الإعتراض بأن النوم ضد الإعتراض ابتداء وليس منافيا لبقاء الادراك فالنائم لايدرك الاشياء ابتداء لكنه إذا أدرك شيئا حال يقظته ثم نام كان هذا الادراك باقيا فى القلب وهناك غفلة عن حصوله فقط .

(ب) أننا لو سلمنا عدم حصول التصديق للنائم والغافل فان ذلك يجرنا بقاء الأصل ما لم يطرأ على هذا الأصل ما ينفيه .

ولا شك أن النائم والغافل كان عندهما تصديق قبل حصول النـــوم والغفلة ولم يطرأ على هذا التصديق ما ينافيه فذلك إيمان فى حكم المحقق .

والفرق بين إيمان النائم والغافل وبين إيمان الأطفال :

أن فى إيمان الأطفال جعل غير الحاصل حاصلا . فهو إيمان حكمى وفى النائم والغافل جعل المحقق الغير باق فى حكم الباقى ولذلك كان المؤمن أسما يطلق على من آمن فى الحال أو فى الماضى ويكتفى بالاقرار مرة واحدة فى العمر مع أنه جزء من مفهوم الايمان .

فما ذاك إلا لأن الشارع جعل المحقق الذى لم يطرأ عليه مايضاده فى حكم الباقى .

فان قيل إن الاقرار مرة واحدة فى العمر إذا كان كافيا فى الايمان ساقطا فى غير حالة الاضطرار وأنتم تقولون أنه لا يسقط فى غير حالة الاضطرار وأجيب بأن معنى سقوطه أن يجوز صدور المنافى له عند الاضطرار والمقر مرة واحدة فى العمر لم يأت بما فيه فهو موجود عنده باعتبار أن المحقق الغير الباقى فى حكم الباقى .

دليل هذا الفريق من الباحثين :

استدل هذا الفريق من الباحثين على مذهبهم هذا بدليلين :

الأول : أن الايمان هو التصديق وأهل اللغة لا يعرفون منه إلا التصديق باللسان ومرجع هذا الدليل إلى احتكام اللغة العربية وهى لا تعرف إلا التصديق اللسانى دون التصديق القلبى . ومعلوم أن التصديق واحد من اللغة، وفى الشرع فلم ينقله الشارع إلى غير التصديق اللسانى الذى هو معروف فى اللغة .

الثانى : أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يقتنعون من المؤمن بكلمة الشهادتين ويحكمون بإيمان من تلفظ بهما من استفسار عما فى قلبه فدل ذلك على أن الايمان هو التصديق باللسان .

رد هذين الدليلين :

وقد رفض جمهور المتكلمين هذا المذهب ورد هذين الدليلين .

فردوا الدليل الأول : بأن التصديق من أعمال القلب وليس من أعمال اللسان وأن اللغة لا تعرف إلا التصديق القلبى .

والدليل على ذلك : نفى إيمان بعض المقرين باللسان مثل :

(ا) قوله تعالى : (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) .

(ب) قوله تعالى : (قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) .

فقد ثبت من هاتين الآيتين أن الايمان ليس هو التصديق باللسان وإلا لما نفي عن هؤلاء المذكورين فى الآيتين .

ورد الدليل الثانى : بأنه لا نزاع فى كون المتلفظ بكلمة الشهادتين مؤمن لغة كما أنه لا نزاع فى أن إيمانه هـــذا يترتب عليه الأحكام الشرعية .

والنزاع فى كون مثل هذا المتلفظ الذى لم يصدق بقلبه مؤمناً حقاً أم لا ؟ .

فأنتم تقولون أنه مؤمن حقا وإن كان غير ناج ونحن نقول أنه غير مؤمن حقا وإيمانه ظاهر فقط .

المذهب الثالث :

لبعض المعتزلة .. وكثير من الفقهاء والمحدثين .. وهو أن الايمان هو التصديق بالجنان والعمل بالاركان والاقرار باللسان .

وقد اعترض الجمهور على هذا المذهب بأن يوجد فى المعزور كالأخرص مثلا والشيء لا يوجد بدون شطره .

وقد رد هـذا الإعتراض بأن التصديق ركن يحتمل السقوط كما فى من ذكر . فمن صدق بقلبه ولم يتفق له الإقرار فى العمر لا مرة ولا أكثر من مرة مع القدرة على ذلك لا يكون مؤمنا لا عندنا ، ولا عند الله تعالى .

أدلتهم :

للمعتزلة ومن معهم أدلة لاثبات مذهبهم وأدلة لابطال مذهب خصومهم أما أدلتهم المعينة فهي :

(ا) أن فعل الواجبات هو الدين . والدين هو الاسلام . والاسلام هو الايمان . ففعل الواجبات هو الايمان .

دليل المقدمة الأولى : قوله تعالى : (وذلك دين القيمة) ، فإن اسم الإشارة راجع المأمور به من الطاعات .. فى قوله تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) .

دليل المقدمة الثانية : قوله تعالى : (إن الدين عند الله الاسلام) .

ودليل المقدمة الثالثة : قوله تعالى : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) .

فلو كان الايمان غير الاسلام لما قبل من يبتغيه .. مع أنه يقبل منه قطعا ويرد هذا الدليل .

إن اسم الاشارة راجع إلى الاخلاص المذكور قبله فى الآية فبطلت المقدمة الأولى التى ترتبت عليها المقدمتان المذكورتان بعد .

ويؤيد رجوع اسم الاشارة إلى الاخلاص أنه مفرد فرجوعه إلى أولى من رجوعه إلى المأمور به من الطاعات لأنها متعددة والطاعات مؤنثة واسم الاشارة مذكر والمذكر لا يعود على المؤنث وإنما يعود على المذكر مثله وهو الاخلاص .

(ب) قوله تعالى : (وما كان الله ليضيع إيمانكم) .

أى صلاتكم إلى بيت المقدس .. فدلت الآية على أن الصلاة إيمان أى جزء منه والجواب أن المراد تصديقكم .

والمعنى وما كان الله ليضيع تصديقكم بوجوب الصلوات الخمس التى توجهتم بها إلى بيت المقدس ولو سلم جاز أن يكون ذلك مجازا من باب إطلاق الايمان على ما يدل عليه من الصلاة أولى من النقل الذى هو لازم مذهبكم إذ الايمان معناه فى اللغة التصديق فإذا كان المراد منه الصلاة فقد نقل من معناه اللغوى إلى معنى آخر .

(جـ) قاطع الطريق ليس بمؤمن بدليل أنه مخزى لقوله تعالى : (ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) والمؤمن لا يخزى لقوله تعالى : (يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه) فدل ذلك على أن قاطع الطريق ليس بمؤمن وإذا كان كذلك فإن ترك المنهيات من الايمان .

ويرد هذا بأن عدم الإخزاء فى هذا اليوم خاص بالنبى وأصحابه فلا يعم المؤمنين جميعا وليس فى الصحابة قاطع طريق .. ويصح أن يكون قوله تعالى : (والذين آمنوا معه) مستأنف خبره (يسعى نورهم بين أيديهم) وحينئذ جاز أن يكون المؤمن مخزيا لأن عدم الخزى فى الآخرة على هذا خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم .

(د) حديث (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن) .

ويرد هذا الدليل بعدة ردود :

الأول : أن الحديث ورد على سبيل التغليظ والمراد نقص الايمان

الكامل وترك قيد التقييد بالإيمان الكامل إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يصدر هذا الفعل عن المؤمن مطلقا .. ولا يلزم من ذلك كذب لأن المراد كما عرفنا هو المبالغة والتغليظ .

الثاني : أن الحديثين مرادا منها الانشاء لا الخبر والمعنى لاتزنوا وأنتم مؤمنون فالنهى مقيد بما ينافى النهى عنه ، مثل لا تهن الضيف وأنت كريم وهو ببيتك مثلا .

الثالث : أن العاصى لا يقدم على المعصية وهو متذكر أن هناك عقابا عليها بل داعى المعصية يدعوه اليها ويسلها له حتى ينسيه الإيمان المنافى لها وينسيه أيضا ما يترتب على فعلها من عقاب ومثل ذلك حاصل للجناة الذين يرتكبون القتل والسرقة فإنهم حين الفعل لايتذكرون القوانين الرادعة ولو تذكروها وعرفوا حقا أنهم يؤاخذون بها لرجعوا .

وأما دليهم المبطل لمذهب خصومهم :

فهو أن التصديق يجامع الشرك بدليل قوله تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ، وإذا كان التصديق يجامع الشرك فلا يكون إيمانا

ورد هذا الدليل بأنه مشترك الإلتزام بيننا وبينكم لو كان الأمر كما تقولون إذ الأيمان لو كان منه العمل الصالح لجامع الشرك أيضاً . ولكن الايمان فى الآية لغوى لا شرعى فهو تصديق ببعض ما جاء به النبي ﷺ . لا بكل ما جاء به الذى هو حقيقة الايمان أو الايمان حقيقة .

هذا ويرد على المعتزلة بهذه الأدلة :

يرد على المعتزلة الذين جعلوا العمل الصالح شطراً من الإيمـــان بالأدلة الآتية :

الأول : عطف الأعمال الصالحة على الإيمان . والعطف يقتضى المغايرة وعدم دخول المعطوف فى المعطوف عليه . فلا يكون المعطوف حين المعطف عليه ولا جزاء منه .. وقد ثبت ذلك العطف فى كثير من آيات القرآن الكريم مثل .

١ — قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . كانت لهم جنات الفردوس نزلا) وقد يعترض على هذا الدليل بقوله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها) . فهذه الآية تدل على جواز عطف الجزء على الكل فقد عطف جبريل وهو جزء الملائكة على الملائكة .

ويرد هذا الاعتراض بجوابين .

(ا) إن العطف جاز بتأويل أن يكون الروح عظيما جداً حتى لكأنه ليس من الملائكة فهو خلق مغاير لهم عطف عليهم .

(ب) أن الروح ليس جبريل بل هو خلق آخر أعظم من خلق الملائكة وبذلك يسلم الدليل .

الثانى : أن الإيمان جعل شرطا للاعمال فى قوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) الآية .

مع القطع بأن المشروط لا يدخل فى الشرط فلو دخل فيه لكان فى ذلك اشتراط الشيء بنفسه .

فلو كانت الأعمال من الإيمان . . وقد جعل شرطاً لها لكانت مشروطة بنفسها وهذا محال .

الثالث : مجامعة الإيمان للمعاصى فى قوله تعالى .

١ ـ (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) ففى هذه الآية دليل على مجامعة الايمان للكبيرة فان القصاص لا يكون إلا عن قتل والقتل من الكبائر .

٢ ـ (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) . ففى هذه الآية أمر بالتوبة وهى لا تكون إلا عن كبيرة .

٣ ـ (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) . فالضمير هنا راجع إلى المؤمنين .

زيادة الايمان ونقصانه

أختلف المتكلمون فى زيادة الايمان ونقصانه :

وقبل أن نبدأ فى بيان رأى كلا الفريقين وأدلتهم فانه يتعين علينا أن نبين مكانه هذا الخلاف أهو خلاف حقيقى أم خلاف لفظى .

فبعضهم يرى أن الخلاف لفظى لا حقيقى . مبنى على تفسير الايمان .

فان كان معناه التصديق فهو لا يزيد ولا ينقص ذلك لأن التصديق البالغ حد الجزم والاذعان لا يتصور فيه تفاوت بالزيادة والنقصان .

وإن كان معناه التصديق والاقرار والعمل . أو العمل مطلقا فهو يقبل الزيادة والنقصان :

فان كان العمل وحده هو الايمان كما هو مذهب الخوارج وليس التصديق منه فان قبوله للزيادة والنقصان واضح .

أما على الرأى الذى يرى أن العمل جزء من الايمان كما هو مذهب المعتزلة فزيادة الايمان بحسب إزدياد أوقاتها ونقصانه ، بحسب نقص الأوقات أو يقال أن زيادته بحسب كونها جميعاً مفروضه على المؤمن ونقصه باعتبار عدم فرضية بعضها عليه . كما فى عدم وجوب الحج والزكاة على المؤمن الغير قادر عليها .

فمن قال أن الخلاف لفظى رأى ، أن الايمان ، أما أن يكون معناه كما يرى الجمهور التصديق فقط وعلى هذا فهو لا يقبل التفاوت لا بحسب ذاته ولا بحسب متعلقة .

أما بحسب ذاته ، فلانه باعتبار ذاته لايحتمل النقيض ، لأنه ذاته هو تصديق وأما باعتبار متعلقة وهو جميع ما جاء به الرسول من عند ربه .

فمن آمن ببعضها لايكون محصلا للايمان .

وعلى هذا فمن صدق بجميع ما جاء به الرسول فتصديق لايتغير عند ارتكاب المعاصى . فدرجة تصديق المطيع والعاصى واحدة .

وقال بعضهم أن الخلاف حقيقى .

ولقد اختلف المتكلمون فى الايمان هل يزيد وينقص أم لا . ؟

والمتكلمون فى ذلك فريقان .

(أ) . . . جمهور الأشاعرة ، ولقد ذهب هؤلاء إلى القول بزيادة الايمان ونقصه ، فالايمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والعمل شرط كمال عندهم كما بينا فى تعريف الايمان بالمعصية .

ولقـــد استدل هذا الفريق من الباحثين بأدلة عقلية ونقلية نذكر منها ما يلى :-

الدليل العقلى :

١ — أنه لو لم تتفاوت حقيقة الايمان بالزيادة والنقصان للزم مساواة إيمان آحاد الأمة بل المنهمكين على المعاصى بايمان الأنبياء والملائكة واللازم وهو المساواة باطل فبطل الملزوم وهو عدم التفاوت بالزيادة والنقصان

الدليل النقلى :

١ — قوله تعالى . . (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) .

٢ – قوله تعالى . . (ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) .

٣ – قوله تعالى : (ويزداد الذين آمنوا إيمانا) .

٤ – قول الرسول ﷺ لابن عمر لما سأله عن الايمان هل يزيد وينقص؟ قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار .

٥ – قول الرسول ﷺ (لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمه لرجح به .

وهذا الفريق من الباحثين ، يرى أن الايمان يقبل الزيادة والنقصان حتى ولو كان معناه التصديق فهو يتفاوت قوة وضعفا بدليل أن تصديق النبي عليه الصلام ليس كتصديق أحاد المكلفين وبأن إبراهيم عليه السلام قال (ولكن ليطمئن قلبي) فانه يدل على قبول التصديق اليقيني للزيادة .

(ب) بعض المتكلمين وعلى رأسهم الامام أبي حنيفه النعمان وأمام الحرمين ولقد ذهب هؤلاء إلى القول بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ذلك لأنه التصديق البالغ حد الجزم والتصديق البالغ حد الجزم لايقبل الزيادة ولا النقصان .

وموقف هذا القائل من الآيات الدالة على زيادة الايمان مثل قوله تعالى مثلا (وإذا تليت عليهم أياته زادتهم إيمانا .

موقف المؤول لها ، وهذه هي أراء بعضهم في تأويل هذه الآية نذكرها فيما يلي : -

١ – الإمام أبي حنيفة يرى أن الآية خاصة بالصحابه رضوان الله عليهم فقد كان إيمانهم يزيد بزيادة ما يؤمنون به ، فقد آمنوا أولا في

الجملة ثم تتابعت الفرائض فآمنوا بها فرضا فرض ، فقد كانوا يؤمنون بكل فرض عنـــد حصوله فزاد إيمانهم بحسب زيادة ما يجب الايمان به من الفرائض .

غير أن هذا التأويل إنما يظهر فى عصر النبى — صلى الله عليه وسلم وأما بعد عصره فالفروض كلها قد تمت وحصلت فلا يتصور الايمان بكل فرض فرض .

وبعض العلماء قال أنه يتصور أيضاً فى غير عصر النبى — عليه السلام .

وبين ذلك بأن الاطلاع على تفاصيل جميع الفروض ممكن فى غير عصر النبى .

والايمان إجمالا فيما علم إجمالا ، وتفصيلا فيما علم تفصيلا والتفصيل أكمل من الاجمال .

وعلى ذلك يصح فى غير عصر النبى أن يطلع شخص على جميع الفرائض تفصيلا فيؤمن بها كذلك ، ولا يطلع شخص آخر على جميع الفرائض تفصيلا فيؤمن بها إجمالا فإيمان الأول أكمل من الثانى .

وقد يتصور ذلك فى حق شخص واحد أيضاً بأن يطلع على بعض الفرائض فيؤمن بها إجمالا ثم بعد ذلك يتمكن من الإطلاع عليها تفصيلا فيؤمن بها كذلك فإيمانه الثانى أكمل من إيمانه الأول .

٢ — أمام الحرمين :

أول أمام الحرمين هذه الآيات التى استدل بها الفريق الأول على زيادة الايمان ونقصانه بأن المراد بزيادة الثبات والدوام عليه فى كل ساعة

فزيادته بحسب زيادة الايمان وذلك لأنه عرض لا يبقى زمانين فيتجدد بتجدد أمثاله ولكن يقال أن تجدد الأمثال عبارة عن إنعدام الايمان وحصول مثله وليس ذلك من الزيادة فى شيء .

وقد رد هذا الرأى بأن الزيادة على هذا بزيادة أعداده المتجددة .

٣ — قال بعضهم المراد بزيادة الايمان ثمرته واشراق نوره فى القلب

والاصح أن الايمان يقبل الزيادة والنقص حتى على رأى الجمهور الذى يرى أن الايمان هو التصديق فقط ذلك تصديقنا ليس كتصديق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولأن القران الكريم والسنة المطهرة قالا عنه أنه يقبل الزيادة كما أنه يقبل النقصان وليس هناك مايدعو للتأويل ولقول إبراهيم عليه السلام فيما يحكيه عنه القران الكريم (ولكن ليطمئن قلبى) ثم أمر الله اياه بأخذ أربعة من الطير وتمزيقها وتفريق أجزائها ثم دعوتها بعد التمزيق والتفريق فتماسك أجزاؤها أمام عينيه .

ولو لم يكن هذا العمل فعلا لزيادة الايمان لكان من العبث الذى تنزه الله سبحانه وتعالى — عنه .

وللامام الغزالى فيما نحن بصدده من خلاف فى زيادة الايمان ونقصانه رأى طريف يؤازر به رأى جمهور الأشاعرة .

رأينا إتماما للفائدة أن نذكر موجزا له .

يرى الامام أبو حامد الغزالى .

أن الايمان اسم مشترك يطلق على ثلاثة أوجه .

الوجه الأول : أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد

من غير كشف وانشراح صدر وهو إيمان العوام بل إيمان الخلق كلهم إلا الخواص، وهذا الاعتقاد عقده على القلب تارة تشد وتقوى وتارة تضعف وتسترخى كالعقده على الخيط مثلا . والعمل عنده يؤثر فى نماء عقيدة أصحاب هذا الوجه الأول كما يؤثر سقى الماء فى نماء الأشجار ولذلك قال الله تعالى (زادتهم إيمانا) وقال تعالى : (ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) وقال صلى الله عليه وسلم فيما يروى فى بعض الأخبار « الإيمان يزيد وينقص» وذلك بتأثر الطاعات فى القلب وهذا لا يدركه إلا من راقب أحوال نفسه فى أوقات المواظبة على العباده والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت فى السكون إلى عقائد الايمان فى هذه الأحوال حتى يزيد عقدة استعصاء على من يريد حلها بالتشكيك يقول على بن أبى طالب كرم الله وجهه — « أن الايمان ليبدوا لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله وأن النفاق ليبدوا نكته سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسكن القلب كله فيطبع عليها فذلك هو الختم ثم تلا قول الله تعالى « كلا بل ران على قلوبهم ما كانو يكسبون » .

الوجه الثانى :

أن يراد به (أى الايمان) التصديق والعمل جميعا كما قال صلى الله عليه وسلم الإيمان بضع وسبعون بابا وكما قال صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن وإذا دخل العمل فى مقتضى لفظ الايمان لم تخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك فى زيادة الإيمان الذى هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه .

الوجه الثالث :

أن يراد به التصديق اليقينى على سبيل الكشف وانشراح الصدر

والمشاهده بنور البصيرة وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ولكنى أقول الأمر اليقينى الذى لا شك فيه تختلف طمأنينة النفس اليه فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين أكثر من الواحد كطمأنينتها إلى أن العالم مصنوع حادث وإن كان لاشك فى واحـــد منها فان التعينات تختلف فى درجات الايضاح ودرجات طمأنينة النفس اليها .

من هنا يتضح أن ماقالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق وكيف لا وفى الاخبار أنه يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذره من الايمان وفى بعض المواضع فى خبر آخر مثقال دينار فأى معنى لاختلاف المقادير إن كان مافى القلب لايتفاوت اهـ(١).

ولقد قسم الباحثون فى علم الكلام الايمان بالنسبة للزيادة والنقصان إلى أربعة أقسام .

١ — إيمان لايزيد ولاينقص وهو إيمان الملائكة على القول المشهور

٢ — إيمان يزيد وينقص وهو إيمان الأمة الإسلامية إنسا وجنا .

٣ — إيمان يزيد ولاينقص وهو إيمان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

٤ — إيمان ينقص ولا يزيد وهو إيمان العصاه الذين استمروا فى عصيانهم ثم ماتوا قبل أن يتوب الله عليهم .

الفرق بين المعرفة والتصديق :

اختلف الباحثون فى الفرق بين المعرفة والتصديق .

(١) احياء علوم الدين لأبو حامد الغزالى جـ ١ ص ١٠٧ ، ١٠٧ مطبعة عيسى البابى الحلبى (بتصرف) .

وقبل أن نشرع فى بيان هذا الخلاف وبيان الرأى المختار ، فانه يتعين علينا أن نعرف ماهية كل منهما .

فما هو التصديق ؟ ثم ما هى المعرفة ؟

التصديق :

هو الاذعان الذى يحصل فى القلب عن كسب واختيار بحيث تطمئن اليه النفس وتسلم به .

والمعرفة :

هى نسبة الصدق إلى الخبر أو المخبر به من غير إذعان ، وذلك كأن يقع الشىء فى القلب فجأة بدون كسب كمن فتح عينيه فرأى الشمس طالعة وكمن رأى معجزة النبى فوقع فى قلبه صدق النبى .

إختبار

س : ١

حدثنا عن العلة التى من أجلها قدم الايمان على الإسلام فى البحث ، ثم بينى مع التمثيل والتوضيح مراتب الإيمان .

س : ٢

بينى مع التوضيح معنى الإيمان لغة ، ثم عرفيه مع الشرح على مذهب جمهور المحققين ، ثم بينى أدلتهم ، ثم اذكرى ما أثير حـــوله من شبه ، وبينى كيف تردين عليها .

س : ٣

عرفى الايمان على مذهب الامامين النسفى وأبى حنيفة ، ثم وضحى أدلتهم وبينى كيف تردين عليها .

س : ٤

عرفى مع التوضيح ـ الايمان على مذهب المعتزلة ، ثم اذكرى مع التوجيه ما ذكروا من أدلة لمذهبهم ، ثم أدلتهم المبطلة لمذهب خصومهم مع

س : ٥

هل الايمان يزيد وينقص أم لا ؟ ناقشى هـذه العبارة ببيان آراء العلماء فى ذلك وأدلتهم على ما ذهبوا إليـــه . ثم وضحى الفرق بين التصديق والمعرفة

س ٦ :

عرف الاسلام ، ثم بين مع التوضيح والاستدلال مذاهب العلماء فى تحديد الصلة بين الايمان والاسلام ، ثم وضح الحكم الشرعى للإيمان والاسلام . وما هو حكم من قال : أنا إن شاء الله .

إيمان المقلد وآراء العلماء فيه :

(أ) . معنى التقليد .

(ب) آراء العلماء فى إيمان المقلد .

(أ) معنى التقليد :

التقليد . هو الاخذ بقول الغير أخذاً جازماً من غير دليل ، وذلك كتقليد الغير فى الاعتقاد فى وجوب صفة العلم لله تعالى من غير أن يعرف دليله أو فى حال عجزه عن إقامة الدليل عليها .

توضيح التعريف :

المراد بالآخذ ـ الاعتقاد .

والمراد بالجزم اليقين ، أى اعتقاداً بهذه العقيدة والتصديق بها إعتقاداً لاتردد فيه ولا شك بمعنى أن يجزم المقلد بصحة قول الغير جزما قويا بحيث لو رجع المتبوع عن عقيدته التى آمن بها التابع لم يرجع التابع نفسه فالتبعية للعقيدة لا للشخص .

والمراد بالقول : مايشتمل على الفعل والتقرير ، ومعنى التقرير هو إقرار قول الغير أو فعله من غير أن يفعل هو مايفعله الغير لكنه لايعارض مايفعل ذلك الغير ـ فهو لاينكر عليه قوله أو فعله ثم يقتدى به فيهما فالتقليد إذن هو إعتقاد مضمون قول الغير أو فعله أو تقريره على مايقول أو يفعل ومتابعته فى قوله أو فعله دون أن يعرف التابع دليل المتبوع . أو دون أن يستطيع هو أن يقيم دليلا قاطعاً ملزما للخصم على صحة مايعتقد .

وخرج بالأخذ الجازم ، الأخذ غير الجازم كأن يأخذ من الغير غير معتقد يقينا بصدق قول ذلك الغير بحيث لو رجع المقلد (بالفتح) رجع هو فالتبعية إذن للشخص لا للقول ومن هنا فهو تقليد للشخص فى العقيدة وهو ليس مراداً هنا وخرج بقولنا — من غير دليل — من طلب الدليل بعد المعرفة فأرشد إلى الدليل فأنه لا يسمى مقلداً بعد أن يرشد إلى الدليل وذلك كطلاب المعرفة بعد أن يرشدوا إليها فانهم يسمون عارفين لا مقلدين

والفرق بين طلاب العلم حين يبصرون بالدليل وبين المقلدين كالفرق بين فئات من جمع حاول رؤية الهلال فسبقت فئة منهم بالرؤية ثم أخبرت بقية الفئات التى لم تر . فحاولت فئة منهم الرؤية فأرشدت إلى الطريق إليها فهذه الفئة عارفة لا مقلدة ، وفئة ثالثة اكتفت بقول الغير دون أن تبحث عن الرؤية أو عن الدليل عليها فهذه هى الفئة المقلدة ، أما الفئة الثانية فيطلق عليها عارفة لا مقلدة لأنها طلبت الدليل .

(ب) آراء العلماء فى إيمان المقلد :

يذكر صاحب الجوهرة أن للعلماء فى إيمان المقلد أقوالا ستة .

وقبل أن نشرع فى عرض هذه الآراء فإننا ننبه إلى أمرين .

(ا) أن المراد بالمقلد الذى نعنى والذى نعرض آراء العلماء فى حكم إيمانه هو المعتقد اعتقادا لا يخالجه شك فيما يعتقد كما لا ترد على عقيدته شبهة لكنه لا يعرف الدليل على ما يعتقد ،

أما إن كان يعتقد إعتقاداً غير جازم بمعنى أنه يعتقد يخالط هذا الإعتقاد شك وترد عليه الشبهة على معتقده فهو كافر لا يدخل فى مفهوم

المقلد الذى نبحث فى صحة إيمانه أو عدم صحته على خلاف فى آراء العلماء.

(ب) أن المقلد يعامل فى الدنيا معاملة المسلمين فلا خلاف فى ذلك وإنما الخلاف الذى يتحدث العلماء عنه يكمن فى هذا التساؤل هل إيمان المقلد يكفى للنجاة يوم القيامة أو لا يكفى .

وحاصل هذه الآراء كما يذكرها صاحب الجوهرة ستة آراء .

١ — أن التقليد لا يكفى وأن المقلد إيمانه غير صحيح ولا ينجى صاحبه من النار يوم القيامة . فالمقلد كافر .

٢ — أن التقليد يكفى للنجاة من النار يوم القيامة لكن المقلد مؤمن عاص بتركه النظر والاستدلال سواء أكان فيه أهلية للنظر أم لا .

٣ — أن المقلد مؤمن ناج من النار يوم القيامة بلا شك لكن إن كانت فيه أهلية للنظر فهو مؤمن عاص لتركه النظر اما إن لم يكن أهلا للنظر فانه مؤمن غير عاص وهذا الرأى هو الرأى الأصح .

٤ — أن من قلد القرآن والسنة فايمانه صحيح لأنه مقلد لما هو ثابت قطعاً فهو معصوم من الخطأ ، أما من قلد غير القرآن والسنة فان إيمانه غير منج من النار يوم القيامة لعدم عصمته من الخطأ .

٥ — أن التقليد يكفى للنجاة يوم القيامة وأن المقلد مؤمن غير عاص مطلقا سواء أكانت فيه أهلية للنظر أم لا .

ذلك لأن النظر شرط كمال فمن تركه مع القدرة عليه فقد ترك الأولى وترك الأولى لا يؤدى إلى المعصية .

٦ — أن إيمان المقلد صحيح ويحرم عليه النظر ولعل هذا النظر المحرم الذى يقصدونه، محمول على النظر المخلوط بالنظريات الملحدة .

ومنشأ هذا الخلاف راجع إلى الاختلاف فى وجوب النظر(١) والمعرفة هل هما واجبان على المكلف أم لا .

ويوضح الشيخ محمود أبو دقيقة هذا الخلاف فيقول (ومبنى هذا الخلاف على خلاف أخر فى وجوب المعرفة والنظر فذهب غير الجمهور من العلماء إلى أن المعرفة وهى الاعتقاد الجازم المطابق للواقع عن دليل ليست واجبه على المكلف وكذا النظر المؤدى إليها بل هى مندوبه والنظر شرط كمال الايمان ولا شرط صحة وبناء على هذه قال ذلك الفريق أن إيمان المقلد معتبر فى الآخرة وصاحبه ليس بتارك لواجب وانما ترك مندوبا ولما كان هذا القول مصادما للاجماع .

على وجوب المعرفة وللإجماع أهل السنة والمعتزلة على وجوب النظر وليس له ند يقصد به فالواجب صناعة عدم الاشتغال بذكر الشبهة التى استندوا اليها ، وقال بعض العلماء أن هذا القول من أقوال المبتدعة .

---

(١) النظر لغة الأبصار أى أدراك الشىء بحاسة البصر والفكر أى حركة النفس فى المعقولات وأما فى المحسوسات فتخيل وعلم من ذلك أن النظر مشترك بين الأبصار والفكر واصطلاحا ترتيب أمرين معلومين ليتوصل بترتيبها الى علم مجهول كترتيب حدوث العالم على هذين المقدمتين العالم متغير وكل متغير حادث .

(٢) المعرفة . هى الاعتقاد الجازم المطابق للواقع عن دليل .

وذهب جمهور المتكلمين وأهل العلم وغيرهم الى وجوب المعرفة والنظر واستدلوا على وجوب المعرفة بما نقل من أجماع المسلمين على وجوب معرفته تعالى وعلى وجوب النظر بما ورد من الأمر به فى القران الكريم فى أيات كثيرة والأمر اذا أطلق يتبادر منه الوجوب وبأن النظر مقدمة للمعرفة وهى واجبة فتجب مقدمتها .

وقد أجمع أهل السنة والمعتزلة على وجوب النظر والخلاف بينهم انما هو فى كون وجوبه بالشرع أو بالعقل وبعد أن اتفق الجمهور على وجوب المعرفة والنظر أختلفوا هل الوجوب وجوب أصول حتى أن الإنسان اذا أخل بذلك الواجب ينعدم ايمانه أو وجوب فروع حتى أن الاخلال بهما يكون معصية مقتضية للفسق الذى هو دون التفكير فذهب فريق الى الأول وذهب فريق أخر الى الثانى .

استدل الفريق القائل بوجوب المعرفة وجوب أصول بأن حقيقة الايمان المطلوبة هى التصديق والأذعان فالدليل لابد منه فى تحقيق الايمان سواء أعتبرته شطراً من الايمان أو شرطا فيه والشىء لايتحقق بدون شرطه وشطره فالإيمان لايتحقق بدون الدليل فايمان المقلد ليس هو الإيمان المطلوب .

وحيث كانت المعرفة واجبة أصول بمقتضى هذا الدليل والنظر مقدمته فلا يكون أقل منها فيكون شرطاً فى صحة الإيمان :

واستدل الفريق الثانى القائل بوجوبها وجوب فروع بدليلين

الأول : أن المقلد مأمور بالإيمان وقد بين النبى ـ صلى الله عليه وسلم الإيمان بقوله (**أن تؤمن بالله وملائكته**) الحديث فذكر التصديق

مجرداً عن الدليل فاذا أتى به المكلف مجرداً عن الدليل يكون آتيـــا بالإيمان المطلوب .

الثانى : أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يعتبر من صدقه فى جميع ما جاء به مؤمنا ولا يشتغل بتعليمه من الادلة العقلية فى المسائل الاعتقاديه مقدار مايستدل به المستدل ويناظر به الخصوم ويدفع به الشبهة . كذلك قبل سيدنا أبو بكر الإيمان من أهل الرده ولم يعلمهم الأدلة التى يصيرون بها مستبصرين .

كذلك قبل سيدنا عمر - رضى الله عنه - هو وعماله لما فتح سوادالعراق إيمان من كان بها من الأنباط والزط وهما صنفان من الناس عرفوا بضعف الإدراك وبلاده الفهم ولم يكن لهم من دنياهم سوى الاشتغال بالزراعة وطرقها ولم يكلفهم بالاستدلال العقلى فعمل النبى - صلى الله عليه وسلم - والخليفتين من بعده دليل على أن إيمان المقلد صحيح معتبر وألا لاعرضوا عن قبول إسلام الذين صدقوا من غير دليل أو كلفوا من يعلمهم كيفية الحاجة والاستدلال لكنه لم يقع فدل على إيمان أن المقلد صحيح وأن كان مقصراً فى تحصيل المعرفة فيكون عاصيا ولا يخرج من الإيمان .

وهذا الفريق القائل بوجوب المعرفة وجوب فروع أختلف فى أن ذلك الوجوب يعم جميع المكلفين أو يخص من كان أهلا للنظر ؟ .

فقال البعض بتعميم الوجوب على من كان أهـــلا ومن لم يكن أهلا ويظهر أن صاحب هـــذا القول يرى وقوع التكليف بالمحال فلذلك عمم الوجوب :

وقال البعض أن الوجوب خاص بمن كان أهلا للنظر لأن التكليف

يعتمد على القدرة وعدم الحرج قال ـ تعالى ـ (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) وقال تعالى (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) .

فلا يصح أن يخاطب من لم يكن أهلا للنظر بالمعرفة والنظر لعدم القدرة وإلا لزم الحرج .

والقائل أن يقول إذا صح الإستدلال على عدم وجوب المعرفة وجوب أصول بقبول النبى وأصحابه الإيمان من الناس بدون مطالبتهم بالدليل فهو لا يثبت إنها واجبه وجوب فروع لأنها إذا وجبت فروع فالداخل فى الإيمان مطالب بها كما يطالب بالصلاة والصيام . فسكوت النبى وأصحابه عن المطالبة بها والاكتفاء بالإيمان المجرد عنها اقرار على المعصية وهو لا يجوز ويبعد جداً أن كل من أعتنق الإيمان فى زمن النبى وأصحابه لم يكن أهلا للنظر والمعرفة .

فالظاهر أنها واجبه وجوب أصل ولكن الواجب هو الدليل الإجمالى وهو متحقق عند جميع عوام المسلمين .

وغاية الأمر أنهم عاجزون عن التعبير عنه وعن تفصيله وهذا لا يضر فيحمل قبول النبى وأصحابه إيمان الناس بدون مطالبتهم بالدليل على أنهم علموا من حالهم معرفتهم بالدليل الإجمالى وهو كاف فى الإيمان بالإجماع (١) .

الكبيرة :

ا ـ تعريفها : ب ـ آراء العلماء فيها .

---

(١) القول السديد فى علم التوحيد للشيخ محمود أبى دقيقه جـ٢ ص١٤٦-١٤٩

(ا) تعريفها :

يختلف الباحثون فى تعريف الكبيرة :

فبعضهم يضبطها بالعدد وبعضهم يضبطها بأمر عام .

فأما ضبطها بالعدد فقد ثبت عن ابن عباس - رضى الله عنها - أنها تسع الشرك بالله تعالى - وقتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق - وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات - والزنا - والفرار يوم الزحف - والسحر - وأكلها مال اليتيم - والإلحاد فى الحرم - وعقوق الوالدين .

وزاد بعضهم على ذلك السرقة والغيبة والنميمه .

وهناك رواية لأبى هريرة رضى الله عنـــه أو الكبائر عشر التسع المذكورة فى روايته وزاد عليها أكل الربا .

وهناك رواية للإمام على كرم الله وجهه أن الكبائر إثنتا عشرة العشرة المتقدمة وزاد عليها السرقة - وشرب الخمر .

فهذه روايات وهناك عدة لا تطيل المقام بذكرها فى مختصرنا روايات أخرى وهذا وقيل الكبيرة ما ذكر وما كان مفسدته مثل مفسدة شىء منه أو أكثر .

وهذا ضبط لها بدون حصر فى عدد معين .

- وشمل هذا القول الغيبة والنميمة وشهادة الزور وغير ذلك مما تكون مفاسده مثل المذكورات أو أكثر فانه ربما ترتب على النميمة مفاسد أكثر من مفاسد كل واحدة من التسع أو العشرة أو الإثنى عشرة بل منها كلها مجتمعة .

وأما ضبطها بأمر عام فقد قيل أن الكبيرة . هي كل ما توعد عليه الشرع بخصوصه وقيل أن الكبيرة هي كل معصية أصر عليها العبد فهي كبيرة وكل ما استغفر عنها فهي صغيرة .

وعلى هذا تكون الصغيرة بالإصرار كبيرة بالاستغفار صغيرة فلم تتميز الصغيرة عن الكبيرة في ذاتها ـ بل كل ذنب صالح لهما :

وقد يعترض على هذا الرأى بأن الاستغفار توبة والتوبة تمحو الذنب ولو كان كفراً فكيف تصير الكبيرة بالاستغفار صغيرة .

ويرد هذا بأن التوبة عند بعض أهل السنة لاتمحو الذنب بل هو معها تحت مشيئة الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه كالصغيرة في هذا الشأن .

وهذا ـ في رأيي ـ رأى مرجوح .

وأصح التعريف . . هو أن الكبيرة هي كل ماتوعد الله عليه بعينه أو بخصوصه ولا ينافى هذا عدها بتسعة أو أكثر حسب الروايات السابقة فضبطها بعدد خاص لاينافى أن ماعداه ليس بكبيرة بل قد يكون لاعتبارات خاصة كقصد النبى أو التحذير مما هو واقع بكثرة من الناس .

(ب) آراء العلماء في إيمان مرتكب الكبيرة :

للعلماء في إيمان مرتكب الكبيرة آراء عـــدة . . نذكرها ثم نردفها بأدلتها .

١ — مذهب أهل السنة وأدلتهم :

الكبيرة لاتخرج العبد من الإيمان ولاتدخله في الكفر .

أدلتهم :

لأهل السنة أدلة ثلاثة على مذهبهم . . هذا الدليل الأول .

أن الإيمان هو التصديق فقط فلا يخرج من الإيمان الا اذا أتى بما ينافي التصديق وليس مجرد الأقدام على الكبيرة لغلبة شهوة أو حمية أو أنفه أو كل خصوصا اذا أقترن بها خوف العقاب ورجاء العفو والعزم على التوبة .

ليس مجرد الأقدام عليها تحت وطأه أحد هذه الظروف السابقة ومقرونه بالتوبة ورجاء العفو بمناف للتصديق وماح له .

ويمكن نظم الدليل هكذا .

الكبيرة لاتمحو التصديق . والتصديق هو الإيمان : فالكبيرة لاتمحو الايمان .

الدليل الثانى :

الآيات والأحاديث الكثيرة باطلاق الإيمان على مرتكب الكبيرة مثال ذلك قوله تعالى . . (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) الآية وقوله تعالى . . (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) الآية وقوله تعالى . . (وإن طائفتان من المؤمنين أقتتلوا فأصلحوا بينهما) .

ووجه الاستدلال بهذه الآيات أنه تعالى أطلق على العصاه مرتكبي الكبائر أنهم مؤمنون .

الدليل الثالث :

إجماع الأمة الإسلامية من عصر النبي ـ صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا على أن من مات من المسلمين من غير توبة وهو مرتكب الكبيرة فانه تجرى عليه أحكام الاسلام .

فيصلى عليه ويدعى له ويستغفر له كما أنه يرث فى حياته وقد اتفقت الأمة على أن ذلك لايجوز لغير المؤمن .

٣ — مذهب المعتزلة وأدلتهم :

الكبيرة تخرج صاحبها من الايمان ولا تدخله فى الكفر فصاحبها ليس مؤمنا كما أنه ليس بكافر وهو تحت مشيئة الله أن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه .

أدله المعتزلة على مذهبهم هذا .

للمعتزله على مذهبهم فى مرتكب الكبيرة دليلان .

الدليل الأول :

ماذكروه من الأدله التى تثبت أن العمل الصالح جزء من الايمان وهم يعتقدون أنها ملزمة لخصومهم فى تركب الكبيرة إذن ليس بمؤمن لأنه ترك جزء الايمان وهو العمل الصالح .

وأما كونه غير كافر فاجماع المسلمين على معاملة العصاه غير الكفار من تزوجة وتوريثه والصلاة عليه ودفنه فى مقابر المسلمين . وغير ذلك مما لايفعل لكافر .

الدليل الثانى :

أن إيمان صاحب الكبيرة أو كفرة مختلف فيه والمتفق عليه أنه فاسق لامؤمن ولا كافر وقد قابل الله الفسق بالايمان فقال :

(أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسق لايستون) (١) .

إذن فالمؤمن غير الفاسق . . وقد أثبتنا أنه غير الكافر ، فهو إذن ليس بمؤمن ولا كافر .

ولا شك أن فسق صاحب الكبيرة متفق عليه .

أما كونه غير مؤمن ولا كافر فهو محل نزاع بين أصحاب المذهب الكلامية وأما المراد بالمقابله فى الآية فان المراد بالفسق فيها هو الفسق الخاص بالكافر لأن المطلق ينصرف إلى الفرد الكامل فى بابه .

٣ — مذهب الخوارج . وأدلتهم ورد كل دليل منها :

يرى الخوارج أن الكبيرة تخرج صاحبها من الإيمان وتدخله فى الكفر ولا واسطة بينهما .

أدلتهم على مذهبهم وردها .

للخوارج على مذهبهم هذا فى الكبيرة أدلة عده نذكر بعضها ثم نردف كل دليل منها بما يرده .

---

(١) السجدة - ١٨ .

الدليل الأول :

قول الله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) .
فهذه الآية - فى نظرهم - تدل على أن صاحب الكبيرة كافر لأنه حاكم بغير ما أنزل الله .

ووجه الاستدلال بهذه الآية :

أن (من) عامة لأنها أسم موصول موضوع للعموم ، فيشمل كل من لم يحكم بما أنزل الله سواء أكان الحكم تصديقا أو عملا أو قضاء بين الناس :

فيدخل الفاسق لأنه لم يعمل بما أنزل الله . كما يدخل القاضى بغير ما أنزل الله وغير المصدق بما أنزل الله فقد ثبت لكل الكفر بمقتضى الخبر.

(ا) أن الحكم فى الآية بمعنى التصديق ولا شك أن من لم يصدق ببعض ما أنزل الله فهو كافر .

(ب) أن الآية أيضاً متروكة الظاهر . والمعنى ومن لم يحكم بشىء أصلا مما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، وعلى هذا تكون الآية من عموم النفى لانفى العموم ووجه كونها متروكة الظاهر أن « ما » عامة وقعت بعد النفى لحقها أن تكون جزئية لا كلية حسب قاعدة المشهوره من أن العام إذا وقع بعد النفى كان جزئيا أى أنها عموما السلب ولكن خولف هذا الظاهر هنا وبقى العموم على حالة والمعنى كما عرفت ومن لم يحكم بشىء أصلا مما أنزل الله ولاشك أن هذا لا يشمل العاصى لأنه حاكم ببعض ما أنزل الله فلا يكون كافرا

(ج) أن الاية نزلت فى حق اليهود فتكون من الموصول عامه لليهود وسياق الاية مع ماقبلها يدل على أنها فى حق اليهود وشرعهم ليس شرعا لنا .

الدليل الثانى :

قول الله تعالى : (ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) .

ووجه استدلالهم بهذه الآية . أن ضمير الفصل إذا أخبر عنه بما هو مقرون بالألف واللام فإنه يفيد الحصر . . وهنا كذلك .

لأن هم ضمير فصل خبره (الفاسقون) وهو مقرون بالألف واللام فيفيد حصر الخبر فى المبتدأ أى كل فاسق كافر ومن هنا فان نظم الدليل يمكن أن يكون هكذا .

(العاصى فاسق وكل فاسق كافر . . فالعاصى كافر) .

ويرد هذا الدليل . . وبأ المراد بالفاسق هنا هو الفاسق الكامل الذى هو الكافر والعاصى ليس كاملا فى الفسق ، فيكون خارجا عن الكفر .

على أنه لو كان المراد ما يقوله الخارجى لما كان الكافر إبتداء كافرا على رأى الخوارج هذا .

حيث أن الآية تتحدث عن من كفر بعد ذلك فليس فيها إذن من كفر ابتداء داخل فى الذى تحدثت عنه الآية مع أن الكافر إبتداء فاسق بالإجماع ومن هنا فان الآن متروك الظاهر والمراد بالفاسق هنا الفاسق الكامل الفسق وهو الكافر وليس العاصى كما يزعم الخوارج .

الدليل الثالث :

قول الله تعالى : (وهل نجازى إلا الكفور) ، فقد حصرت الآية المجازاة فى الكفر والعاصى مجازى فيكون كافر .

ويرد هذا الدليل بأن المجازاة تكون فى الخير كما تكون فى الشر فيصح حصرها فى الكفور قال تعالى : (اليوم تجــزى كل نفس بما كسبت) .

وعلى هذا يكون المراد من الآية المجازاة الشديدة القاسية .

فكأن الآية تريد أن تقول لنا أن الجزاء الشديد البالغ الشدة هو الجزء العادل لمن كفر بالله والعاصى ليست له هذه المجازاة المخصصة بالكافر .

فلا يكون كافرا كما يدعى الخوارج

الدليل الرابع :

قول الله تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) .

فان قوله تعالى : (ومن كفر بعد ذلك فإن الله غنى عن العـالمين) بعد قوله تعالى : (ولله على الناس حج البيت) فان معناه من ترك الحج وهو مستطيع فانه يكون كافرا لأن الله أطلق عليه الكفر .

(ويرد هذا الدليل . بأن المراد من جحد وجوب الحج بعد ماتبين له وجوبه فانه يكون كافرا ولا شك فى ذلك لأن من فعل ذلك يكون منكرا لأمر معلوم من الدين بالضرورة .

الدليل الخامس :

قوله تعالى : (إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى) .

ووجه الاستدلال بهذه الآية :

أن المسند إليه (العذاب) معرفا بأل فيكون مقصورا على من كذب وتولى الذى هو الكافر ولا شك لدينا أن العاصى معذب فيكون مكذبا فيكون كافرا ونظم الدليل هكذا .

العاصى معذب وكل معذب مكذب وكل مكذب كافر . فالعاصى كافر .

دليل المقدمة الأولى : (العاصى معذب) آيات الوعيد الكثيرة المثبوتة فى القرآن الكريم والتى توعدت العاصى بالعذاب والنكال . والتى منها قول الله تعالى :(ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) ومتى كان العاصى معذبا كان كافرا بدليل حصر العذاب فيمن كذب لأن قوله تعالى : (إن العذاب على من كذب) يدل على هذا فالمكذب كافر .

ويرد هذا الدليل بأن الآية متروكة الظاهر . والمراد من العذاب المقصور على الكذب هو العذاب الشديد الخاص بالمكذبين . وهذا الجواب منع للمقدمة الثانية (وكل معذب مكذب) .

على أن هناك من المعذبين من هم غير مكذبين كالزانى . وشارب الخمر وقاتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق .

وهذه الأصناف وغيرها من المعذبين غيرها المكذبين وإن كان لازم فعلهما الكذب صراحة إلا أن هناك فرقا شاسعا واسعا بين من يكذب صراحة ومن يلزم من فعله الكذب أو التكذيب .

وبذلك يثبت لدينا أنه لا مكانة لاتخاذ هذه الآية دليلا على كفر مرتكب الكبيرة .

الدليل السادس :

قوله تعالى : (فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى) .

فقد نظم الخوارج الدليل هكذا :

العاصى يصلى النار . وكل من يصلاها فهو الأشقى الكذاب . والمكذب كافر .

∴ فمن يصلى النار يكون كافراً .

ويرد هذا الدليل بهذه الردود .

(ا) أن هذه النار نار مخصوصة بدليل عود الضمير فى يصلاها إلى النار وهى نكرة أى هى نار من نوع مخصوص .

(ب) أن الصفة مخصصة لا كاشفة أى (ناراً) ماصفة خصصتها بالأشقى المكذب فلا ينافى أن العاصى له نار ليست لها هذه الصفة

(جـ) المقدمة الثالثة (والمكذب كافر) فيها نظر فليس كل نوع من أنواع التكذيب يؤدى إلى الكفر . لكن الذى يؤدى إلى الكفر إنما هو تكذيب الرسول فيما جاء به عن ربه

الدليل السابع :

قول الرسول ﷺ : (من ترك الصلاة فقد كفر) فهذا الحديث صريح فى أن تارك الصلاة المرتكب لكبيرة ترك الصلاة كافر .

ويرد هذا الدليل بعدة ردود منها :

١ - المراد تارك الصلاة المستحل لهذا الترك ولا شك أن المستحل لترك الصلاة كافر .

٢ - المراد بالكفر فى الحديث الكفر اللغوى وهو الستر مطلقا . فمالاشك فيه أن تارك الصلاة ساتر لنعمة الله عليه ؛ فالكفر هو كفر بنعمة الله لا كفر بالله .

٣ - إن تارك الصلاة مقارب للكفر وليس كافرا فوصفه بالكفر مجازا لقربه من الوقوع فيه كما تقول جاء الامتحان حين يقرب مجيئه ولم يكن قد جاء بعد .

٤ - أو أنه مشارك للكفار فى عدم حرمة ماله وعرضه على رأى بعض العلماء فى ذلك .

الدليل الثامن :

قوله تعالى (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون . تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون .

ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) .

ينظم الدليل هكذا :

العاصى خفت موازينه . وكل من خفت موازينه فهو مكذب . والمكذب كافر .

∴ فالعاصى كافر :

وقد رد هذا الدليل بعدة ردود منها .

١ - رفض الصغرى (العاصى خفت موازينه) ذلك لأن العاصى موازينه خفيفة من الإيمان وقد رد الخوارج على أصحاب هذا الرفض بأن العاصى لو كان ممن تثقل موازينه لكان فى عيشة راضية مع أنه ليس كذلك ويرد هذا بأن مآله إلى المعيشة الراضية بإذن الله وإن كان هذا بعيد فى هذه الآية فان من السنة المطهرة مايؤكد ذلك .

٢ - رفض المقدمة الثانية (وكل من خفت موازينه فهو مكذب) بأن العاصى ليس مكذبا على الحقيقة لكنه مكذب تنزيلا فهو لعصيانه نزل منزلة المكذب فهو إذن ليس داخلا فى زمرة المكذبين الذين ينجر عليهم حكم هذه الآيه بالكفر .

الدليل التاسع :

قوله تعالى حكاية عن الإبرار (ربنا أنك من تدخل النار فقد أخزيته) .

مع قوله تعالى (إن الخزى اليوم والسوء على الكافرين) .

فقد نظم الخوارج الدليل هكذا .

العاصى مخزى . . وكل مخزى كافر . العاصى كافر .

دليل المقدمة الصغرى (العاصى مخزى) قوله تعالى ، (ربنا أنك من تدخل النار فقد أخزيته) والعاصى يدخل النار .

ودليل المقدمة الكبرى (وكل مخزى كافر) قوله تعالى (أن الخزى اليوم والسوء على الكافرين) .

فما لاشك فيه أن الآية الأولى أفادت أن من يدخل النار فهو مخزى

ولاشك أن العصاة سيدخلون النار فهم إذن مخزيون ، والآية الثانية أفادت أن كل مخزى كافر وذلك عن طريق الحصر أى حصر المسند اليه المعرف بأل فى الخبر .

ويرد هذا الدليل بعدة ردود .

١ ـ أن الحد الأوسط لم يتكرر والحد الأوسط هو الرباط بين المقدمة الأولى والثانية بمعنى أن عدم تكرره يؤدى إلى تباعد المقدمتين فلا ينتج الدليل نتيجة صحيحة والحد الأوسط فى هذا الدليل الخزى وهو لم يتكرر لأن خزى دخول النار غير خزى الكافرين .

فخزى دخول النار من الخزايا بمعنى أنه فعل ما يوجب الخزى والخجل والاستحياء بعصيانه الذى أدى إلى دخوله النار .

وأما خزى الكافر ، فيقصد به فى الآية العذاب والذل والهوان أى أن العذاب والذل والهوان اليوم محيق بالكافرين .

ولاشك أن الخجل والاستحياء غير العذاب والذل فالحد الوسط إذن لم يتكرر فالدليل باطل :

٢ ـ المراد بالخزى والسوء فى الاية الثانية الخزى الشديد فليست اللام معه للاستغراق وإنما هى للعهد .

٣ ـ الخزى يوم الحساب هو الخاص بالكافر أما خزى دخول النار فهو عام على الكل .

الدليل العاشر :

وقله تعالى ، (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت

وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون).
فقد نظم الخوارج الدليل هكذا .

العاصي مسود الوجه . . وكل مسود الوجه كافر . . العاصي كافر .
دليل المقدمة الصغرى (العاصي مسود الوجه) آيات الوعيد للعصاة كهذه الآية المستدل بها) .

ودليل الكبرى (وكل مسود الوجه كافر) قوله تعالى فمن اسودت وجوهم فى هذه الآية (أكفرتم بعد إيمانكم).

فيسلم الدليل إذن وتسلم النتيجة القائلة (العاصي كافر) .

ويرد هذا الدليل بهذين الردين.

١ - رفض المقدمة الصغرى لأنه ليس كل فاسق مسود الوجه بل ذلك خاص بالكفارة بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (أن أمتى تبعث يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء) والعاصي من أمته فلا يكون مسود الوجه .

وهذا الرفض واه — فى رأيي فان الغره والتحجيل من آثار الوضوء وقد يحرم منها بنص الحديث تارك الصلاة فهو بلاشك ليس من أصحاب الغره والتحجيل الذين ذكر الحديث .

٢ — وهو الرد الأصح : أن الآية واردة فى حق الكفار الذين ارتدوا بعد إيمانهم فلا دخل للعصاة فيها .

الدليل الحادى عشر :

أن صاحب الكبيرة يؤتى كتابه بشماله ، وكل من كان كذلك فهو كافر فصاحب الكبيرة كافر .

دليل الصغرى : (أن صاحب الكبيرة يؤتى كتابه بشماله) أن القسمة ثنائية ، فمن الناس من يؤتى كتابه بيمينه ومنهم من يؤتى بشماله ، ولا شك أن صاحب الكبيرة سيؤتى كتابه بشماله لأنه لن يؤتى كتابه بيمينه إلا الصالح المؤمن وهو ليس كذلك لأنه عاص بارتكابه الكبيرة .

ودليل الكبرى : (وكل من يؤتى كتابه بشماله فهو كافر) أن الله تعالى قال فى حق من يؤتى كتابه بشماله : (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم) ومتى كان غير مؤمن كان كافرا لأنه لا واسطة عندهم .

ورد هذا الدليل بأن القسمة إلى شيئين أو أشياء لا تفيد الحصر لأنها ليست من الطرق الدالة على الحصر . وعلى ذلك فيحتمل أن هناك قسما ثالثا لا يؤتى كتابه لا بيمينه ولا بشماله بل يقرأ عليه أو يؤتاه من وراء ظهره .

الدليل الثانى عشر :

أن صاحب الكبيرة ظالم لنفسه ولغيره . وكل ظالم لنفسه ولغيره كافر فصاحب الكبيرة كافر .

فأما ظلمه لنفسه فواضح لأنه بارتكابه الكبيرة أورد نفسه المهالك ، وأما ظلمه لغيره فلعدوانه على ذلك الغير كأن كانت الكبيرة قتل نفس بغير حق أو عدوان على عرض أو مال . وأما دليل الكبرى وهى (وكل ظالم لنفسه ولغيره

كافر) فقول الله تعالى : (ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون) .

ويرد هذا الدليل :

بأنا لو قلنا أن كل ظالم لنفسه كافر لوقعنا في حرج ذلك لأنه ليس كل من هو ظالم كافر .

فلقد اعترف بظلمه لنفسه عدد من أنبياء الله الكرام الذى اختارهم ربهم واصطفاهم للسفارة بينه وبين خلقه وأصطنعهم لنفسه .

فلقد قال آدم عليه السلام وحواء معه (ربنا ظلمنا أنفسنا) .

وقالها يونس عليه السلام وحواءه معه (ربنا ظلمنا أنفسنا) .

وقالها يونس عليه السلام : (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) وعلى ذلك فليس كل ظالم لنفسه كافر وحينئذ يسقط يسقط الدليل .

الدليل الثالث عشر :

قوله تعالى : (أما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار كنتم به تكذبون) .

والفاسق العاصى مأواه النار فيكون مكذبا بعذاب النار فيكون كافرا .

ويرد هذا الدليل :

بأن الفسق فى الآية ليس عاما لكل فاسق حتى يكون الكل مكذبا بعذاب النار بدليل أن كثيرا من العصاة مصدق بعذاب الآخرة وإن كان فاسقا وبناء عليه فان المراد بالفسق فى الآية الفسق الخاص بالكافر .

الدليل الرابع عشر :

قوله الله — تعالى .

(يتساءلون عن المجرمين ، ماسلككم فى سقر ، قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين ، وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين) والعاصى مجرم فهو مكذب وكل مكذب كافر .

ويرد هذا الدليل بأن المجرمين هنا فى هذه الاية هم الكافرون ولا يصح أن يكون الاجرام عاما حتى يشمل عصاة المؤمنين لأنهم غــير مكذبين بيوم الدين .

الدليل الخامس عشر :

قوله تعالى (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً) ثم قال (وسيق الذين أتقوا ربهم إلى الجنة زمراً) فكل مكلف مساق أما إلى الجنة وأما إلى النار والعاصى ليس مساقا إلى الجنة فيكون كافراً .

ويرد هذا الدليل ، بأن القسمة ليست للحصر :

٤ — مذهب الحسن البصرى وأدلته :

يرى الحسن البصرى أن صاحب الكبيرة منافق ، لأنه يظهر بالمعصية عداوة الله وباطنه مصدق بالله ، وهذا غير النفاق المعهود المعروف الذى هو أحط دركا من الكفر وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر .

إلا أن بعض العلماء يرى أن الحسن البصري يعني بنفاق صاحب

الكبيرة النفاق الذي هـو أحط دركا من الكفر ثم عاد وتاب، عنه بعد ذلك .

وللحسن البصري قبل رجوعه عن هذا المذهب دليلان

الدليل الأول :

قول الرسول – صلى الله عليه وسلم (آية المنافق ثلاث إذا وعد أخلف وإذا حدث كذب وإذا أؤتمن خان) ، ويرد هذا الدليل بهذه الردود .

١ – هذا الحديث بظاهره يدل على نفاق مرتكب الكبيرة ولكنه متروك الظاهر بدليل أن من وعد شخصا باعطائه شيئاً ثم أخلف وعده لايكون منافقا باتفاق ، وعلى ذلك يكون الحديث وارداً على سبيل التغليظ

٢ - أن علامة النفاق غير النفاق فهذه الكبائر علامة النفاق وليست هي النفاق حتى يقال أن صاحب الكبيرة منافق وعلامة الشيء لاتدل عقلا على وجود الشيء فهذه العلامات غير النفاق ولا تدل عقلا على وجوده .

٣ - أنها تقرب من النفاق ولكنها ليست نفاقا ذلك لأنها لاتصدر إلا من المنافقين .

٤ - أن الحديث يحدثنا عمن تكررت هذه العلامات منه حتى صارت ملكة له .

الدليل الثاني :

قال الإمام الحسن البصري في هذا الدليل أن من قال لك أن في هذا

الجمر تعبانا ثم وضع يده فيه لا يكون صادقا فى قوله كذلك من قال أنا مؤمن ثم عمل بضد الإيمان فان ذلك يدل على أنه لا تصديق عنده .

ويرد هذا بأن الذى يذكر الإمام الحسن البصرى قياس مع الفارق ذلك مضرة لأن الحياة عاجلة بخلاف مضرة الآخرى فانها مؤجلة فأدخال يده فى الجمر دليل على عدم صدقة بخلاف من أعتقد الإيمان ثم عمل بضد إعتقاده فان رحمة الله تسعة وغيره .

إذن فالمعجزة غير محققة لاحتمال الغفران أو محو الذنب بالتوبة والرجوع إلى الله .

مذهب الازارقة ، وهم فرقة من الخوارج :

يرى الازارقة أن مرتكب الكبيرة مشرك لأنه عمل عملا لله وعملا لغيرة على أنهم لم يستطيعوا أن يقيموا على مذهبهم هذا دليلا والواقع أن هذا المذهب مرفوض لأن الشخص إذا عمل عملا للشيطان والهوى فان ذلك لا يخرجه من حظيرة الإيمان إلى الشرك والعياذ بالله .

هذه هى مذاهب العلماء وأدلتهم فى مرتكب الكبيرة والناظر اليها يتضح له أن أصحها هو مذهب أهل السنة .

الذى يرى أن الكبيرة لا تخرج صاحبها من الإيمان ولا تدخله فى الكفر .

وهذا الخلاف الذى حدث بين الباحثين راجع لصاحب الكبيرة الذى لم يتب أما إن تاب توبة نصوحا فليس لهذا الخلاف الذى ذكرناه محل فصاحبها مؤمن ناج .

(أ) الكفر :

بعد أن تحدثنا عن الإيمان والإسلام ، ثم عن إيمان المقلد ، ثم عن حكم مرتكب الكبيرة فانه يتعين علينا فى سانحة خاصة أن تعرف ماهو الكفر ثم ما هى مذاهب العلماء فى تعريفه ، فما الكفر فى اللغة ، ثم فى إصلاح العلماء .

الكفر لغة الستر .. ولذا يسمى الزارع ساترا لأنه يستر الحب فى وأما تعريفة إصطلاحا . فللعلماء فيه مذاهب شتى .

فعند أهل السنة .

الكفر : هو عدم تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فى جميع ماجاء به من عند ربه .

فهو إذن شامل لمن لا تصديق عنده أصلا أو عنده تصديق ببعض ماجاء به الرسول دون بعض .

كما أن عدم التصديق يشمل الشك والوهم والظن الذى يحتمل معه النقيض كما يشمل فالأفكار .

ولا يعترض على هؤلاء بأن التصديق قد يجامع السجود للضم أو يسب النبى ، أو يلقى مصحفا فى قاذورات فلك لأن من يفعل ذالك لا تصديق عنده لأن الشارع جعل ذلك علامة التكذيب .

كما لا يعترض على هؤلاء بإيمان الأطفال لأن الشارع جعل إيمانه تبعا لايمان أبوية فهو مصدق بالتبع .

وعند المعتزلة :

أما عند المعتزلة فالمعاصى على ثلاثة أنواع ، نوع يدخل فى الكفر وهو الجهل بالله أو بصفة من صفاته والجهل بالرسول أو سبه ، ونوع لا يدخل فى الكفر ولكنه يخرج من الإيمان كفعل الكبائر ، ونوع يدخل فى الإيمان مثل الصغائر كسرقة لقمة مثلا .

وعند الخوارج :

أما الكفر عند الخوارج فهو عمل المعصية ، فكل معصية عندهم كفر ، بل قالوا أن ترك النوافل كفر .

إختبار

س : ١

بينى معنى التقليد ، ثم اشرحى التعريف شرحا يوضح المراد ، ثم بينى آراء العلماء فى إيمان المقلد وأدلة كل رأى وما هو الرأى المختار لديك .

س : ٢

(ا) أضبطى الكبيرة مرة بأمر عام وثانية بالعدد ، ثم وضحى المذاهب فى حكم مرتكب الكبير وأدلة كل مذهب مع التوجه .

(ب) وضحى معنى الكفر على أكثر من مذهب .

فهرست